جامعـــــة الأقصـــــى - غـــــزة
عمـــــادة الدراســـــات العليـــــا
قســـــــــم الأدب والنقـــــــــد

جـامعـة الأقـصـى

خُطَبْ الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

دراسة موضوعية فنية

Caliph Abu Baker's declamations: An Objective Stylistic Study

إعداد الباحثة:

ولاء جبر محمد عوكل

إشراف الدكتور

محمد إسماعيل حسونة

عميـــد الدراســـات العليـــــا

قدمت هذه الدراسة لاستكمل متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية و آدابها

بجامعة الأقصى – غزة

1437هـ - 2016م

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة الدراسات العليا بجامعة الأقصى بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الطالبة: **ولاء جبر محمد عوكل** لنيل درجة الماجستير في **كلية الآداب اللغة العربية – تخصص أدب ونقد،** وموضوعها(**خُطب الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه " دراسة موضوعية فنية**) وبعد المناقشة العلنية التي تمّت يوم الخميس 18 رمضان الموافق 2016/6/23م يونيه الساعة الحادية عشر صباحاً بقاعة المؤتمرات غزة، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من :

د. محمد إسماعيل حسونة **(رئيساً ومشرفاً)** .....

د. أسامة عزت أبو سلطان **(مناقشاً داخلياً)** .....

أ.د. **عبد الفتاح** أبو زايدة **(مناقشاً خارجياً)** .....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الطالب/ة درجة الماجستير في كلية الآداب اللغة العربية – تخصص أدب ونقد، إذ تمنحه/ها هذه الدرجة فإنها توصيه/ها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه/ها في خدمة دينه/ها ووطنه/ها

والله ولي التوفيق

عميد الدراسات العليا

د. محمد إسماعيل حسونة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

(المجادلة: آية 11)

الإهداء

إلى التي رآني قلبها قبل عينيها . . . وحضنتني أحشاءها قبل يديها . . . أهدي سلامي ومحبتي إليها ،،، **إلى أمي يا منبع الآمال**

إلى الظل الذي آوي إليه في كل حين . . . إلى قدوتي الأولى . . . ونبراسي الذي ينير دربي . . . إلى من علمني أن أصمد أمام أمواج البحر الثائرة . . . إلى من أعطاني ولم يزل يعطيني بلا حدود . . . إلى من رفعت رأسي عاليًا افتخارًا به . . .

إليكِ يا من أفديكِ بروحي . . .

أبعث لكِ باقات حبي واحترامي وعبارات نابعه من قلبي ،،، وإن كان حبر قلمي لا يستطيع التعبير عن مشاعري نحوك . . . فمشاعري أكبر من أسطرها على الورق . . . ولكني لا أملك إلا أن أدعو الله عز وجل أن يبقيكِ ذخرًا لنا . . . ولا يحرمنا ينابيع حبك وحنانك . . . . **إليك أبي الحبيب**

إليك زوجي الحبيب . . . لأنك الحب . . . . . لأنك الروح . . . . التي أحب أن أبقى معها دائما لأنك الزوج والحبيب . . . . أقول من كل قلبي دمت لي يا حبيبي

إلى فلذة كبدي و قرة عيني عبد الله . . .

إلى رفاق الخير إخوتي **محمد** . . . **محمود** . . . **أحمد** . . . وإلى أخواتي العزيزات **دعاء** . . . **آلاء** . . . **منة** . . . **نداء** . . . **أسماء** . . .

إلى مشرفي العزيز . . . كم لك علي من الجمائل والأفضال، وكم كسوتني من كريم السجايا والخصال، غمرتني بحنانك وعطفك، وشملتني بحبك وكرمك . . . كم أخطأت فقومتني بحسن أسلوبك، وزللت فانتشلتني بلباقة تعاملك، وكم أحسنت فكنت لي مشجعا، وأتقنت فكنت لي محفزا . . .

الباحثة

شكر وتقدير

في اللحظات التي يمطر فيها غيم عطاياكم على أرضي كان لزامًا على قلمي الذي خطَّ الرسالة بفضلكم و مساعدتكم أن يخط الشكر و الامتنان لقلوبكم و منحكم الوافرة و التي ألقيتموها في دربي لتمتثل رسالتي أمامكم الآن و قد اكتست ألقًا و نورًا بكم.

فانطلاقًا من قول النبي ﷺ **(لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ)**[1] و اعترافًا بالفضل لأهله، فإنني أتوجه بجزيل الشكر للمنان و صاحب الفضل الذي أعطى عقولنا على المدى أفكارها و للقلوب جمالها و نظارها، و للذي لولاه ما كنا اهتدينا للسواء، و لا تحملنا وعورة هذا الدرب بحثًا عن مكان في السماء... حمدًا لك يا ربي أن جعلتنا في درب العلم نمضي ووفقتنا لما نحب و نرضى.

وأشكر مورد العلم الذي رافقني طيلة فترة رسالتي فكانت توجيهاته و نصائحه ماءً تسقي شجرتي لتينع أوراقها و تغدو بعلمه أفضل، شكرًا لك دكتوري الفاضل: **د. محمد إسماعيل حسونة** ـ حفظه الله ـ، و أجزل له الثواب، إذ تفضل مأجورًا بقبول الإشراف على هذه الأطروحة، والذي عايشني جميع مراحلها خطوة خطوة، يوجه و يسدد، ينصح و يرشد، و بذل في ذلك من وقته النفيس، وأعطاني من جهده و علمه ما لا يجازيه عليه إلا الله عز و جل، فجزاه الله عني وعن الإسلام و المسلمين خير الجزاء.

كما أتقدم بخالص شكري و امتناني إلى والدي الكبير صاحب السمة و الفضيلة الأستاذ: **جبر محمد أبو عوكل**ـ حفظه الله ـ، و بارك في جهوده و جهاده، و بذله و إرشاده، فالله أسأل أن يسلمه و يجزيه عن الإسلام و المسلمين خير ما جزى والد عن ولده.

والشكر موصول إلى والدتي الكريمة التي كانت الأم المربية، سهرت و تعبت، و عملت و صبرت و ربَّت، حتى ترى الثمر، فجزاها الله عني كل خير.

---

1 سنن الترمذي ، كتاب البر و الصلة ، باب ما جاء في شكر من أحسن إليك (4/ 339).

كما و أشكر زوجي الكريم الأستاذ: **محمود عوكل** ـ حفظه الله ـ، نعم السند، والعون على الخير، الذي تحمل معي و تطلع لهذه اللحظة، و جدَّ و سهر. أقر الله عينه بزيارة البيت الحرام.

أشكر عائلتي كلها التي تلتف حولي ما يلتف النور حول الأرض، لإخوتي الأعزاء وزوجاتهم الكريمات و لأخواتي الغاليات و أزواجهنَّ الرائعين.

و شكر خاص مقدم على طبق من ذهب و بجواره وردة جورية لعمي الأستاذ: **أبو جهاد عوكل** و زوجته الكريمة.

كما أتقدم بخالص شكري و امتناني و تقديري لأستاذي الفاضلين عضوي لجنة المناقشة **الدكتور: أسامة أبو سلطان، والدكتور، عبد الفتاح أبو زايدة.**

الذين تفضلا مشكورين بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة و تحسينها و تجميلها بإرشاداتهم السديدة، فجزاهم الله عني خير الجزاء و جعل هذا العمل في ميزان حسناتهم.

كما أخص بالشكر و التقدير جامعة الأقصى و العاملين فيها الذين يواصلون نهارهم و يسهرون من أجل إعلاء منارة العلم و العلماء و على رأسهم رئاسة الجامعة و كلية الدراسات العليا متمثلة بعميدها الدكتور: **عبد الجليل صرصور** ـ حفظه الله ـ ولباقي الدكاترة والأساتذة في كليتي في جامعة الأقصى.

شكرًا لرفيقاتي و صديقاتي و كل من له بصمة من أمل في حياتي.

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
الآية القرآنية	ب
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
فهرس المحتويات	و
فهرس الجداول	ي
المقدمة	ك
دوافع الدراسة	ك
أهمية الدراسة	ل
منهج الدراسة	ل
خطة الدراسة	م
مُلَّخصُ البحثِ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّة	س
مُلَّخصُ البحثِ بِاللُّغَةِ الإِنْجِلِيزِيَة	ف
الفصل الأول **التعريف بالصديق والخطابة**	1
بطاقة تعريفية	2
نسبه	2
مولده	2
شهرته	3
صفته	4
إسلامه	4
عمله	5
زوجاته وأولاده	5
وفاته	6
المبحث الأول الخطـــــــابة	9
مـاهية الخطابـة	10
نشأتها	12

البناء الفني للخطابة	12
السمات الفنية العامة للخطابة	21
المبحث الثاني: الخطابة في العصر الجاهلي	24
نشـأة الخطـابة	25
أقسامها في العصر الجاهلي	25
موضوعات خطب العصر الجاهلي	26
أشهر خطباء العصر الجاهلي	28
الخصائص الفنية العامة للخطابة في العصر الجاهلي	29
المبحث الثالث: الخطابة في صدر الإسلام	32
الخطابة في صدر الإسلام	33
موضوعات الخطابة في صدر الإسلام	35
خصائص الخطابة في صدر الإسلام	37
الفصل الثاني **مضامين خطب الصديق رضي الله عنه**	39
المقدمة	40
المبحث الأول الخطب الوعظية	41
خطبته يوم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم	41
خطبة أبي بكر يوم السقيفة	45
خطبته بعد البيعة	49
خطبة أخرى له بعد البيعة	54
خطبة في الإخلاص والاعتبار	65
خطبة له في الأنصار	75
المبحث الثاني: خطب الصديق في الفتوحات والجهاد	79
مقدمة	79
خطبة لأبي بكر في ندب الناس لفتح الشام	80
خطبة أبي بكر في فتح الشام	83
المبحث الثالث: وصايا الجهاد	88
وصيته لأسامة بن زيد	88
وصيته لعمرو بن العاص والوليد بن عقبة	92

وصيته لخالد بن الوليد	95
وصيته لعمر بن الخطاب	102
وقت وفاة الصديق	102
السمات العامة لخطب الصديق – رضي الله عنه –	104
الفصل الثالث **السمـات الفنيـة**	104
المقدمة:	105
المبحث الأول الصور البلاغية	106
1. التشبيه	106
أقسام التشبيه	106
2. الاستعارة	113
3. الكناية	116
أَنْوَاع الكناية	117
أقسام التشبيه	113
المبحث الثاني: الأساليب والتراكيب	120
1. الاقتباس والتضمين	120
الاقتباس	120
أنواع الاقتباس	122
التضمين	126
أقسام التضمين	128
التضمين وما اشْتُقّ منه من فروع:	130
الفرق بين الاقتباس والتضمين	130
2. الشرط	138
أدوات الشرط	138
3. التوكيد	151
4. التنبيه	163
5. الاستفهام	166
6. القصر	169
7. النداء	174

8. الفصل و الوصل	181
الخاتمة	185
التوصيات	187
المصادر والمراجع	188

فهرس الجداول

رقم الجدول	اسم الجدول	الصحفة
جدول رقم (1)	يوضح شواهد الاستعارة في خطب الصديق و التحليل البلاغي لها	108
جدول رقم (2)	ألفاظ الكناية عند الصديق	112
جدول رقم (3)	يوضح اقتباسات الصديق من القرآن الكريم.	131
جدول رقم (4)	يبين اقتباسات الصديق من الأحاديث النبوية الشريفة	134
جدول رقم (5)	يوضح الأشعار التي تضمنها الصديق خطبه	136
جدول رقم (6)	يبين أسلوب التنبيه في خطب الصديق و التعليق على الاستخدام و التوظيف	164
جدول رقم (7)	يوضح استخدام أسلوب النداء في خطب الصديق و التعليق عليها	177

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، خلق اللوح والقلم، وخلق الخلق من عدم، ودبر الأرزاق والآجال بالمقادير وحكم، وجمل الليل بالنجوم في الظُلَمّ، الحمد لله رب العالمين الذي علا فقهر، ومَلَكَ فقدر، وعفا فغفر، وعلِمَ وستر، وهزَمَ ونصر، وخلق ونشر. اللهم صلِّ على نبينا مُحمد صاحب الكتاب الأبقى، والقلب الأتقى، والثوب الأنقى خير من هلل ولبى، وأفضل من طاف وسعى، وأعظم من سبح ربهُ الأعلى. اللهم صلِّ على نبينا مُحمد. جاع فصبر، وربط على بطنه الحجر، ثم أعُطى فشكر، وجاهد وانتصر.

إن الخطابة فن من فنون القول، يخاطب به الجمهور فالخطابة هي الفن الكلامي الذي يعد أقرب الفنون لقوة الإرادة و ألصقها بها لأن الإقناع و التأثير اللذين يعتمد عليهما الخطيب يعملان عملهما في تفكير الجمهور و عواطفه و يدفعانه إلى العمل عما جاء في الخطبة و التَّوجه نحو النصائح والتوجيهات فيها فتعد الخطابة من أهم ألوان النثر من بداية العصر الجاهلي و حتى العصر الإسلامي و ما بعدها من عصور بنسب متقاربة.

دوافع الدراسة:

إن الذي دفع الباحثة إلى دراسة هذا الموضوع ؛ الرغبة في دراسة خطب أبي بكر الصديق ﷺ لما فيها من علم كثير وأرض خصبة للدراسة.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

1. الوقوف على أهم السمات الفنية لخطب أبي بكر الصديق ﷺ من حيث الصور البلاغية مثل: الاستعارة، والكناية، التشبيه. و الأساليب والتراكيب مثل: التنبيه، والاقتباس والتضمين، والشرط، والاستفهام، والتوكيد، والفصل والوصل، والقصر، والنداء.
2. تبيان مدى تأثير هذه الخطب بالدعوة الإسلامية و أثرها في فن الخطابة وتطورها في مختلف العصور.

3. توضيح ما للنص الخطابي من أهمية في الحياة العملية.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في النقاط التالية:

1. تكمن أهمية الدراسة في إبراز القيمة و الأساليب الجمالية التي تميزت بها خطب الخليفة أبي بكر الصديق.
2. اعتمادها المنهج الموضوعي الفني في دراسة خطب الصديق.
3. تبيان أهم موضوعات خطب الصديق.
4. الوقوف على أهم السمات الفنية في خطب الصديق.

منهج الدراسة:

تبنت الدارسة التحليلي الفني، لأنه من وجهة نظر الباحثة أكثر المناهج قدرة على التعامل مع النصوص الخطابية.

الدراسات السابقة:

1. مصعب نوري العزاوي، **خطب الرسول صلى الله عليه وسلم دراسة توثيقية تحليلية**، جامعة بغداد، 2004م.
2. حامد بن أحمد حسين الرفاعي، **خطب الخليفة أبو بكر الصديق، جمع ودراسة وتحليل**، جامعة طيبة،2010م،1431هـ.
3. عبدالله علي جابر المري، **الخطابة عند الفاروق: دراسة أسلوبية**، جامعة الشرق الأوسط، 2012م.
4. د. حسين أحمد علي أبو كته الدراويش، **من بلاغة الخطاب عند أبي بكر الصديق خطبته لما بويع بالخلافة نموذجًا** "**دراسة تحليلية**"، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع31، تشرين الأول 2013م.

5. د. سعيد بن علي ثابت، **الجوانب الإعلامية في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم**، كلية التربية. ابن رشد.

خطة الدراسة:

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدِّمةٍ وثلاثة فصول وخاتمة:

الفصل الأول: بطاقة تعريفية بأبي بكر الصديق ﷺ، وفيه:

مقدمة:

المبحث الأول ويشتمل على:

- **ماهية الخطابة**
- **البناء الفني للخطابة**
- **السمات الفنية العامة للخطابة**

المبحث الثاني وفيه:

- **نشأة الخطابة**
- **الخطابة في العصر الجاهلي**
- **موضوعات الخطابة في العصر الجاهلي**
- **أشهر خطباء العصر الجاهلي**
- **الخصائص الفنية للخطابة في العصر الجاهلي**

المبحث الثالث وفيه:

- **الخطابة في صدر الإسلام**
- **موضوعات الخطابة في صدر الإسلام و أشهر خطبائها**
- **الخصائص الفنية للخطابة في صدر الإسلام**

الفصل الثاني: مضامين خطب الصديق

- **المبحث الأول: الخطب الوعظية.**
- **المبحث الثاني: خطب الصديق في الفتوحات و الجهاد.**

- **المبحث الثالث: وصايا الجهاد.**

الفصل الثالث: السمات الفنية:

المبحث الأول: الصور البلاغية

- **الاستعارة.**
- **الكناية.**
- **التشبيه.**

المبحث الثاني: الأساليب والتراكيب

- **الاقتباس والتضمين.**
- **الشرط.**
- **التوكيد.**
- **التنبيه.**
- **الاستفهام.**
- **القصر.**
- **النداء.**
- **الفصل والوصل.**

مُلَخصُ البحثِ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أمَّا بَعْدُ:

فهذا بحثٌ بعُنوان: «خطب الخليفة أبي بكر الصديق دراسة موضوعية فنية»، تناولت فيه الباحثة خطب الصديق رضي الله عنه من حيث التحليل، ومن حيث الشكل ومضمون واستخلاص الظواهر الفنية منها. تهدف هذه الدراسة إلى: تبيان مدى تأثير هذه الخطب بالدعوة الإسلامية و أثرها في الخطبة في مختلف العصور، و الوقوف على أهم الخصائص الفنية لخطب أبي بكر الصديق – رضي الله عنه–، و توضيح ما للنص الخطابي من أهمية في الحياة العملية.

وقد جاء البحثُ في مقدِّمةٍ وثلاثة فصول وخاتمة.

أمَّا المقدِّمة: فقد تناولت فيها الباحثة أهميةَ الموضوعِ وبواعثَ اختيارِه، وأهدافَ البحث، ومنهجَ البحث، والدِّراساتِ السَّابقة، وخُطَّةَ البحثِ.

وأمَّا الفصل الأوَّل: فقد تناولت فيه الباحثة ترجمةَ عن حياة الصديق رضي الله عنه، سواءٌ باسمِهِ ونَسَبِهِ وكنيتيه ولقبه ومولدِهِ ووفاته و مقدمة ماهية الخطابة و بناؤها الفني و سماتها الفنية العامة ونشأة الخطابة في العصرين الجاهلي و الإسلامي و موضوعاتها و أشهر خطبائها و أشهر موضوعاتها.

وأما الفصل الثاني: فقد تناولت فيه الباحثة أنواع الخطابة عند الصديق وهي الخطب الوعظية وخطب الصديق في الفتوحات والجهاد وخطب وصايا الجهاد.

وأما الفصل الثالث: فقد تناولت فيه الباحثة السمات الفنية المنتشرة في خطبه. مثل الصور البلاغية كالتشبيه، والاستعارة، والكناية.

والأساليب والتراكيب كالتنبيه، والاقتباس والتضمين، و الشرط، والاستفهام، والتوكيد، والفصل و الوصل، والقصر، والنداء.

وأمَّا الخاتمةُ: فقد استعرضت فيها الباحثة أهمَّ نتائج البحث، وتوصيات الباحث.

Abstract

This study entitled " Caliph Abu Baker's declamations: An Objective Stylistic Study". The researcher collected and analyzed Abu Baker's declamations regarding the form, the content and extracting the stylistic properties. This study aimed at knowing the effect of these speeches upon the Islamic invitation, their impact on declamation in different ages. Besides' it aimed to know the most important characteristics of Abu Baker's style and clarify the importance of declamation in the practical life To fulfil this aim, the study consisted of an introduction, three chapters and a conclusion.

In the introduction section, the researcher clarified the significance, the reasons, aims, the method, of the study and the previous studies.

In the first chapter the researcher gave a brief description about the life of Abu baker concerning his name, lineage, surname, nickname, birth and death. Then an introduction was given about the declamation, its artistic construction، its general artistic characteristics, the origination of elocution in the Islamic and the Jaahili era, subjects, preachers, and its most famous subjects.

Moreover, the second chapter illustrated the preach declamation, Abu baker's speech in the conquests, Jihad. It also addressed his speech. To recommend to the army through the Jihad.

After that, the third chapter showed the artistic traits in his speech. Finally, the researcher illustrated the most important findings and recommendations of the study.

الفصل الأول
التعريف بالصديق والخطابة

بطاقة تعريفية بالخليفة أبي بكر الصديق:

مقدمة:

المبحث الأول: الخطابة

- ماهية الخطابة
- البناء الفني للخطابة
- السمات الفنية العامة للخطابة

المبحث الثاني: الخطابة في العصر الجاهلي

- نشأة الخطابة في العصر الجاهلي
- موضوعات الخطابة في العصر الجاهلي
- أشهر خطباء العصر الجاهلي
- الخصائص الفنية للخطابة في العصر الجاهلي

المبحث الثالث: الخطابة في صدر الإسلام

- الخطابة في صدر الإسلام
- موضوعات الخطابة في صدر الإسلام وأشهر خطبائها
- الخصائص الفنية للخطابة في صدر الإسلام

توطئة:

بطاقة تعريفية بالخليفة أبي بكر الصديق:

إن بركة ما فعله الصحابة الذين بلغوا الدين وجاهدوا في سبيل الله حققت كل خير فيه المسلمون إلى يوم القيامة من الإيمان والإسلام والقرآن والعلم والمعارف والعبادات ودخول الجنة والنجاة من النار وانتصارهم على الكفار وعلو كلمة الله.

فالصحابة أكمل هذه الأمة عقلًا وعلمًا وفقهًا ودينًا، هم فوقنا في كل فقه وعلم ودين وهدى، وفي كل سبب ينال به علم وهدى، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا.

وهنا سأتحدث عن الصديق، فهو أول الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو وزير نبي الإسلام محمد وصاحبه، ورفيقه عند هجرته إلى المدينة المنورة، يَعدُّه أهل السنة والجماعة خيرَ الناس بعد الأنبياء والرسل، وأكثرَ الصحابة إيمانًا وزهدًا، وأحبَّ الناس إلى النبي محمد بعد زواجه عائشة.

نسبه:

هو الخليفة الأول عبد الله بن أبي قحافة (عثمان) بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، يجتمع مع النبي ﷺ في مرة بن كعب بعد ستة آباء، كنيته أبوبكر، وعثمان هو اسم أبي قحافة، وأم أبي بكر سلمى، وتكنى أم الخير، بنت صخر بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد، ابنة عم أبيه، أسلمت وهاجرت[1].

مولده:

ولد أبو بكر بعد الفيل بسنتين وستة أشهر[2] بمكة بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين وأشهر، وكان رضي الله عنه من رؤساء قريش في الجاهلية، وأهل مشاورتهم، محببًا فيهم، وأعلم بمعالمهم، وكان أحد عشرة من قريش اتصل بهم شرف الجاهلية والإسلام، وقد وكل

(1) فتح الباري لابن حجر (7 /9).
(2) فتح الباري لابن حجر (7 /9).

إليه في الجاهلية أمر الديات والمغارم، ولقد ثبت عنه رضي الله عنه أنه كان في الجاهلية عزوفًا عن كل رذيلة، بعيدًا عن كل إثم، نقي الفطرة، طاهر النفس، محتقرًا للأصنام، لا يتعاطى الخمر، ولم يلعب القمار، وقد كان رضي الله عنه صديقًا حميمًا للنبي ﷺ قبل البعثة، لما ألف بينهما من أخلاق كريمة وصفات سامية.

شهرته:

عرف الصديق في التاريخ بأسماء كثيرة، أشهرها: أبو بكر، والصديق، وعتيق، وعبد الله، كان اسمه في الجاهلية، عبد الكعبة، فسماه النبي صلى الله عليه وسلم: عبد الله.

"لقب عتيقًا لعتقه من النار، وقيل: لحسن وجهه من العتاقة، وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أبو بكر عتيق الله من النار"، فمن يومئذ سمي عتيقا، وقيل: سمي عتيقًا لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب به، وأجمعت الأمة على تسميته صديقًا، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إن الله تعالى هو الذي سمي أبا بكر على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم صديقا وسبب تسميته أنه بادر إلى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازم الصدق فلم تقع منه هنات ولا كذبة في حال من الأحوال"[1]، وعرف في الجاهلية بصدقه؛ لأنه كان يتولى أمر الديات وينوب فيها عن قريش، فصدقته قريش، ولقب في الإسلام بالصديق، لأنه صدق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الإسراء خاصة، وفي جميع ما جاء به عامة.

1 أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين ت شيحا (ص: 13).

صفته:

كان أبو بكر رجلًا أبيض خفيف العارضين لا يتمسك إزاره، معروق الوجهة، ناتئ الجبهة عاري الأشاجع[1] أَقْنَى[2]، غائر العينين حمش الساقين[3]، ممحوص الفخذين[4]، يخضب بالحِناء والكَتَم[5][6].

له سمات بارزة معروفة، في طبعه وخلقه، وعقله وعلمه، وروحه ووجدانه، كان وقورًا جليل السمت، يغار على مروءته، ومن أجل هذه المروءة لم يشرب الخمر قط عمره كله، وكان يتحاشى السقط في الكلام، وكل أمر لا ترتضيه مروءته وكان صادقًا أمينًا معروفًا بالتواضع ولين الجانب، والسماحة والرفق والمودة والنجدة، والسخاء والكرم، يقول ابن الدُّغُنَّة لقريش، وقد تهيأ أبو بكر لهجرة من مكة، بعد أن ضاق ذرعًا بأذاهم: "مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج، فإنك تحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق"[7].

إسلامه:

أول من آمن بالرسول باتفاق أهل الأرض أربعة: من الرجال أبوبكر، ومن النساء خديجة، ومن الصبيان علي، ومن الموالي زيد بن حارثة.

الإنفاق في سبيل الله:

﴿**وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى**﴾ نزلت هذه الآية في أبي بكر الصدّيق، حيث أعتق ناسًا لم يلتمس منهم جزاء ولا شكورًا، ستة أو سبعة، منهم

(1) الأشاجع هي أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف. وقيل هي عروق ظاهر الكف.
(2) أي ارتفع أنفه واحدودب وسطه وسبغ طرفه وقيل نتأ وسط قصبته وضاق منخراه فهو أقنى.
(3) دقيقهما.
(4) أي خلص من الاسترخاء.
(5) الكتم من نبات الجبال ورقه كورق الآس يخضب به مدقوقًا وله ثمر كقدر الفلفل ويسودّ إذا نضج.
(6) أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين، ط إحياء الكتب العربية (ص: 16).
(7) منهاج السنة النبوية (7/ 379).

بلال، وعامر بن فُهَيرة[1]، وكان رضي الله عنه يكد ويكدح ليل نهار لنصرة هذا الدين القويم، وإعلاء كلمة الله ومؤازرة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد بذل جميع أمواله لإعزاز الإسلام، فأنفق على الضعفاء, وساعد البائسين والمحتاجين من المسلمين، وأعتق كثيرًا من الأرقاء، الذين أذاقهم أعداء الإسلام ألوان العذاب، وثبت أنه أسلم ولديه أربعون ألفًا من الدنانير أنفقها في سبيل الله.

قال عمر بن الخطاب ﷺ"أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا أن نتصدق، فوافق ذلك مالًا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أبقيت لأهلك؟»، قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر ﷺ بكل ما عنده، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدًا"[2].

عمله:

كان أبو بكر تاجرًا، تارة يسافر في تجارته، وتارة لا يسافر، وقد سافر إلى الشام في تجارته في الإسلام، والتجارة كانت أشرف مكاسب قريش، وكان خيار أهل الأموال منهم أهل التجارة، وكانت العرب تعرفهم بالتجارة، ولما ولي أراد أن يتجر لعياله فمنعه المسلمون، وقالوا: هذا يشغلك عن مصالح المسلمين[3]، وفرضوا له درهمين كل يوم[4].

زوجاته وأولاده:

تزوج أبو بكر في الجاهلية (قتيلة بنت سعد) فولدت له عبد الله وأسماء، أما عبد الله فإنه شهد يوم الطائف مع النبي صلى الله عليه وسلم وبقي إلى خلافة أبيه، ومات في خلافته، أما أسماء فهي ذات النطاقين، وهي التي قطعت قطعة من نطاقها فربطت به على فم السفرة في الجراب التي صنعت لرسول الله وأبي بكر عند قيامها بالهجرة وبذلك سميت (ذات النطاقين)، وهي أسن

(1) تفسير الطبري جامع البيان، ت شاكر(24 /480).
(2) سنن أبي داود (2/ 129).
(3)منهاج السنة النبوية (8/ 546).
(4) منهاج السنة النبوية (7/ 480).

من عائشة، وكانت أسماء أشجع نساء الإسلام، وأثبتهن جأشًا، وأعظمهن تربية للولد على الشهامة، وعزة النفس، تزوجها الزبير بمكة فولدت له عدة أولاد، ثم طلقها فكانت مع ابنها عبد الله بن الزبير حتى قتل بمكة، وعاشت مائة سنة حتى عميت وماتت.

وتزوج أبو بكر أيضًا في الجاهلية (أم رومان) فولدت له عبد الرحمن، وعائشة زوجة رسول الله توفيت في حياة رسول الله في سنة ست من الهجرة فنزل رسول الله قبرها واستغفر لها، فعبد الرحمن شقيق عائشة، شهد بدرًا وأحدًا مع الكفار، ودعا إلى البِراز فقام إليه أبو بكر ليبارزه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (متعنا بنفسك) وكان شجاعًا راميًا، أسلم في هدنة الحديبية وحسن إسلامه، شهد اليمامة مع خالد بن الوليد فقتل وهو من أكابرهم، وهو الذي قتل محكم اليمامة ابن الطفيل الذي كان من قواد بني حنيفة المشهورين، رماه بسهم في نحره فقتله، وكان عبد الرحمن أسن ولد أبي بكر وكان فيه دعابة، توفي فجأة بمكان اسمه حبش على نحو عشرة أميال من مكة، وحمل إلى مكة ودفن فيها، وكان موته سنة 53 هجرية.

وتزوج أبو بكر في الإسلام (أسماء بنت عُمَيس) وكانت قبله عند جعفر بن أبي طالب، فلما قتل جعفر تزوجها أبو بكر الصديق فولدت له محمد بن أبي بكر ثم مات عنها فتزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وتزوج أيضًا في الإسلام (حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير الخزرجي) فولدت له جارية سمتها عائشة أم كلثوم، تزوجها طلحة بن عبيد الله فولدت له زكريا وعائشة، ثم قتل عنها فتزوجها عبد الرحمن بن عبيد الله بن أبي ربيعة المخزومي[1].

وفاته:

في 22 جمادى الآخرة سنة 13هـ (23 آب أغسطس سنة 634 م) توفي أبو بكر رضي الله عنه لثمان بقين من جمادى الآخرة ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء وهو ابن ثلاث وستين سنة، وكان قد سمه اليهود في أرز، وقيل في حريرة وهي الحساء، فأكل هو والحارث بن كلدة، وقال لأبي بكر: أكلنا طعاما مسمومًا سُمَّ سنة فماتا بعده بسنة، وقيل إنه اغتسل وكان يومًا باردًا

(1) أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين ط إحياء الكتب العربية (ص: 17-19).

فحمَّ خمسة عشر يومًا لا يخرج إلى الصلاة، فأمر عمر أن يصلي بالناس. ولما مرض قال له الناس ألا ندعو الطبيب؟ فقال: أتاني وقال لي أنا فاعل ما أريد، فعلموا مراده وسكتوا عنه ثم مات. وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال، وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس وابنه عبد الرحمن وأن يكفن في ثوبيه ويشتري معهما ثوب ثالث ودفن ليلة وفاته وصلى عليه عمر بن الخطاب، وكبر عليه أربعًا في مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين القبر والمنبر، ودخل قبره ابنه عبد الرحمن وعمر وعثمان وطلحة وجعل رأسه عند كتفي النبي صلى الله عليه وسلم وألصقوا لحده بلحد النبي صلى الله عليه وسلم وجعل قبره مثل قبره مسطحًا، وكان آخر ما تكلم به:(توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين) وكانت عائشة رضي الله عنها تمرضه[1].

اللهم احشرنا في زمرة الصديقين وأمتنا على محبتهم واجعلنا من أتباعهم .

(1) انظر: أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين، إحياء الكتب العربية، (ص155-156).

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله الذي جعل لنا من العلم نورًا نهتدي به، وبعد:

إن خطب العرب في عصور ازدهار اللغة هي المرآة التي تكشف عن من حباهم الله من فصاحة اللسان، وعذوبة البيان، ومعرض يتمثل فيه نتاج قرائحهم، وثمرات ألبابهم في كثير من مناحي القول، وإنها لتعد – بعد القرآن الكريم والحديث الشريف – مثالًا ساميًا للبلاغة العربية، ونموذجًا قويمًا يحتذيه المتأدب في تقويم قلمه المعوج، وشحذ لسانه الكليل، وهي فوق ذلك معين فياض يستقي منه مؤرخ الأدب العربي ما يَعنيه من الآراء والأفكار التي تشمل جميع مناحي كثيرة في الحياة، وقد اهتم القدماء بالخطبة بشكل كبير، وكان هذا الاهتمام بشكل أكبر عند الخلفاء الراشدين، حيث كانت تقام الخطب في مناسبات تستوجب قولها، وقد كان من بينهم أبو بكر الصديق الذي مزج خطبه بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والحكم والمواعظ التي تدعم موضوعات خطبه وتقويه، ونحن في هذا الفصل بصدد مناقشة موضوع الخطابة بالشكل النظري حيث سنتحدث عن ثلاثة مباحث في هذا الفصل، فالأول يتناول ماهية الخطابة وبناءها وسماتها الفنية العامة، والثاني يتحدث عن نشأة الخطابة في العصر الجاهلي وموضوعاتها في هذا العصر وأشهر خطبائها والخصائص الفنية للخطب في هذا العصر، أما المبحث الثالث فيتناول الخطابة في صدر الإسلام وموضوعاتها وأشهر خطبائها والخصائص الفنية لهذا العصر.

المبحث الأول
الخطـــــــابة

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- **ماهية الخطابة.**
- **البناء الفني للخطابة.**
- **السمات الفنية العامة للخطابة.**

مـاهية الخطابــة

ماهية الخطابة (تعريفها):

اتخذ الإنسان من الفن وسيلة يعبر من خلالها عن بقائه ووجوده وتحقيق ما يتعذر عليه تحقيقه في الواقع، فالفن "ليس تمثيلًا ماديًا للظلال والتجارب المعنوية التي يعاينها الإنسان فيما يحاول أن يحقق ذاته متنازعًا مع الإنسان والقدر ومع نفسه في سبيل القبض على سراب اليقين الذي يتراءى له ويوهمه"[1].

"والخطابة التي هي فن من فنون القول، يخاطب بها الجمهور، ويتجه إلى الإقناع والتأثير عن طريق السمع والبصر معًا، فالقدرة على النظر في كل ما يؤدي إلى الإقناع أساس هذا الفن"[2]، وهذ الاقتناع والتأثير الذي تهدف إليه الخطابة من خلال توصيل أفكار ذهنية جامدة لا يمكن أن تتحقق دون أن تتحول هذه الأفكار إلى عواطف ينفعل بها السامع، فالخطيب بالدرجة الأولى مطالب بالاستعانة بوسائل متنوعة تحول الأفكار إلى عواطف.

"إن الخطيب لا يتحدث إلى عقول السامعين فحسب، بل يحاول كذلك أن ينفذ إلى عواطفهم ومن ثم إلى إرادتهم"[3]، فالإمام علي في خطبة الجهاد لم يكن يحاول أن يفهم المقاتلين معنى التقوى بقدر ما يسعى لاستثارة تلك العاطفة عن طريق المقارنة بين الجنة ونعيمها وجهنم وعذابها، وذل القاعدين عن الجهاد حتى ينتقلوا من القعود إلى الجهاد والصبر والطاعة، ولا يقف الأمر في الخطابة عند النفاذ إلى العواطف بل لا بد من تحريك الخيال ليقف مع العاطفة للانتقال بتلك الأفكار الذهنية الجامدة إلى التحقق في الواقع، فالخيال وظيفته تتفاقم في الخطابة لانبنائها على التأثير، فالإنسان يتأثر بما يشخص أمامه ويراه، ولعل في خطبة الحجاج بن

(1) فن الخطابة وتطوره عند العرب، إيليا حاوي، ص7.

(2) الخطابة في صدر الإسلام، محمد طاهر درويش، ص1.

(3)Working principles of Rhercoric P.644.

يوسف لما خرج واليًا على العراق ما يكشف لنا تلاحم العاطفة والخيال في الخطابة التي يقول الشاعر سميم بن وثيم الريحاني في مقدمتها متمثلاً ببيتين من الشعر[1]:

أنـــا ابـــنُ جَـــلا وطـــلاَّعُ الثنايـــا متـــى أضـــعِ العمامـــةَ تعرفـــوني
صـــليبُ العـــود مـــن سَـــلَفي نـــزارٍ كنصـــلِ الســـيفِ وضَّـــاحُ الجبـــينِ

إلى آخر الخطبة التي يتكئ فيها على الصور لتجسيد مشاعره، فقد عمد إلى التخيل والتهويم، فإذا به ينتقل بالسامعين عبر الوهم من الواقع الذي يعايشونه في المسجد إلى واقع خيالي آخر لهم فيه الدماء وهي تتسرب مما بين الدماء والعمائم والرؤوس الملتوية الأعناق.

ولا يعني حضور العاطفة والخيال غياب المنطق عن الخطابة، بل العكس، فالخطيب يستعين به كما يتوسل بالعاطفة والخيال، وهذا الأمر ليس غريبًا. فمن خلال تاريخ الخطابة العربية عامة والعالمية خاصة يتضح لنا "أن الخطباء هم في الواقع من كبار المفكرين الذين اعتراهم الذهول لشدة تفكيرهم بواقع الحياة وربما وراء ذلك الواقع، ولقد كان لهؤلاء نظرة ومفهوم عام عللوا به واقع الحياة، وحاولوا أن ينظموا به صيرورة البشر"[2].

والباحثة من خلال ما سبق تستطيع الاستنتاج بأن الخطابة ترتكز على قاعدتين أساسيتين هما: الإقناع والتأثير، ولتحقيق ذلك تتوسل بالعاطفة والخيال والمنطق، وهذه الميزة تجعل الخطابة تفترق عن الكتابة لأنها تفتقر إلى ما يحتاجه الخطيب من جمهور يشافهه، وتختلف كذلك عن الحديث والقصص ورواية الأخبار، ولأنها تحتاج إلى عنصرين لا يتوفران في هذه الأنواع، هما: الإقناع والتأثير، وتختلف كذلك عن الشعر الذي يخلو تمامًا من التقرير والمنطق والبرهان والدليل إلا نادرًا.

(1) عيون الأخبار، ابن قتيبة.
(2) فن لخطابة وتطوره عند العرب، إيليا حاوي، ص13.

نشأتها:

الخطابة فن قديم، نشأ مع الإنسان، وهي حاضرة في كل أمة عرفها التاريخ، ففي آثار المصريين القدامى خطب دونت بالهيروغليفية، كان يقوم بها الملوك ورجال الدين[1]، وللآشوريين خطب كتبت باللغة المسمارية، وكان لليونان والرومان خطباء هزوا أعواد المنابر، وكان بوذا يخلب الألباب ببليغ كلامه، وكذلك الأنبياء الذين هزوا عروش الطغاة وقادوا الأمم بالمنطق الفصل والحجة الدامغة، والباحثة سوف تتناول بالتفصيل نشأة الخطابة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، وذلك لأن موضوع الدراسة هو خطب أبي بكر الصديق ﷺ الذي عاصر صدر الإسلام والجاهلية كذلك، فإن مثل هذا التناول سيساعد الباحثة في تفسير خطب أبي بكر الصديق من الناحيتين الموضوعية والفنية، وهو المنهج الذي اتخذه للدراسة.

واستنادًا إلى ذلك فإن الحديث عن نشأة الخطابة سينصب على زمنين أو عصرين اثنين هما:

1. **الخطابة في العصر الجاهلي:** وسوف تعرض فيه الباحثة نشأتها، وأقسامها، وخصائصها، وأشهر خطباء الجاهلية.
2. **الخطابة في صدر الإسلام:** وسوف تتناول الباحثة فيه: تطور الخطابة في هذا العصر وأقسام الخطابة في صدر الإسلام، وخصائص الخطابة في صدر الإسلام وأشهر الخطباء في هذا العصر.

البناء الفني للخطابة:

تتألَّف الخطبة – من حيث إطارُها العام وهيكلها – من مقدمة وخاتمة، ومن موضوع يربط بين مقدمة الخطبة وخاتمتها، ويكون الموضوع هو حلقة الوصل بينهما.

إن أهمَّ ما ينبغي في الخطبة هو مقدمتها المشتملة على براعة الاستهلال، ثم ما في جعبة الخطيب من أدوات، ثم وضوح المقصد والمعني بجلاء، ومن خلال جمل قصيرة مؤثرة،

(1) الخطابة في صدر الإسلام ص 3.

وتقسيم الخطبة إلى أقسام واضحة المعالم، ثم موضوعها وهو لُبُّها وزبدتها، ثم خاتمة الخطبة وهو أن تشتمل على عبارات يسهل تذكُّرها أو حفظها بعد أن ينتهي الخطيب من حديثه، وهذه العناصر متداخلة فيما بينها، يبلغ الترابط بينها ذروته وجودته حسب مقدرة الخطيب، وغزارة معلوماته، ومهارته وخبرته.

لاشك أن من يريد إلقاء خطبة في موضوع ما يجمع العناصر و يقوم بترتيبها و يضع كل عنصر في مكانه ثم يبدأ في التعبير عن كل عنصر و قد تحدث عملية جمع العناصر في أسرع وقت وأقصر زمن كما في الخطب الارتجالية والمجاوبات والمناقشات الخطابية وقد تحدث بعد تروية وإمعان وتفكير وفي زمن طويل وذلك في الخطب التي تهيأ وتحضر.

وفي هذه الدراسة سنبين الباحثة هيكلية الخطبة على النحو التالي.

أولًا: المقدمة:

وهي المدخل والمفتاح للموضوع الذي سيختاره الخطيب، و هي أول ما يظهر من الخطبة تمهيدًا للموضوع، وهي عبارة عن عددٍ قليل من العبارات التي يمكن من خلالها تقديم تلخيص لأهمِّ جوانب الموضوع، بحيث لا تشتِّت فكر المستمع، ولا بُدَّ أن تكون متناسبةً مع مضمون الخطبة، ومقدمة كل خطبة بحسب الموضوع، والهدف من المقدمة هو جلب انتباه الحاضرين إلى ما وراء المقدمة، وتهيئتهم لسماع ما سيقول لهم الخطيب، وللمقدمة الأثر الفعَّال في نجاح الخطيب أو فشله، فإن كانت المقدمة بما حوته من ألفاظٍ ومعانٍ محكمةِ المبنى والمعنى، متينة الأسلوب، قوية التأثير، متضمِّنة للمقصود – كان لها الأثر في تنبيه الحاضرين، وإيقاظ الغافلين، و بها يتمكَّن الخطيب الناجح من أن يملك زمام الأمر، ويأخذ بناصية الموقف، وهي بمثابة المحرِّك لاستكمال الخطبة بهدوء وسكينة وثقة نفس.

ويجب أن تحتوي على فاتحة للخطبة كالبسملة والحمد لله والصلاة على الحبيب صلى الله عليه و سلم وفي هذا السياق يقول الجاحظ "إن خطباء السلف الطيب، وأهل البيان من التابعين بإحسان ما زالوا يسمون الخطبة التي لم تبدأ بالحمد : البتراء"[1].

وكذلك يجب أن تتضمن الجملة الرئيسية أو الموضوع الرئيسي الذي تدور حوله الخطبة بمعنى أن المقدمة يجب أن تفصح عن الموضوع وعن هدف الخطيب ويجب أن تكون مشوقة لما سيأتي بعدها وأن تكون عباراتها قصيرة ذات إيقاع حتى لا يمل المستمعون من الكلام بعدها[2].

وقد عرفها صاحب الخطابة و الخطيب "أنها مدخل يمهد فيه الخطيب للأفكار التي سيعرضها في خطبته ويستوفى فيها جلب انتباه السامعين إلى الموضوع الذي يريد بحثه في خطبته"[3].

وحتى تؤتي المقدمة أكلها لا بد من مراعاة ما يلي :

- أن تتضمَّن المقدِّمة ما يسمى عند علماء المعاني في علم البلاغة **ببراعة استهلال،** وحسن الابتداء، وقوة الافتتاح، وأدنى من ذلك حسن الاستهلال.

وبراعة الاستهلال هي: أن يبتدأ الكلام بما يناسب المقصود والمضمون، وهي تقع في بداية الكلام وديباجته، والخطب تبدأ عادة بحمد الله، والصلاة على رسوله – صلى الله عليه وسلم (4)ثم الإشارة إلى الموضوع "ولبراعة الاستهلال أثرها في تدعيم موقف الخطيب، وغرس الثقة في نفسه، ليتابع طرح موضوع خطبته بكمال القوة والثبات" فإذا ما فاجأ الخطيب المستمعين ببراعة التقديم، استطاع متابعة حديثة بنشوة، وثقة عالية، وقد اهتم القرآن الكريم بهذا الأسلوب في مطالع السور، وبداياتها.

(1) البيان والتبيين للجاحظ (6/2).
(2) انظر فن الخطابة (ص117 – 120).
(3) الخطابة والخطيب (ص46).

4 http://www.alukah.net/sharia/0/8008/#_ftn1

- **الابتعاد عن الألفاظ المعقَّدة والمبهمة،** التي يغيب فهمها عن العوام، وكذا تجنُّب الألفاظ العامية؛ لأنها تعطي انطباعًا لدى الجمهور على سطحية الفهم لدى الخطيب، وعدم النضوج لديه، ولا بأس أحيانًا من استخدام عبارات جديدة؛ من أجل أن تحقِّق انسجامًا بين الخطيب والمستمع، ولكنَّ استعمالها يجب أن يكون بحذرٍ ودقَّة، وخاصَّة تلك التي تحتمل حقًّا وباطلًا؛ لأنها في بداية الخطبة ومفتاح الدخول للجمهور . ويجب التنوُّع والتجديد في طريقة تناول الموضوع، وأسلوب الاستهلال، والابتعاد عن التكرار في مقدمة الخطبة؛ حتى لا تكون كأنها نسخة مكرَّرة، وبعض الخطباء يستهلُّ خطبته دائمًا بألفاظ معينة يلتزم بها في كل خطبة، حتى أصبحت محفوظة مكرَّرة لدى المصلِّين، تدعو إلى الملل والسأم.
- **مراعاة الوقت :** وهي من الأخطاء التي يقع فيها بعض الخطباء، فترى أحدهم يطيل المقدمة، أو تقصر كثيرًا ولهذا يراعى في المقدمة "أن تكون مناسبة في الطول و القصر لزمن الخطبة ؛ لأن المقدمة تعني افتتاحاً للفت انتباه السامعين في القصد من الخطبة.
- **التنبيه على موضوع الخطبة سلفًا :** وهو ممَّا يريح المستمع من الاستنتاج، ويجعله وعاء وأرضًا خصبة لتلقِّي المعلومة، والأفضل أن يبدأ الخطيب بطرح الموضوع على شكل نقاط، أو مَحَاوِر، فيقول مثلًا: كلامنا يدور حول أهمية الصلاة في الإسلام في ثلاث مسائل: هي كذا...، أو يقول: خطبتنا اليوم هي حول العِبَر والعظات المستقاة من حادثة الإسراء والمعراج، أو يفهم الناس من مقدمة الخطبة بأن موضوعها هو كذا، كأن يقول: الحمد لله الذي جعل الصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين[1].

وتتنوع المقدمة إلى الأنواع الآتية[2]:

1. نص قرآني (آية أو أكثر).
2. حديث نبوي شريف.
3. حكمة مأثورة.

---

1 : انظر http://www.alukah.net/sharia/0/8008/#ixzz43f13Ftjo

(2) خصائص الخطبة والخطيب (ص57).

4. فكرة الموضوع بصورة موجزة.

5. قصة قصيرة مثيرة.

6. المناسبة التي أعد لها خطبة.

ثانيًا: الموضوع:

هو الجزء الرئيسي من الخطبة "هو اللب" وفيه يتم عرض أفكار الخطيب للمستمعين ومحاولة إقناعهم بها من خلال اختيار اللفظ المناسب لإيصال المعنى الذي يتلاءم مع الجو العام للخطبة ومراعاة وحدة الموضوع وذلك من خلال ربط الأفكار الثانوية بالموضوع الرئيسي الذي تعالجه الخطبة.

وعرفه نذير مكتبي بأنه مجموعة الأفكار التي يريد الخطيب معالجتها في خطبته وطرحها على السامعين[1].

ويجب أن ترتكز جميع أفكار الخطبة ترتكز إلى موضوع واحد يدور حوله الكلام، ويتم جلب الأدلة لتأييده وتقويته، وما على الخطيب سوى تعميق الفكرة وتثبيتها؛ لأن هذا يثير انفعال السامعين ويدفعهم إلى العمل بما يدعو إليه الخطيب، ويجب عليه أن يأتي بأدلة واضحة وقريبة متصلة بما عرضه في موضوعه.

فإن استطاع الخطيب أن يستغني عن المقدمة أحيانا أو عن الخاتمة فلا يستطيع أن يستغني عن عرض الموضوع، لأنه الخطبة نفسها أيًا كان نوعها.

(1) خصائص الخطابة والخطيب (ص50).

وحتى يكون الموضوع جيدا وناجحا هناك شروط لجودته ونجاحه[1]:

- اختيار موضوع الخطبة المناسب. فيجب أن يختار الموضوع بحيث تتعلق فكرته بالمناسبة التي أعد موضوع خطبته من أجلها ومراعاة الجمهور المستمع في ثقافته وظروفه وأحواله واختيار الوقت المناسب لموضوعه.
- يجب على الخطيب أن يعد لموضوعه إعدادًا كاملا ويحضر جميع أفكاره تحضيرا جيدا.
- أن يرتب الخطبة بحيث يكون أفكاراً متسلسلاً.
- أن يمتاز الموضوع بالوضوح حتى يتقبله السامعون.
- يجب أن يسوق الأدلة النقلية والعقلية والواقعية لموضوعه.

وحتى يصل الموضوع بشكل جيد للمستمع فإن على الخطيب أن يراعي ما يسمَّى بهندسة الصوت، وأن تكون نبرات الصوت ملائمةً للحدث، والموقف، والحال، ففي مقدمة الخطبة يستوجب من الخطيب أن يبدأها بقراءة كالقراءة والتجويد تمامًا، فإذا وصل إلى موضوع الخطبة رفع من صوته، وما بين مقدمة الخطبة وخاتمتها يكون صوته كالرسم البياني، يرفع ويخفض بحسب ما يلائم الموضوع، ومن الأخطاء في هذا الجانب أن يبدأ بعض الخطباء بصوت مرتفع، فلا يَصِل إلى الموضوع إلاَّ وهو متعبٌ منهك القوى، فيفقد كثيرًا من قدراته الصوتية. و عند تلاوة الآيات ينبغي عدم عرضها بصورة نصِّيَّة أكاديمية، بل لا بُدَّ من توضيح المعنى من خلال الإلقاء أو استخراج فوائدها ولو بشكل مختصر، كأن يقول الخطيب: "الحمد الذي جعل تقواه سببًا للفرج، ونزول الرزق، وحلول البركة؛ قال – تعالى ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا**﴾[2]

ثالثًا: الخاتمة:

هي إجمال ما جاء في الخطبة من أفكار وهي الكلمة الأخيرة التي يوجهها الخطيب للناس، وهي التي تبقى عادة في أذهانهم لكونها تحمل إيذانا باكتمال الموضوع وتحقق المقصود[3].

(1) انظر الخطابة والخطيب (ص 50– 53) خصائص الخطبة والخطيب (ص57– 62).
(2) الطلاق: 2.
(3) الخطاب والخطيب (ص 62).

كما أنها آخر ما يلقيه الخطيب من خطبته وما سينهي الخطيب خطبته به، و سيكون لها الأثر الباقي والواضح ؛ إذ هي آخر كلامه ذكرًا، ويتحقَّق بها تمام الموضوع و كماله وهي التي تعلق في نفوس السامعين وتتصل بقلوبهم ؛ لذلك يجب أن يكون فيها من جمال التعبير وحسن الانسجام وجودة المعنى وإصابة الغرض، ويسمَّى ذلك "حسن الانتهاء"، كما أن براعة الاستهلال تسمَّى حسن المطلع" وكما يجب التألُّق في المطلع، تجب البراعة في المقطع؛ إذ هو الأثر الباقي في نفوس المستمعين بعد الإتمام، وآخر ما يتردَّد صداه في قلوبهم، وبه تتمُّ الفائدة".

ويستحسن أن تكون الخاتمة مشتملة على موجز بما سبق في موضوع الخطبة وتوضيح كامل لغايته ومرماه وأن تكون مثيرة للعاطفة في الأمر الذي يريده الخطيب ولابد أن تكون الخاتمة قصيرة حاسمة ومشوقة ومركزة وجامعة للفكرة ويجب أن تتسم الدقة والوضوح والقوة والتأثير وروعة الأداء وجمال التعبير وينبغي أن تكون قصيرة بالنسبة لموضوع الخطبة.

وهناك أنواع لخاتمة الخطبة[1]:

- أن تكون موجزة تتلخص فيها أفكار الموضوع وذلك بأن يجمل الخطيب في خاتمة خطبته الأفكار التي بحثها في موضوعه ليدرك السامع ما فاته من أفكار خلال الخطبة
- ن يختم الخطب الخطيب موضوعه بتأكيد الفكرة الرئيسة التي ناقشها في خطبته.
- أن يؤكد للجمهور ضرورة الالتزام والعمل بما بحثه في موضوعه أو يأخذ عليهم العهد بالتزام ما حدثهم به والعمل على تطبيقه.
- أن يختم موضوعه بنص قرآني أو حديث نبوي شريف أو قول أحد العلماء والمفكرين.

وأما أهمية خاتمة الخطبة: فلأنها هي آخر ما يقال في الخطبة فإنه سيكون لها الأثر في بقاء قوة الخطبة في أذهان المستمعين، لذا فهي آخر ما سينساه المستمع من حديث الخطيب؛ والسبب أن المستمع يركِّز على مقدمة الخطبة وخاتمتها، أما في وسطها وما يتعلَّق بموضوع الخطبة، فربما أصيب المستمع بقلة التركيز، وشرود الذهن، فوجب على الخطيب الاهتمام بالخاتمة، وأن واضحة مؤثرة وتتسم بالجمال والروعة.

(1) انظر خصائص الخطبة والخطيب (ص63- 64).

فائدة حسن الختام في الخطب:

1. فمن فوائد حسن الانتهاء والختام أن يتمَّ بذلك إقناعُ المستمعين، وتبصيرهم وتنويرهم، وهو إنَّما يتمُّ بإجمال ما ذكر من الموضوع، واختصار ما ذكر بأحسن لفظ، وأوجز بيان وأخصره، ولو جعلت الخطبة مبتورةً عن خاتمتها لفات ذلك المقصد العظيم، مع ما يترتَّب عليه من سلبيات، ومخالفة الخطابية.

2. تقوية الرغبة، وشحذ الهمَّة من جديد، بما أوصى به الخطيب من وصايا في موضوع الخطبة، وهو يتطلَّب مهارة في إلهاب الحماس، وتحريك العواطف، بنفس الاندفاع والإثارة في بداية الخطبة الأولى؛ لئلاَّ تذهب حلاوة الموضوع وحرارته من نفوس السامعين، وليس من السُّنَّة أن تكون الخطبة الثانية مقتصرةً على الدعاء خالية من الوعظ، بل ينبغي أن يكون لها صلة بالخطبة الأولى، أو فيها استكمال للنقاط التي طرحت فيها، أو استكمال للموضوع بنقاط وأفكار جديدة".

ويتطلب في خاتمة الخطبة ما يلي:

1. أن تكون ملخصًا لما جاء في موضوع الخطبة؛ ليخرج السامع وقد وضحت الفكرة لديه، وتبيَّن المطلوب عنده، ولكن يُرَاعَى في التلخيص أهمُّ ما جاء فيها من بيانات، ويظهرها في "صورة جديدة وأسلوب رشيق؛ لئلا تذهب حلاوتها و طلاوتها، وحتى لا تكون إعادة أدلَّتها من باب التكرار المُمِلِّ المعيب"[1]، وهو مما يملُّه السامعون عادة، ولا ينبغي للخاتمة أن تحتوى على أفكارٍ وأطروحات جديدة تخالف مضمون الخطبة الأولى؛ لأنها تخرج حينئذ عن طبيعة الخاتمة، بل تطبع إنشاء جديد، وهو من شأنه أن يؤدِّيَ إلى ضياع الفكرة وتشتت الذهن.

2. أن تكون قصيرةً بالنسبة لزمن الخطبة الأولى، ولأن الخاتمة تتضمَّن أمورًا منها: التلخيص، والوصية، وعبارة الختام، والدعاء لولاة الأمر، ولعموم المسلمين، وجعلها أطول من الأولى يفقد الخطبة حلاوتها وتأثيرها، حتى ولو كانت الخطبة الأولى في غاية البيان.

1 فن الخطابة و إعداد الخطيب لعلي محفوظ (ص 59).

3. أن تكون واضحة وقوية؛ لأن الخلل أو الزلل يُربِك الخطيب ويضيع جهوده، ويؤدي إلى نسيان موضوع الخطبة.

4. يمكن للخطيب أن يهيِّئ الجمهور للخاتمة بعباراتٍ يفهم منها أنها – أي: الخطبة – على وَشْك الانتهاء والختام، وهو ما يسمَّى بالنغمة المتغيِّرة، وهو ما يعطي تأكيدًا لفظيًّا للمستمع، ويريحه من الانتظار.

ويجب أن تكون الخطة ختامها مسك حتى تعبر عن ما جاء في الخطبة فيجب أن تكون هناك عبارات تدل على الختام مثل الدعاء والوصية، فالخطباء يتفننون بالخطبة بأسلوب أدبي رائع، فيعرف الناس أنهم قد شارفوا على الانتهاء من حديثهم، وقد كان الخليفة الراشد أبو بكر إذا تكلَّم به عُرِف أنه قد فرغ من خطبته: "اللهم اجعل خير زماني آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك"، أمَّا عمر بن الخطاب فكان أكثر خواتيم خطبه: "اللهم لا تدعني في غمرة، ولا تأخذني على غِرَّة، ولا تجعلني من الغافلين"، وكما كان الخليفة عبد الملك بن مروان يقول في آخر خطبته: "اللهم إن ذنوبي قد عظمت، وجلَّت أن تحصى، وهي صغيرةٌ في جنب عفوك، فاعفُ عني".

السمات الفنية العامة للخطابة:

1. كثرة الجمل الإنشائية و الألفاظ التأثيرية و الكلمات الإيحائية التي يستثير إيقاعها المشاعر، و يؤجج معناها العواطف ويهز جرسها أعماق النفوس.

2. اعتماد الجمل القصيرة و العبارات الخاطفة التي تتناسب مع نفس الخطيب و قوة صوته و تساعد على تأمين جو التفاعل بين المتكلمين و الجمهور المستمع إليه[1].

3. وضوح العبارات و ظهور معانيها بحيث يكون الغرض الذي يهدف إليه مفهومًا للسامعين، لهذا عليه عدم استخدام عبارات غامضة و لا تعبيرات مجازية بعيدة المعنى.

4. في مقامات التهويل و الإثارة يحسن استعمال صيغ التعجب لأنها تؤدي في هذه المقامات ما لا تؤديه الجمل الخبرية و الاستفهام الإنكاري يكاد يكون حجة مسلمًا بها فضلًا عما فيه من جبه وآثاره و يجب عليه عدم الإكثار منها إلا في الوقت المناسب بحيث لا تفقد تأثيرها.

5. قد يستعين الخطيب بعرض قصة أو حدث تاريخي للاستشهاد به على ما يقول و هذا مفيد و ناجح في أكثر أحيانه و لكنه يفسده طول القصة أو الإكثار من ذكرها فهذا يجعل الخطبة درسًا و الدرس للتفهيم و ليس للاستمالة و القصة التي تورد في الخطبة يراد منها الاستمالة و يكفي فيها قص حدث أو واقعة تأييدًا لما جاء في خطبة.

6. تختلف ألفاظ الخطبة و عباراتها بحسب المقام الذي يقال فيه، فخطب التهديد و الوعيد، وخطب الحرب و إخضاع المتمردين تمتاز بقوة العبارة و فخامة التعبير واستعمال الكلمات الشديدة الغليظة أما في حال السلم و الهدوء التي لا تعدو الخطبة فيها إلا أن تكون نصيحة فلا داعي لهذه الشدة و يكفي استعمال الألفاظ المألوفة و الرقيقة.

(1) خصائص الخطبة والخطيب، نذير مكتبي (ص 66).

7. تختلف الخطبة أيضًا طولًا و قصرًا بحسب مقاماتها فالخطبة التي تقال لإطفاء شغب على الوالي لعمله أمرًا لا يرضه قومه تكون قصيرة مقتصرة على أهم أغراضها وتستعمل مع ذلك الأسلوب القوي و تجمع بين التحذير و التبشير، و تهديد المتمردين.

أما الخطب التي تتعرض لشرح مصطلحات أو توضيح مبادئ قانونية فإنها تطول و تمتد حسبما يقتضي الأمر و هذا كثيرًا ما تجده في الخطب البرلمانية و كذلك الأمر في خطب المحامين لأنها قد تتعرض لدفع تُهم متعددة و إقامة براهين عديدة أيضًا فيدعو ذلك لإطالتها، و قد تكون القضية سهلة فلا تحتاج إلى الاستدلال القانوني[1].

8. التصرف في فنون القول بأن تتعاقب المعاني بضروب مختلفة من التعابير مثل التقرير والتعجب والتهكم والنفي وذلك ليكسب كلامه جدة ولئلا يذهب نشاط السامعين ويعتريهم السأم والملل.

9. حسن التآلف بين الكلمات وتآخي النغم, بحيث تنحدر الكلمات على اللسان في يسر وسهولة، ويحسن وقعها فلا تكون واحدة منها نابية عن أخواتها أو ساكنة في غير مستقرها فتكون قلقة في النطق وثقيلة على السمع.

10. تنوع الأساليب بتنوع المقامات وبتنوع أحوال السامعين وبمراعاة سن الخطيب ومنصبه وعمله وما يليق صدوره عنه وما لا يليق؛ فلكل مقام نوع من الأساليب.

11. تجميل الكلمات في بعض الأحوال بسجع قليل غير بادي التكلف قصير الفقرات[2].

12. تتوجه إلى الجمهور على اختلاف مداركهم وثقافاتهم وميولهم الفكرية والنفسية.

13. تتوخى الإقناع والاستمالة بالحجة العقلية طورا وبالتأثير العاطفي طورا آخر، وبهما معا على ما سيجيء بسطه إن شاء الله، قال ابن رشد :"لا توجد قوة الإقناع إلاَّ في الخطابة والجدل" وقال في موضع آخر :"وليس عمل هذه الصناعة – يعني الخطابة

(1) انظر الخطابة وإعداد الخطيب لعبد الجليل عبده شلبي (ص 23-27).
(2) انظر الخطابة. أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب لمحمد أبو زهرة (ص148-151).

– أن تقنع ولابد، وقد يقنع من ليس بخطيب، وإن كان الأصل في الخطيب الإقناع كالبرء في الطبيب"

14. قد يكون موضوع الخطبة معلوما للسامعين من قبل وقد لا يكون.

15. يعتمد نجاح الخطبة على مكانة الخطيب وجاهه، علما أو فضلًا أو إصلاحا أو ألفًا أو تفاعله أثناء الخطبة، ويظهر صدقه في لهجته ونبرات صوته[1].

(1)الدراسة النظرية للخطابة د . عبد الرب بن نواب الدين (ص6-7) .

المبحث الثاني
الخطابة في العصر الجاهلي

- نشأة الخطابة في العصر الجاهلي
- موضوعات الخطابة في العصر الجاهلي
- أشهر خطباء العصر الجاهلي
- الخصائص الفنية للخطابة في العصر الجاهلي

الخطابة في العصر الجاهلي

نشأة الخطابة في العصر الجاهلي:

نشأة الخطابة قديمة قدم الجماعات الأولى في البيئة العربية، وهي متأخرة في تدوينها عن الشعر، ولم تحفظ كالشعر الذي سهل حفظه لارتباطه بالوزن والإيقاع والوجدان، لأن الأمية هي الغالبية عند العرب في ذلك العصر وانحسار الكتابة في بيئات محدودة ولغايات تجارية وغلبت الأمية وانحسار الكتابة جعل الشك في كل ما وصلنا من النثر الجاهلي قائمًا ولكن هذا الشك لا يقوى على إنكار وجود الخطابة في ذلك العصر وذلك لأن ارتباط الخطابة بالأمم ارتباط طبيعي، فلا يمكن لأي أمة أن تستغني عن الخطابة لحاجتها الماسة إليها، "فالحياة العامة في ذلك العصر تستدعي وجود هذا الفن، فالحياة القبلية وما تستدعيه من منازعات وخصومات وحروب، وما تؤدي إليه هذه الحروب أحيانًا من محاولات لإصلاح ذات البين ونشر السلم بين القبائل المتنازعة، واضطراب الحياة الدينية عند العرب قبل الإسلام وما رافق هذا الاضطراب من محاولات للإرشاد والدعوة إلى نبذ عبادة الأوثان، وما فطر عليه العرب من فصاحة ولسن وحضور بديهة، كل ذلك أمور كانت تستدعي معرفة العرب الجاهليين بالخطابة، بل أن تصيب عندهم خطًا في الرقي"[1].

أقسامها في العصر الجاهلي:

إذا كان الفن يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالبيئة والحياة العامة، فإن الخطابة أشد تعلقًا وانشدادًا إلى البيئة والحياة العامة، بل إن هذه البيئة هي التي تحدد ضروب الخطابة وفق ما تقتضيه، وهذه القاعدة في اعتقاد الباحثة تخرج الخطابة الجاهلية من سياقها وضروریاتها، لذا نستطيع القول: إن الحياة القبلية التي كانت سائدة في العصر الجاهلي هي التي رسمت وحددت أقسام الخطابة في ذلك العصر.

(1) الخطابة العربية في عصرها الذهبي، إحسان النص(ص 8).

موضوعات خطب العصر الجاهلي:

1. **الخطب الحربية:** وهذه الخطب تتناول موضوعات رئيسة مثل: الحماسة والشجاعة وما إلى ذلك من معانٍ تتصل بالبطولة التي كانت تمثل النموذج الأعلى عند الجاهلي، ومن أشهر الخطب خطبة هانئ بن قصيبة الشيباني التي يحرض فيها قومه على قتال الفرس في يوم ذي قار[1]، وإذا ما وضعت الحرب أوزارها فإن الخطيب كان يتولى عرض شروط الصلح والدفاع عن وجهة نظر قبيلته، ومن تلك الخطب خطبة قيس بن خارجة التي قالها إثر حرب داحس والغبراء، وقد قيل: إنه ظل يخطب إلى الليل[2].

2. **خطب المنافرة:** حملت الحياة القبلية العرب على التفاخر بالأحساب والأنساب والمآثر، وغالبًا ما كان هذا التفاخر يقع بين متخاصمين يرتضيان حكمًا بينهما ويقران به، ويأخذ كل واحد منهما يتفاخر بمآثره وحسبه ونسبه وفي ذات الوقت يتصدى لإظهار العيوب والمساوئ التي تشين منافسه، ومن هذه المنافرات التي اشتهرت منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين، وكان الحكم بينهما هرم بن قطبة الفزاري، وكان المتنافسان يتنافسان على الرئاسة في بني عامر[3].

3. **خطب المحافل والوفود:** وهي الخطب التي قيلت في الأسواق والمواسم وفي مجالس الملوك عند رفادة سادة القبائل عليها مفاخرين أو مهنئين أو معزين أو لغير ذلك من الأسباب، ومثل هذه الخطب كانت لا تخلو من الفخر بالأثر كما في الخطب التي ألقوها بين يدي كسرى، وكانت لا تخلو من التهنئة كخطبة عبد المطلب بن هاشم في تهنئة سيف بن ذي يزن باسترداد ملكه من الحبشة أو التعزية كالخطب التي ألقوها في

(1) الأمالي: أبو علي القالي: 1/ 92.
(2) البيان والتبيين: الجاحظ: 1 / 348.
(3) الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني: 15 / 51 و ما بعدهما.

تعزية سلامة ذا فائش بابن له مات[1]، ومن ذلك أيضًا تعزية أكثم بن صيفي عمرو بن هند إثر موت أخيه[2].

4. **سجع الكهان:** هذا النوع من الخطابة عرف في الجاهلية، فقد كان العرب يغرقون أحيانًا في الخرافات والأساطير وينصرفون أحيانًا إلى الفحش والمنكر، ولما جاء الإسلام انقرض هذا النوع من الخطابة لارتباطه بالديانة الوثنية، وقد سمي بسجع الكهان لالتزامه السجع ولأن الذين عرفوا به هم طائفة الكهان الوثنين في الجاهلية، وكان الناس يلجؤون إليهم لمعرفة أمور الغيب وتفسير الأحلام والرؤى[3]. ومن هؤلاء الكهان: أكثم بن صيفي و قس بن ساعدة و كعب بن لؤي[4].

5. **خطب الزواج:** جرت العادة عند العرب أن يتقدم لخطبة المرأة نيابة عن الراغب في زواجها شريف من رهطه فيخطب معددًا مآثر الرجل، ويجيبه رجل من رهط المرأة بمثل ما قال، وهذه الخطب كانت أيسر خطب الجاهلية من جهة ضعفها البياني، وكانت موجزة لا تتعدى سطورًا قليلة، ومن هذه الخطب، خطبة أبي طالب عم النبي – صلى الله عليه وسلم – عندما طلب لابن أخيه خديجة بنت خويلد[5].

6. **الوصايا:** وهي موضوع يدخل باب الخطابة، وجرت العادة عند العرب أن الشيوخ عندما يشعرون أنَّ ساعة موتهم قد أزفت، يدعون بنيهم أو آلهم وعشيرتهم، ويوجهون إليهم الوصايا ويعطونهم الحكم الخاصة التي توجههم إلى طريق الصواب، ومن أشهر وصايا الجاهلية: وصية عامر بن الظرب العدواني لقومه، ووصية أكثم بن صيفي لقومه، ووصية أمامة بنت الحارث لابنتها أم ياس ووصية أوس بن حارثة لابنه مالك[6].

---

(1) العقد الفريد: ابن عبد ربه: 1 / 101.

(2) السابق: 2/ 79.

(3) البيان و التبيين: الجاحظ: 289/1.

(4) الأمالي: أبو علي القالي: 2 / 205.

(5) السابق: 2 / 284.

(6) العقد الفريد: ابن عبد ربه: 83/6، البيان والتبيين، الجاحظ، 1/ 408.

أشهر خطباء العصر الجاهلي:

ذكرت كتب الأدب أن قبيلتي تميم وإياد كانتا أحظى القبائل بالخطباء الممتازين في الجاهلية، وظلت لهما هذه الشهرة في العصر الإسلامي، وحجة كتب الأدب في ذلك عناية الرسول برواية خطب قيس من جهة وبشهادته ببلاغة عمرو بن الأهتم من جهة أخرى[1].

ومن خطباء قبيلة إياد المشهورين في هذا العصر: قس بن ساعدة، هند بنت الخس، لقيط بن معبد.

ومن خطباء قبيلة تميم في هذا العصر: أكثم بن صيفي، ضمرة بن ضمرة المجاشعي، حاجب بن زرارة، قيس بن عاصم.

ومن أشهر خطباء كنانة: كعب بن لؤي، عتبة بن ربيعة، ومن مخضرمي الجاهلية والإسلام: سهيل بن عمرو الأعلم وكان خطيب قريش، ومن خطباء كنانة أيضًا هاشم بن عبد مناف، عبد المطلب بن هاشم.

ومن خطباء بني حنيفة: حنظلة بن ضرار

ومن خطباء قيس: عيلان بن خويلد بن عمرو الغطافي، وهرم بن قطبة الغزازي، وقيس بت خارجة الغطفاني.

ومن خطباء أسد: ربيعة بن حذار، قبيصة بن نعيم، ومن خطباء اليمن: ابن عمار الطائي، المأمون الحارثي، عبيد بن شرية الجرهمي، قيس بن شماس، الصباح بن شفى الحميري، ولكن أشهر هؤلاء الخطباء في العصر الجاهلي هما: قيس بن ساعدة الإيادي وأكثم بن صيفي التميمي[2].

(1) البيان والتبيين: الجاحظ: 1 / 43.

(2) البيان والتبيين: 358/1.

الخصائص الفنية العامة للخطابة في العصر الجاهلي:

1. **الوحدة الموضوعية:** من الميزات الفنية في الخطابة الجاهلية أنها لم تعمد كما الشعر إلى الاستطراد والإطناب في الفكرة الواحدة بحيث تستقل عن الموضوع الأصلي، وقد تجلت تلك الميزة في كل الخطب الجاهلية ومثالنا على ذلك: خطبة قيس بن ساعدة[1]، فقد اقتصر في خطبته على موضوع واحد وهو الموت المحدق بالإنسان.

2. **قصر الخطب:** فقد كانت خطب الجاهليين لا تعدو لبعض الفقرات بالقياس إلى خطب العصرين الإسلامي والأموي، ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة الحياة الجاهلية التي لم تكن تستدعي طول الخطب، ولعل الخطابة أيضًا "في طبيعة موضوعها لا تتيسر للجمل المستطيلة المتواصلة، والنظر المتتالي، إذ يصيب ذلك السامع بالملل، ويؤدي بالخطب إلى الإخفاق، وأما الجمل المبتسرة المحكمة الأداء المتوازية، فإنها تدوي في النفس وتخلِّف فيها أثر الانفعال"[2].

3. **المباشرة في الموضوع:** لم تعرف الخطابة الجاهلية قواعد معينة يجري عليها الخطباء ولا تقاليد معينة، فالجاهلي كان يتصدى إلى موضوعه مباشرة وقلما يعمد إلى مقدمة، وذلك لما طُبِع عليه من جهارة وعنف في الانفعال[3].

4. **الصنعة:** ومن مظاهر الصنعة في الخطابة الجاهلية السجع الذي يقتضي تمهلًا في اختيار الألفاظ ودربة في صياغته وتوقيعه فضلًا عن موازنة الجمل موازنة إيقاعية مؤثرة.

5. **الإعداد المسبق:** إنَ العمل الفني يناقض العفوية والسهولة، ومهما يكن حظ العرب من الموهبة البيانية فإن ذلك لا يعني أنهم كانوا يرتجلون القول ارتجالًا في كل مقام دون سابق إعداد ولا تحضير.

---

(1) صبع الأعشى: القلقشندي: 1 / 212.

(2) فن الخطابة وتطوره عند العرب: إيليا حاوي: 58.

(3) فن الخطابة وتطوره عند العرب: إيليا حاوي: 58.

6. **تضمين الحكم والأمثال والأشعار:** لقد بدا واضحًا تضمين الخطابة الحكم والأمثال والأشعار، وهذا أمر طبيعي وذلك لاشتراك الشعر والنثر في كثير من الأغراض، ومثل هذا التضمين كذلك يمثل أدوات إضافية تساعد الخطيب في الإقناع والتأثير لتوصيل رؤيته وفكره.

7. **سذاجة الأفكار وبساطتها:** فالطابع الغالب على أفكار الخطابة في العصر الجاهلي هو السذاجة والبساطة ولعل ذلك يعود إلى أسباب منها: ضآلة نصيب الجاهليين من الثقافة الفكرية، البساطة سمة أساسية في الخطابة، ترتيب الخطيب أفكاره حسبما تتوارد في مخيلته دون عناية وتنسيق، وعدم ارتقاء نظراتهم العميقة إلى مرتبة التفكير الفلسفي، واعتماد الخطيب الجاهلي سبيل التمثيل وإيراد الحكم للتأثير في مستمعيه بدلًا من الجدل المنطقي والبرهنة العقلية[1].

8. **الخطابة الجاهلية نتاج بيئتها:** إن الموضوعات التي ترددت في خطابة الجاهليين مستمدة من البيئة بمختلف أشكالها السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية، وكذلك من المثل العليا التي تقدسها وتتنازع عليها، فهناك تعداد للمآثر والفخر بالنفس والضيافة والهرع للنجدة والشجاعة وتقديس الشرف، هذا فضلًا عن النظرة المترددة والساذجة للإنسان والوجود، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن البيئة قد مدت الجاهلي بالصور التي كان يستعيرها لتمثيل أفكاره بشكلها الحسي الواقعي[2].

9. **التعميم والإطلاق:** انطلقت الخطابة الجاهلية بدافع الانفعال والعنف في مواضع الفخر، الأمر الذي جعل معظم الخطباء يعمدون إلى نوع من التعميم والإطلاق، وقد انعكس ذلك من خلال كثرة أفعال التفضيل، وهي الأداة اللغوية المباشرة لتأدية المعاني، وتجلَّى ذلك في الجمل المحكمة الأداء التي تقتصر على فكرة أو صورة واحدة كالبيت الشعري،

(1) الخطابة العربية في عصرها الذهبي: إحسان النص، 18.

(2) فن الخطابة وتطوره عند العرب: إيليا حاوي: 60-61.

فلا نجد في تلك الخطب أدوات عطف وتعليل وتفسير ووصل، بل كانت الصياغة متقطعة على دفعات متتالية دون تفصيل[1].

10. **النزعة التصويرية:** فالتقريرية التي غلبت على الخطب الجاهلية لم تمنع الخطباء من توشيح عبارتهم بالصور التي تعمق المعنى، وبث الأفكار، وإشراك السامع في تمثل القول ودعوته إلى الانفعال والإقناع.

11. **النزعة التكرارية:** ولغاية الإيقاع نزع الخطباء الجاهليون إلى التكرار الذي كان متوازنًا غير نامٍ لضعف الحس البنائي في أسلوبهم الفني، بحيث يتحول إلى نوع من الأصوات المتماثلة الأداء المتباينة المخارج وذلك لترسيخ الفكرة دون غاية فنية[2].

12. **الألفاظ:** قد كانت الألفاظ صريحة مباشرة فصيحة تفتقر إلى الجرس الخافت في موضوعات الرقة واللين، فألفاظهم هي غالبًا، مجهورة الحروف حارة المعاني بغض النظر عن طبيعة الموضوع.

13. **الترادف:** قد كان الجاهليون يكثرون الترادف في خطبهم وينوعون في العبارات للمعنى الواحد، لأن الترادف تعبير يبعث على نشاط السامع ولذته وتقرير المعنى المراد وتوكيده[3].

(1) السابق:62.

(2) فن الخطابة وتطوره عند العرب: إيليا حاوي: 62-63.

(3) الخطابة في صدر الإسلام، الجزء الأول. العصر الديني – عصر البعثة الإسلامية، محمد طاهر درويش،88.

المبحث الثالث
الخطابة في صدر الإسلام

- الخطابة في صدر الإسلام.
- موضوعات الخطابة في صدر الإسلام وأشهر خطبائها.
- الخصائص الفنية للخطابة في صدر الإسلام.

الخطابة في صدر الإسلام:

إذا كان للأحداث تأثيرها في نمو الخطابة وازدهارها، فإن للخطابة أيضًا تأثيرها في صناعة هذه الأحداث والنهضات، لذا فإن الإسلام بأحداثه التي غيرت من الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي والديني عند العرب قد ترك آثارًا واضحة في الأدب العربي عامة والخطابة خاصة.

فنجد أن الشعر يتنحى جانبًا أمام الخطابة[1] التي وجدت نفسها مطالبة بشرح الدعوة الإسلامية وتأييدها والدعوة إليها والدفاع عنها وتبيان أهدافها الكبرى ومثلها العليا، لأنها هي "الأقدر على شرح الحقائق ومناقشة المسائل، فهي طريق الإقناع بالحجج العقلية والبراهين المنطقية والمؤثرات الوجدانية... ولأنها أقرب منالًا وأسهل مأخذًا بقربها من الطبيعة وتحررها من قيود الوزن والقافية، ولأن مجال القول يتسع فيها لإفهام العامة والخاصة، ولأن القرآن لم يعرض لها بما ينفر منها أو يزهد فيها، بل كانت هي والشعر عدة الرسول في كل موقف مشهود"[2].

هذا بالإضافة إلى أن الخطابة كانت من أصدق جنود الرسول وأمضى سلاحه وهو يعرض نفسه على القبائل وأحياء العرب وفي مواسم الحج وفي عكاظ ومنى[3]، وكذلك كانت وسيلته صلى الله عليه وسلم في التحريض على القتال يوم بدر وفي الغزوات ومواطن الزحف وبالكعبة يوم فتح مكة وفي استرضاء الأنصار وغير ذلك من المواقف[4].

وسار على دربه بعد ذلك الخلفاء الراشدون، فقد اعتمدوا عليها في حروب الردة والفتن والحروب والحث على الجهاد وجمع القلوب ورسم السياسة لأمراء الجيوش والقواد والولاة والوعظ وتبيين مبادئ الإسلام وحدوده.

وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد اتخذ من الخطابة وكذلك الخلفاء الراشدون من بعده وسيلة للدفاع عن الدين والدعوة إليه، فإنه في الجانب الآخر المناوئ للإسلام وجد حضورًا

(1) تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات: 176.
(2) الخطابة في صدر الإسلام، محمد طاهر درويش: 12.
(3) البداية والنهاية، ابن كثير: 3/138- 145.
(4) الخطابة والخطيب، محمد سمير الشاوي، محمد حبش: 19.

واضحًا للخطابة في تلك المناوأة، الأمر الذي انعكس إيجابيًا على الخطابة في ذلك العصر، وقد تجلى ذلك واضحًا في خطبة أبي بكر عند وفاة الرسول وكيف أنها ردت إلى المسلمين صوابهم وقضت على التردد ورسخت اليقين والإيمان وفي خطبته في سقيفة بني ساعده قد حافظت على المسلمين وحدتهم[1].

هذا ولقد كان القرآن الكريم عاملًا مهمًا في نمو الخطابة وتطورها، لأنه قد فاقت بلاغته وفصاحته بلاغة العرب وتحداهم على أن يأتوا بمثله أو بآية من مثله، الأمر الذي دفعهم إلى محاكاته بما في ذلك الخطابة التي اقتبست الكثير من ألفاظه ومعانيه، بل واستفاضوا كذلك في خطبهم الكثير في التضمين من الآيات القرآنية، بل إنَّ هذه الآيات قد غدت معيارًا يقاس على أساسه جودة الخطبة وبراعة الخطيب"، قال عمران بن حطان: خطبت عند زياد خطبة، ظننت أني لم أقصر فيها عن غاية، ولم أدع لطاعن علة، فمررت ببعض المجالس، فسمعت شيخًا يقول: "هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن"[2].

ولا ننسى كذلك كيف أن أمية العرب قد أسهمت في اعتماد الإسلام على الخطب اعتمادًا كبيرا في تبليغ الدعوة والدفاع عنها، فالعجز عن الكتابة دفعهم إلى الإحاطة بكل نثريات الموقف شفاهة، وهناك مواقف كثيرة تدل على ذلك[3]، وحتى عندما أجاد العرب الكتابة واعتمدوها أداة فنية إلا أنها لم تنل من مهمة الخطابة التي هي أساسًا من مشافهة الجمهور، بل بقيت لها أهميتها ومكانتها.

ما سبق يكشف لنا كيف أن الخطابة كانت أداة فاعلة في نشر الدعوة الدينية ودعامة قوية للنهضة الإسلامية.

(1) الخطابة في صدر الإسلام، مرجع سابق: 115.
(2) البيان والتبيين: الجاحظ: مرجع سابق: 2/ 5.
(3) العقد الفريد: ابن عبد ربه، مرجع سابق: 149/2.

موضوعات الخطابة في صدر الإسلام.

إن الدين الجديد قد غيرَّ الحياة الجاهلية تغييرًا تامًا، ومن ثم لم يبقَ من الأدب بما فيها الخطابة كذلك ما له صلة بالبيئة الجاهلية، فتراه مثلًا قضى على المنافرات والمفاخرات القائمة على أساس قبلي ينهض إلى تبيان المآثر والمفاخر والأنساب والأحساب، ولكنه أبقى على شيء منها خاصة تلك المفاخرات التي تؤول إلى اعتناق الدين الجديد ومن ذلك مفاخرة بني تميم للرسول حين قدم عليه وفدهم[1]، ومن الخطب التي انقرضت بمجيء الدين الجديد سجع الكهان وذلك لاتصاله بالوثنية التي أجهز عليها الإسلام، وهذا يعني أن الإسلام قد أوجد بيئة تختلف تمامًا عن تلك الجاهلية، وهذا ما انعكس على الخطابة التي أخذت تتناول موضوعات جديدة تتلاءم وتلك التغيرات التي أصابت الحياة العربية الجاهلية في بداية الإسلام ومن هذه الموضوعات:

الدين: فقد أضحى الطابع الديني هو الغالب على كل خطب صدر الإسلام وعلى رأسها خطب الرسول والخلفاء الراشدين والولاة، فقد كانت خطبهم تدور كلها حول هداية الناس ووعظهم وإرشادهم وتبصيرهم بأمور دينهم[2].

المناظرات: وهو ضرب من الخطابة يقوم على المناظرة والجدل وكان عماد المتناظرين على نصوص القرآن الكريم في المرتبة الأولى وإلى الحديث النبوي الشريف، ولعل هذا التنافر يعود إلى تفاوت الطوائف في فهم الآيات القرآنية وتأويلها، ومن هذه المناظرات ما كان بين علي وأنصاره من جانب والخوارج من جانب آخر[3].

السياسة والحكم: نظم الإسلام العلاقة بين الحاكم والمحكومين، فأبان لكل منهما حقوقه وواجباته، وجعل الشورى دستور هذا النظام وأساس الحكم، فقامت خطابة حول الحكم والسياسة ونشطت، وكانت خطبة السقيفة باكورة الخطب السياسية التي تتعرض لشئون الحكم والخلافة وولاية أمور المسلمين ثم كثرت الخطب حيث ظهرت حركة الردة وبعد مقتل عمر بن الخطاب وكانت الخطب تجمع بين المعاني السياسة والدين.

---

(1) تاريخ الأمم و الملوك، الطبري، 2 / 378.

(2) الكامل في التاريخ، ابن الأثير: 2 / 37. وينظر العقد الفريد: ابن عبد ربه: 149/2.

(3) تاريخ الأمم و الملوك، محمد بن جرير الطبري، 52/4.

الوصايا: وهي لون من ألوان الخطابة، وتمثلت في وصايا الآباء لأبنائهم قبل الوفاة، ووصايا الخلفاء والولاة لرعيتهم أو من يلون الأمر من بعدهم، وكذلك وصايا قادة الجيوش حين يوجهونهم إلى قتال العدو، ومن هذه الوصايا وصية أبي بكر لخالد بن الوليد ووصية عمر بن الخطاب للخليفة من بعده، وغير ذلك من الوصايا.

خطب الجهاد والحضُّ على القتال: اختلفت بواعث القتال عند المسلمين عنها عند الجاهليين، فالجاهليون كانوا يقتتلون لأجل موارد العيش والريادة والشرف، وأما المسلمون فقد كانوا يجاهدون في سبيل الله لنشر الدعوة الإسلامية وابتغاء ثواب الله، ومن ذلك خطبة أبي بكر قالها حين ندب الناس لفتح الشام[1].

بل إن الخطباء كانوا يرافقون المجاهدين في غزواتهم وفتوحاتهم، وعندما انقسم المسلمون على أنفسهم تحولت الخطابة إلى الحضِّ على الاقتتال لا الجهاد لقتال من خالفوهم في الرأي.

خطب (الإملاك) النكاح: ومن أهم ميزات هذه الخطب الإطالة وتأديتها قعودًا لا وقوفًا ومن أمثلة هذه الخطب أن بلالًا خطب لأخيه امرأة من قريش فقال: "نحن من قد عَرَفْتُم، كنا عبدين فأعتقنا الله، وكنا ضالين فهدانا الله، وفقيرين فأغنانا الله، وأنا أخطب على أخي خالد فلانة، فإن تنكحوه فالحمد لله، وإن تردوه فالله أكبر"[2].

خطب المحافل والوفود: وهذا اللون من الخطب عرف في الجاهلية ونشط في الإسلام لكثرة المناسبات التي تجلت في زيارة الوفود القبلية إلى رسول الله وخلفائه من بعده، ويخطب خطباؤها بين أيديهم لإعلان الإسلام أو لشأن يخصهم.

ومن أشهر خطباء صدر الإسلام الرسول صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الأربعة: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان.

(1) تاريخ الأمم و الملوك، الطبري، 2 / 588.

(2) البيان و التبيين، الجاحظ، مرجع سابق: 118/1.

سمات الخطابة في صدر الإسلام:

لقد ظلت سمات الخطابة الجاهلية عالقة في الخطابة في صدر الإسلام، فقد كان خطباء هذا العصر يؤثرون كما الجاهليون الإيجاز وقصر اللفظ وفصاحة العبارة، وإيراد الحكم وضرب الأمثال والتمثيل بالشعر، كما كانوا لا يتكلفون ولا يزوقون الكلام، إلا أن هذا التعالق لم يمنع من تطور الخطابة في خصائصها واستحداث ميزات جديدة تمثلت في النقاط الآتية:

- الميل إلى الطول بخلاف الخطب الجاهلية، ولا سيما الخطب السياسية، ومن الخطب الطويلة: خطبة الوداع، وخطبة عمر في أرض سواد العراق، وطائفة من خطب علي بن أبي طالب.

- الاستهلال بحمد الله والاستفتاح بتمجيده وتضمين آيات من القرآن الكريم والتزين بالصلاة على النبي واختتامها بالدعاء.

- تأثير القرآن الكريم في الخطابة وخاصة في الأسلوب والصياغة ومن حيث الأفكار والمعاني والصور والأخيلة[1]، هذا بالإضافة إلى إضفاء القيم الإسلامية على الخطابة، كما تجلى في بعض المقاطع من خطب أبي بكر الصديق[2].

- حرص الخطباء في هذا العصر على تزويق خطبهم وتجييدها لتأتي في صورة يرضون عنها دون جنوح إلى التكلف الممقوت، وتجلى ذلك في خطب وأحاديث الرسول وأيضًا في خطب الخلفاء الراشدين.

- الميل إلى السجع عند طائفة منهم ولكنه لم يكن غالبًا عليها، فقد ظهر السجع في خطبهم أقل منه في خطب الجاهليين، لأن لديهم زادًا وفيرًا من الثقافة والأفكار الجديدة مما صرفهم عن السجع، والاهتمام بتوضيح الأفكار، وهذا لم يمنع من ظهور السجع في

(1) البيان والتبيين، الجاحظ، مرجع سابق، 1 / 118.

(2) تاريخ الأمم و الملوك، الطبري، مرجع سابق، 2 / 460.

خطبهم، فقد ذكر الجاحظ أن الخطباء كانوا يتكلمون عند الخلفاء الراشدين، فيكون في تلك الخطب أسجاع كثيرة فلا ينهونهم"[1].

- اللجوء إلى أساليب التوكيد المختلفة من تكرار وقسم واستعانة بأدوات التوكيد، ومن ذلك ما ظهر في خطبة الوداع، وكذلك الميل إلى الأسلوب الإنشائي الاستفهامي والتعجبي والدعائي، ومن ذلك ما ظهر في خطبة علي بن أبي طالب.

- غنى الأفكار وخصبها في الخطب الإسلامية، كما أنها كانت أفكارًا مترابطة متسلسلة ومدعمة بالحجج والبراهين، وتأثروا كذلك بالقرآن الكريم الذي كان يلجأ إلى البرهنة العقلية والاستدلال المنطقي، وتجلى ذلك في خطبة معاوية التي أجاب فيها الوفد الذي أرسله إليه عليٌّ يدعوه لمبايعته[2].

(1) البيان والتبيين، الجاحظ، 1 /290.

(2) تاريخ الأمم والملوك، الطبري، 4 / 3.

الفصل الثاني
مضامين خطب الصديق رضي اللّه عنه

- الخطب الوعظية.
- خطب الصديق في الفتوحات والجهاد.
- وصايا الجهـــاد.

توطئة:

يتحدث هذا الفصل عن مضامين خُطب الصِّديق –رضي الله عنه–، والمناسبات التي قال الصديق خطبه فيها فقال في **المبحث الأول** الخطب الوعظية التي وجه من خلالها النصائح والوصايا للمسلمين.

أما المبحث الثاني فتحدث عن خطب قالها عند الفتوحات والجهاد وذلك لحث المسلمين على الجهاد والإشادة بفوائده للمسلمين في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة.

أما المبحث الثالث فكان عبارة عن وصايا الصديق الجيوش عند الخروج إلى الجهاد.

المبحث الأول

الخطب الوعظية

خطبته يوم قبض الرسول صلى الله عليه وسلم:

دخل أبوبكر الصديق رضوان الله عليه، على النبي عليه الصلاة والسلام وهو مسجى[1] بثوب، فكشف عنه الثوب، وقال:

"بأبي أنت وأمي! طبت حيًّا، وطبت ميتًا! وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة، فعظمت عن الصفة، وجللت عن البكاء، وخصصت حتى صرت مسلاة[2]، وعممت حتى صرنا فيك سواءً[3]، ولولا أن موتك كان اختيارًا منك[4]، لجدنا لموتك بالنفوس، ولولا أنك نهيت عن البكاء؛ لأنفدنا عليك ماء الشئون[5]؛ فأما ما لا نستطيع نفيه عنا، فكمد وإدناف[6]، يتخالفان ولا يبرحان اللهم فأبلغه عنا السلام، اذكرنا يا محمد عند ربك، ولنكن من بالك؛ فلولا ما خلفت من السكينة لم نقم لما خلفت من الوحشة، اللهم أبلغ نبيك عنا، واحفظه فينا".

ثم خرج إلى الناس وهم في شديد غمراتهم، وعظيم سكراتهم، فخطب خطبة قال فيها:

"أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وأشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الدين كما شرع، وأن الحديث كما حدث، وأن القول كما قال،

---

(1) تسجية الميت: تغطيته.

(2) خص الشيء من باب قعد خصوصًا فهو خاص: خلاف عم، مثل اختص "وكلا الفعلين يستعمل متعديًا ولازمًا"، والمعنى إنك يا رسول الله قد صرت بموتك مسلاة للناس؛ فإنك مع ما اختصصت به من مناقب النبوة قد نزل بك الموت، فللعباد فيك أسوة حسنة.

(3) أي عمت مصيبتك جميع المسلمين فصرنا نحن وقرابتك سواء في الحزن عليك والتفجع لفقدك.

(4) يشير إلى قوله عليه الصلاة والسلام: "لم يقبض نبي حي يرى مقعده من الجنة ثم يخير" قالت عائشة: فسمعته وقد شخص بصره، وهو يقول: "في الرفيق الأعلى" فعلمت أنه خير؛ فعلمت أن لا يختارنا إذن، وقلت: هو الذي كان يحدثنا وهو صحيح.

(5) جمع شأن، وهو مجرى الدمع إلى العين.

(6) دنف المريض كفرح، وأدنف: ثقل، والشمس: دنت للغروب واصفرت.

وأن الله هو الحق المبين.. في كلام طويل، ثم قال: أيها الناس، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وإن الله قد تقدم إليكم في أمره؛ فلا تدعوه جزعًا، وإن الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم، وقبضه إلى ثوابه، وخلف فيكم كتابه، وسنة نبيه؛ فمن أخذ بهما عرف، ومن فرق بينهما أنكر.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ}[1][2]، ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم، ولا يفتننكم عن دينكم؛ فعاجلوه بالذي تعجزونه، ولا تستنظروه فيلحق بكم"[3].

وقت الخطبة ومناسبتها:

في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول[4] قال أبوبكر الصديق هذه الخطبة يوم قبض الرسول ﷺ حيث كان لذلك صدمة قوية وفاجعة مؤلمة للصحابة رضي الله عنهم لأن مصابهم كان في أعز البشر على قلوبهم وأنفسهم ألا وهو رسول الله ﷺ، فإن ما ظهر من أبي بكر رضي الله عنه من العلم وشدة الجأش بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، فقد ارتجت المدينة واختل الناس وأفحموا ودهشوا وطاشت عقولهم وذهلوا حتى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه المعروف بشجاعته وقوة إيمانه كاد يفقد عقله، وكذَّب موته وتوعد كل من يقول: إن رسول الله قد مات، وكان مما قال في هذا الوقت: "إن رجالًا من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفي، وإن رسول الله والله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع بعد أن قيل قد مات، والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله مات"[5].

---

(1)القسط: العدل.

(2) [النساء: 135].

(3) أنظر: زهر الآداب وثمر الألباب إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (ت: 453هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الرابعة(ج 1:ص 68). وجمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (ج1 ص: 66 – 67). وتمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبوبكر الباقلاني المالكي (ت: 403هـ) تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان الطبعة: الأولى، 1407هـ – 1987م(ص: 489).

(4) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (200/3).

(5) السابق (200/3).

وأما عثمان فجعل لا يكلم أحدًا حتى أنه يؤخذ بيده ويذهب به ولا يعقل، أما على رضي الله عنه فإنه قعد في البيت ولم يبرح[1].

أما أبوبكر فقد أقبل وعيناه تهملان وغصة تترجع في حلقه وهو على ذلك ثابت العقل، شديد الجأش. فقام في الناس خطيبًا فخطب خطبة خللها نعي النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم إلى الأمة الإسلامية ويعلمهم فيها ويذكرهم أن العبادة لا بد وأن تكون لله وحده: (من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)، ومن هنا يجب أن تكون القيادة للأمة المسلمة قيادة فكرية لا قيادة شخصية، ارتباط المسلم بالله، ولاؤه لله، لا يتزعزع مع الأيام، أو مع تغير الأشخاص أو وفاتهم، وهذا ما أدرك الصديق رضى الله عنه تعميقه في نفوس الناس، وتربيتهم عليه[2].

تحليل الخطبة:

استهل أبوبكر الصديق خطبته بالشهادة لله ولرسوله قائلًا: (**أشهد أن لا إله إلا الله وحده هو لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، وأشهد أن الكتاب كما نزل وأن الدين كما شرع وأن الحديث كما حدث وأن القول كما قال وأن الدين هو الحق المبين)**، فهذه جملة عظيمة من أقوى أساليب التأثير لأنها نبع الإيمان وكلمة التوحيد، فبدأ الناس من خلاله يعودون إلى رشدهم وإيمانهم، لأنها الكلمات التي عليها يحيون، وعليها يموتون، وقد وفق أبوبكر رضي الله عنه في اختيار هذه الألفاظ التي افتتح بها موضوع هذه الخطبة التي تحمل معاني ذات دلالة عميقة، يستقر نورها في القلب ويشع في الجوارح والأركان. فمن بداية خطبته بدأ بكلمات تتعلق بالنبي الأمين الكريم مثل: (**الدين – الحديث – القول – الحق – المبين**).

فبعد أن جلب الناس وهدّأ من روعهم وأعاد النفوس إلى إيمانها وقلل توترهم ذهب إلى مغزاه من الخطبة وصميم الحديث ؛ لأنه أصبح لديهم استعدادٌ ليقبلوا بالأمر الواقع، حيث ناداهم: أيها الناس ليثير انتباههم وليشوقهم لما سيأتي من الكلام، لأنه حتمًا سيكون المعنى بعد

(1) الانتصار في الرد على القدرية الأشرار (3/ 853).
(2) أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ (ص 164).

هذه الكلمات من التشويق والتنبيه للسامعين تمكين في النفوس، ووقر في القلوب، واستقرار في الوجدان، فتبادر إلى حسن استقباله وامتثاله والاستجابة له.

والآن حان موعد إخبار أبي بكر الناس أن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قد مات وهو الأمر الذي قال خطبته لأجله فقال: **(من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)**، هذه هي الكلمة التي قالها أبوبكر الصديق عندما انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى، فبدد بهذه الكلمات حالة الهرج والذهول التي غشيت مسلمي المدينة[1].

فسكنت النفوس واطمأنت القلوب وأذعنت له الرقاب واعترف الجميع بما ظهر من الأمر وزال الخلاف[2]، فعلى الكل أن يعلم أن المعبود هو الله وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء إلا لتحقيق هذا الهدف، وقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، ثم توفاه الله، فمن كان يعبد الله فإن الله لا يموت فاستقيموا واثبتوا على ما تركككم عليه الحبيب المصطفى ﷺ، فبهذه الكلمات استطاع أبوبكر أن يقرر وفاة الرسول ﷺ في القلوب، وتبعه بما على الناس أن يعلموه وهو أن اختيار الله لنبيه الرفيق الأعلى هو الأفضل لنبيكم، ولكن لم يترككم هملًا , وإنما ترك فيكم القرآن والسنة، اللذين إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدًا وهو الحبل الذي بينكم وبينه، فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر، فبهذه الكلمات استقرت القلوب لوفاة الرسول وانشرحت لها النفوس وعادت الأمور إلى طبيعتها والكل حمد الله على أمره.

وختم الصديق خطبته بكلمات بليغة فصيحة تبين مدى فهمه لحالة الناس فكانت لها قدرة على التأثير في نفوسهم فصبروا على فاجعتهم لموت رسول الله.

---

(1) انظر رجال حول الرسول (ص 432) خالد محمد خالد ثابت دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان الطبعة الأولى 1421هـ-2000م

(2) التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكين. طاهر بن محمد الاسفراييني أبو المظفر ت 471 هـ تحقيق كمال يوسف الحوت , عالم الكتب لبنان الطبعة الأولى 1403 هـ - 1983 م

خطبة أبي بكر يوم السقيفة:

حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

"**أيها الناس: نحن المهاجرون، أول الناس إسلامًا، وأكرمهم أحسابًا، وأوسطهم دارًا، وأحسنهم وجوهًا، وأكثر الناس ولادة في العرب، وأمسهم رحمًا برسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلمنا قبلكم، وقدمنا في القرآن عليكم؛ فقال تبارك وتعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾**[1] **فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار، إخواننا في الدين. وشركاؤنا في الفيء**[2]**، وأنصارنا على العدو، آويتم وواسيتم، فجزاكم الله خيرًا، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء، لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش؛ فلا تنفسوا** [3] **على إخوانكم ما منحهم الله من فضله**"[4].

وقت الخطبة ومناسبتها:

عندما قبض الرسول صلى الله عليه وسلم، فاجتمعت الأنصار فِي سقيفة بني ساعدة للتشاور في أمر الولاية، فقالوا: نولي هذا الأمر بعد محمد عليه الصلاة والسلام سعد بْن عبادة، وانتهت لأبي بكر رضي الله عنه[5].

---

(1) التوبة: 100.

(2)الغنيمة والخراج.

(3)نفس عليه بخير "كفرح" حسبه، ونفس عليه الشيء نفاسة لم يره أهلًا له.

(4)عيون الأخبار: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)،دار الكتب العلمية –بيروت، 1418 هـ (ج2/ ص254).

والبيان والتبيين: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: 255هـ) دار ومكتبة الهلال، بيروت،1423 هـ (ج3/ص 199).

والعقد الفريد: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت: 328هـ) دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1404 هـ (ج4/ ص150).

جمهرة خطب العرب (ج1/63)

(5) تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (3/ 218).

المقصود بسقيفة بني ساعدة في المدينة:

وهي ظلّة كانوا يجلسون تحتها، فيها بويع أبوبكر الصديق –رضي الله عنه– وأما بنو ساعدة الذين أضيفت إليهم السقيفة فهم حيّ من الأنصار، وهم بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو، منهم سعد بن عبادة بن دليم وهو أبو ساعدة بن كعب بن الخزرج[1].

تحليل الخطبة:

انتقل الرسول –صلى الله عليه وسلم– إلى الرفيق الأعلى.. وهنا تميد الأرض تحت أقدام القوم في المدينة من هول الصدمة.. ويقف المهاجرون والأنصار أمام امتحان الأخوة في مدرسة الأخلاق، ويلتف الأنصار حول سعد بن عبادة في السقيفة، فيتحدث سعد إليهم مبينًا سابقتهم في الدين، وتحليهم بالفضيلة والكرامة والإعزاز للرسول –صلى الله عليه وسلم– والمنع لأصحابه، ثم لقد رضي عنهم الرسول الكريم ونصر الله بهم دينه، فليظفروا إذن بهذا الأمر دون الناس؛ لأنه لهم، وقد أوصى الرسول المهاجرين بهم خيرًا قبل وفاته[2].

وقع أبوبكر في امتحان صعب، ألا وهو الخلاف بين المهاجرين والأنصار في تولي الخلافة، فالأنصار يريدونها لهم والمهاجرون مع ورعهم وسابقتهم في الدين ونأيهم عن طلب شيء من الدنيا يريدونها لهم، لكنهم لا يريدونها وظيفة دنيوية، بل إنها منصب ديني، يتمكن الذي يتولاه من إعزاز راية الإسلام ونشر مبادئ العقيدة الإسلامية.

ولكن أبا بكر يتدارك الأمر، فيقف خطيبًا في القوم، يردهم إلى معنى الأخوة الذي ضربوه من قبل للناس مثلًا، ويؤكد لهم عزيز مكانتهم في الإسلام، فلم يطعن في أحد في هذه الخطبة ولم يطلب لنفسه شيئًا، ولكنه يذكرهم بمكانة المهاجرين، فهم أسبق إلى الإسلام منهم.

---

(1) الحموي، ياقوت: معجم البلدان ج3 ص228، 229.

(2) الخطابة الإسلامية: عبد العاطي محمد شلبي، عبد المعطي عبد المقصود، المكتب الجامعي الحديث، 2006(ص: 59).

"نحن المهاجرون، أول الناس إسلامًا، وأكرمهم أحسابًا، وأوسطهم دارًا، وأحسنهم وجوهًا، وأكثر الناس ولادة في العرب، وأمسهم رحمًا برسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلمنا قبلكم، وقدمنا في القرآن عليكم"

بدأ خطبته بحمد الله والثناء عليه ثم بيَّن فضل المهاجرين وسابقتهم في الإسلام وبالتصديق بالرسول دون جميع العرب، فهم أول من عبد الله في الأرض وآمن بالرسول، وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده لاستعدادهم لتحمل أعباء السيادة وتكاليف الشرف، فلا ينازعهم في ذلك ظالم، فهم يتصفون بالسماحة والجود والأريحية وكثرة العدد وشدة قرب الرسول الأعظم بالنسب مع ما لهم من مجد وحسب، وما لهم كذلك من شرف تليد ومفاخر قديمة تقرّ بها العرب، ثم أصاب المحزّ بالاستدلال بالقرآن الكريم حيث قدمهم في الذكر على إخوانهم الأنصار ﴿**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ**﴾.

فالْمُهَاجِرونَ وَالْأَنْصَار هُمْ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا أَو جَمِيع الصَّحَابَة ﴿**وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ**﴾ إِلَى يَوْم الْقِيَامَة ﴿**بِإِحْسَانٍ**﴾ فِي الْعَمَل[1].

فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار، إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الفيء[2]، وأنصارنا على العدو، آويتم وواسيتم، فجزاكم الله خيرًا، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء، لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش؛ فلا تنفسوا[3] على إخوانكم ما منحهم الله من فضله".

ثم عاد إلى الأنصار، فوصفهم بالأخوة في الدين، وبالشركاء في الغنيمة وليس هنا وصف أبلغ من وصفه لهم بالأخوة، وقد عادل في وصفه لهم بين الأخوة في الدين والشراكة في المال، أي في الدنيا، تمام المعادلة وأبلغها، ثم كرر وصفه لهم بأنهم أنصار إخوانهم المهاجرين على الأعداء وذكر فضلهم بقوله: **آويتم وواسيتم**، أي استضفتم المهاجرين الخارجين من وطنهم

(1) تفسير الجلالين (ص: 258).
(2)الغنيمة والخراج.
(3)نفس عليه بخير "كفرح" حسبه، ونفس عليه الشيء نفاسة لم يره أهلًا له.

ومالهم وقبلتم أن ينزلوا في حمايتكم وفي دياركم وأموالكم وواسيتموهم[1] في المحنة والشدائد والخطوب حين عزَّ النصير، ثم دعا الله بأن يتولى جزاءهم الحسن.

ثم عاد بعد كل ذلك إلى تقرير الأمر، وتوضيح الرأي، وحل المشكلة بأن يكون من المهاجرين الخليفة، ومن الأنصار وزراؤه وأعوانه، وعلل ذلك تعليلًا سياسيًا بعيد النظرة، وهو أن العرب لا تخضع ولا تدين بالطاعة إلا لقريش، فخصص الخلافة بأنها يجب أن تكون من بين المهاجرين في قريش، وليس أحد يستطيع أن ينافس قريشًا في المجد والشرف في العرب قاطبة، وحث بعد ذلك الأنصار على قبول هذا الحكم، ناهيًا إياهم أن يحسدوا إخوانهم المهاجرين على ما منحهم الله من فضله.

فأبو بكر يشير في هذه الخطبة إلى المعاني التي تعددت في حياة القوم؛ لتبرز معنى الأخوة، فالمناصرة والإيواء والمواساة، كل ذلك يجزيهم الله عنه خيرًا؛ لأن الله أمر به، وهم أطاعوا واستجابوا لأخلاق الدين... ولكن الأخوة ينبغي أن تبقى وأن تستمر، بقاء الإيمان بالدين واستمراره، والتآلف بين القلوب نعمة من نعم الله ينبغي المحافظة عليها، والإخوان بعد هذا ينبغي أن يذكروا فضل المهاجرين وسبقهم في الدين، ومكانة قريش في العرب، فبتلك الكلمات اتفقت الكلمة ونزلت الرحمة، وتمت البيعة للصديق[2].

(1) المشاركة في المحنة والشدة.

(2) الخطابة الإسلامية (ص: 60).

خطبته بعد البيعة:

حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

"**أيها الناس: إني قد وليت عليكم ولست بخيركم؛ فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسددوني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم، ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**"[1].

وقت الخطبة ومناسبتها:

عندما تمت الخلافة واتفقوا على بيعته رضي الله عنه وانتهى المشكل الخطير على الخلافة دُونَ أن تراق قطرة دم أو يشتبك المسلمون فيما بينها، أو توغر الصدور بالتهم الباطلة والتحامل المثير[2] قام فخطب في الناس فحمد الله وأثنى عليه.

تحليل الخطبة:

عندما تمت البيعة وقف الصديق على المنبر ليعلن سياسة دولته العامة ودستور الإسلام الخالد[3]، فبدأ بمقدمة يتناول فيها الحمد لله والثناء عليه بما يستحق من صفات التعظيم[4]، ثم انتقل إلى الموضوع، فأول كلمة قالها تدل على تواضعه: "**أيها الناس، إني قد وليت عليكم ولست بخيركم**"، انطلق مِن أنه واحد من المسلمين اختاره المسلمون، ليس لأنه أفضل منهم بل هو شخص عادي مثلهم، فلا فضل لمسلم على مسلم إلا بالتقوى، وهذا يدل على براعته في

(1) أنظر: العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي (ت: 328هـ) دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1404 هـ (ج4/ ص150).

– تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ) (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، ت: 369هـ)، دار المعارف – مصر، الطبعة الثانية – 1387 هـ (ج 3، ص 210).

– جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (ج1–ص67).

(2) انظر السنة ومكانتها للسباعي ط المكتب الإسلامي (1/ 129).

(3) تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية (ص: 14).

(4) الخطابة الإسلامية (ص: 61).

استمالة النفوس وتهيئة القلوب، فهو ليس فوقهم بل هو واحد منهم اختاروه بناءً على صفات ومقومات لم تكتمل في غيره، انطلق من أن الخلافة ليست تشريفًا ولكنها تكليفُ، ليس الخليفة أفضل من أي مسلم, ولكنه أثقل المسلمين حملًا، فبعد أن جذب انتباه السامعين عندما قال: أيها الناس، بدأ بأسلوب التوكيد المضاف إلى نفسه **(إني)** دلالة على أن الأمر منبعث من قبله وأنه موقن به، والخطيب إذا كان مؤمنًا ومقتنعًا بما يقول يكون لكلامه أثر بالغ في القلوب، لأن ما خرج من القلب يقع في القلب، فلفظة (إني) لها وقع جميل في هذا المقام مع إثارتها العواطف وملامستها قلوب الخطيب وسامعيه.

فقد أقر منذ بداية الخطبة أصلًا من الأصول أنه لا حق لأحد في ولاية أمر من أمور الأمة إلا بتولية الأمة، فالأمة هي صاحبة الحق والسلطة في الولاية والعزل، فلا يتولى أحد أمرها إلا برضاها، فلا يُوَرِّث شيئًا من الولايات، ولا يستحق الاعتبار الشخصي، وهذا الأصل مأخوذ من قوله: "وليت عليكم" أي قد ولاني غيري وهو أنتم[1].

أما الأصل الثاني فهو مأخوذ من قوله: "**ولست بخيركم**"، أي أن الذي يتولى أمرًا من أمور الأمة هو أكفؤها فيه لا خيرها في سلوكه[2]، فليس بمجرد ولاية أحد أمرًا من أمور الأمة فهو خيرٌ من الأمة، وإنما تنال الخيرية بالسلوك والأعمال، فأبو بكر إذا كان خيرهم فليس ذلك لمجرد ولايته عليهم بل ذلك لأعماله ومواقفه، حيث نفى الخير عند ثبوت الولاية.

ثم قال "**فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسددوني**"، ما أروعها من كلمة لو طبقها المسلمون فيما بينهم! فقد أقر حق الأمة في مراقبة أولي الأمر لأنها مصدر سلطتهم وصاحبة النظر في ولايتهم وعزلهم[3]. فإن كان على حق فعليك أن تعينه، وإن زلت قدمه، أو ضل رأيه فعليك أن تنصحه، وفي الحالتين لا ينبغي أن تعاديه، بهذه الطريقة ينمو المجتمع الإسلامي، ويقوى، ولا يتفتت[4]. هذا دستور الخلافة عند أبي بكر، إن أحسنت في رعاية أموركم فساعدوني بالعمل والتأييد وإن بعدت عن الصواب فوجهوني إلى الحق وأصلحوا ما

(1) آثار ابن باديس (3/ 401).
(2) السابق (3/ 401).
(3) آثار ابن باديس (3/ 401).
(4) خطبة النابلسي في عبر الصديق رضي الله عنه.

اعوجَّ من عملي، لأني سأقبل النصح والتوجيه والنقد لما فيه صلاح أمور الأمة. لأن كل إنسان ولاه الله منصبًا, ينبغي أن يفهم من حوله أن النصيحة أمانة، وأن ترك النصيحة خيانة للأمانة، أن المعاونة أمانة, وأن ترك المعاونة خيانة، هكذا المجتمع المسلم، البديل عند المنافقين, الحسد إذا أحسن, والفضيحة إذا أساء، هذا مجتمع المنافقين، "إن أحسنت فأعينوني, وإن أسأت فقوموني"، فمن حق الوالي على الأمة أن تقدم له العون إذا رأت استقامته، فيجب عليها أن تتضامن معه وتؤيده إذ هي شريكة معه في المسؤولية، ويجب نصحه وإرشاده ودلالته على الحق إذا ضل عنه، وتقويمه على الطريق إذا زاغ في سلوكه ؛ فهذا حق الأمة في مناقشة أولي الأمر ومحاسبتهم على أعمالهم وحملهم على ما تراه هي لا ما يرونه هم، فالكلمة الأخيرة لها لا لهم وهذا كله من مقتضى تسديدهم وتقويمهم عندما تقتنع بأنهم على باطل ولم يستطيعوا أن يقنعوها أنهم على حق.

"**أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم،**"

فعلى من تولى أمرًا من أمور الأمة أن يبين لها الخطة التي يسير عليها ليكونوا على بصيرة ويكون سائرًا في تلك الخطة عن رضا الأمة، إذ ليس له أن يسير بهم على ما يرضيه وإنما عليه أن يسير بهم فيما يرضيهم، فركز على مبدأ الطاعة للخليفة، طالما كان مطيعًا لله ورسوله، فإذا عصاهما فلا طاعة له على أحد، "**أطيعوني ما أطعت الله فيكم**" فخطته هي طاعة الله وقد عرفوا ما طاعة الله في الإسلام؟ فلا تُحكم الأمة إلا بالقانون الذي رضيته لنفسها وعرفت فيه فائدتها وما الولاة إلا منفذون لإرادتها فهي تطيع القانون لأنه قانونها لا لأن سلطة أخرى لفرد أو لجماعة فرضته عليها كائنًا من كان ذلك الفرد وكائنة من كانت تلك الجماعة، فتشعر بأنها حرة في تصرفاتها وأنها تُسيِّر نفسها بنفسها وأنها ليست ملكًا لغيرها من الناس لا الأفراد ولا الجماعة ولا الأمم، ويشعر بهذا الشعور كل فرد من أفرادها إذ هذه الحرية والسيادة حق طبيعي وشرعي لها ولكل فرد من أفرادها، فهم لا يطيعونه هو لذاته وإنما يطيعون الله باتباع الشرع الذي وضعه لهم ورضوا به لأنفسهم، وإنما هو مكلف منهم بتنفيذه عليه وعليهم، فلهذا إذا عصى وخالف لم تبق له طاعة عليهم[1].

(1) آثار ابن باديس (3/ 405).

"ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم".

فانتقل بأسلوب يقوي العلاقة بين الخطيب ومستمعيه، فهو الخليفة العادل، لا يعرف القوي ولا الضعيف، فالكل عنده سواسية كأسنان المشط، وأنه يسلك سبيل الحزم في رد الحقوق لأصحابها لا يخاف في الحق لومة لائم.

فلا مجاملة في تطبيق الشريعة فالكل سواء أمام العدالة، لا يضار الضعيف بل هو قوي حتى يأخذ حقه، ولا يخشى القوي، بل هو ضعيف حتى يؤخذ الحق منه، وكل ذلك بإرادة الله تعالى[1].

فالناس كلهم أمام الشرع سواء لا فرق بين قويهم وضعيفهم، فيطبق على القوي دون رهبة لقوته، وعلى الضعيف دون ازدراء أو استهتار لضعفه، فالخليفة عليه صون حقوق الأفراد وحقوق الجماعات، فلا يضيع حق ضعيف لضعفه ولا يذهب قوي بحق أحد لقوته عليه، ثم عليه حفظ التوازن بين طبقات الأمة عند صون الحقوق، فيؤخذ الحق من القوي دون أن يقسو عليه لقوته فيتعدى عليه حتى يضعف وينكسر، ويعطي الضعيف حقه دون أن يدلل لضعفه فيطغى عليه وينقلب معتديًا على غيره.

"أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم".

في نهاية الخطبة بيَّن الصديق شعور الراعي والرعية بالمسؤولية المشتركة بينهما في صلاح المجتمع، وشعورهما– دائما– بالتقصير في القيام بها ليستمرا على العمل بجد واجتهاد، فيتوجهان بطلب المغفرة من الله الرقيب عليهما[2].

هذا ما قاله ونفذه أول خليفة في الإسلام منذ أربعة عشر قرنا، فأين منه الأمم المتمدنة اليوم؟ فهل كان أبوبكر ينطق بهذا من تفكيره الخاص وفيض نفسه الشخصي؟ كلا! بل كان يستمد ذلك من الإسلام ويخاطب المسلمين يوم ذاك بما علموه وما لا يخضعون إلا له ولا

(1) الخطابة الإسلامية (ص: 61)

(2) آثار ابن باديس (3/ 405).

ينقادون إلا به، وهل كانت هذه الأصول معروفة عند الأمم فضلًا عن العمل بها؟ كلا! بل كانت الأمم غارقة في ظلمات من الجهل والانحطاط ترسف في قيود الذل والاستعباد تحت نير الملك ونير الكهنوت، فما كانت هذه الأصول والله –إذن– من وضع البشر، وإنما كانت من أمر الله الحكيم الخبير.

فلو دققنا في كلمات هذه الخطبة لوجدنا أنه قرر فيها مبادئ تبهر العقل، وتأخذ بالألباب، وتنم عن أنه كان فصيحًا بليغًا خطيبًا مفوهًا قوي الحجة شديد التأثير[(1)]، فيا لها من كلمات جامعة حوت الصراحة والعدل، مع التواضع والفضل، لنصرة الدين وإعلاء شأن المسلمين[(2)].

فهذه هي خطبة الخلافة ذات الكلمات القليلة التي ألقاها الصديق، فيها أعطى كل شيء حقه.

(1) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب (2/ 112) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: 1362هـ) تحقيق لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيرو.

(2) أبوبكر الصديق أول الخلفاء الراشدين، ط إحياء الكتب العربية (ص: 34).

خطبة أخرى له بعد البيعة:

وقال الطبري: نادى منادي أبي بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليتم بعث أسامة[1]: ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف[2]، وقام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا مِثْلُكُمْ، وَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلَّكُمْ سَتُكَلِّفُونَنِي مَا كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يُطِيقُ، إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ وَعَصَمَهُ مِنَ الآفَاتِ، وَإِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ، فَإِنِ اسْتَقَمْتُ فَتَابِعُونِي، وَإِنْ زُغْتُ فَقَوِّمُونِي، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُبِضَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَطْلُبُهُ بمظلمة[3] ضربة سَوْطٍ فَمَا دُونَهَا، أَلا وَإِنَّ لِي شَيْطَانًا[4] يَعْتَرِينِي، فَإِذَا أَتَانِي فَاجْتَنِبُونِي، لا أُؤْثِرُ فِي أَشْعَارِكُمْ وَأَبْشَارِكُمْ[5]، وَأَنْتُمْ تَغْدُونَ وَتَرُوحُونَ فِي أَجَلٍ قَدْ غُيِّبَ عَنْكُمْ عِلْمُهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلا يَمْضِيَ هَذَا الأَجَلُ إلا وَأَنْتُمْ فِي عَمَلٍ صَالِحٍ فَافْعَلُوا، وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ إلا بِاللَّهِ، فَسَابِقُوا فِي مَهَلٍ آجَالَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُسْلِمَكُمْ آجَالُكُمْ إِلَى انْقِطَاعِ الأَعْمَالِ، فَإِنَّ قَوْمًا نَسَوْا آجَالَهُمْ، وَجَعَلُوا أَعْمَالَهُمْ لِغَيْرِهِمْ، فَإِيَّاكُمْ أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ الْجَدَّ الْجَدَّ! وَالْوَحَا[6] الْوَحَا**

(1) هو أسامة بن زيد بن الحارثة، بن شراحيل الكلبي أبو محمد، ويقال: أبوزيد، وقيل غير ذلك، كنيته الحب بن الحب مولى رسول لله صلى الله عليه وآله وسلم، أمه أم أيمن حاضنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان أسود أفطس، أردفه رسول الله خليفة يوم الفتح على راحلته القصواء واستعمله وهو ابن ثماني عشرة سنة، روي له عن رسول الله 128 حديثاً وروى عنه ابن عباس وجماعة من كبار التابعين وكانت وفاته بالمدينة وقيل بوادي القرى وحمل إلى المدينة سنة 54هـ.

تهذيب التهذيب (1/ 208

(2) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام

(3)الظلامة.

(4)قال ابن أبي الحديد: وأراد بالشيطان الغضب، ولم يرد أن له شيطانًا من مردة الجن يعتريه إذا غضب، ولوكان له شيطان من الجن يعتاده وينوبه لكان في عداد المصروعين من المجانين، وما ادعى أحد على أبي بكر هذا لا من أوليائه ولا من أعدائه.

(5)أبشار جمع بشر، وهو جمع بشرة: وهي ظاهر الجلد.

(6)العجلة والإسراع، وحى وتوحى: أسرع، ووحاه، عجله.

وَالنَّجَاءَ[1] النَّجَاءَ! فَإِنَّ وَرَاءَكُمْ طَالِبًا حَثِيثًا[2]، أَجَلا مَرُّهُ سَرِيعٌ احْذَرُوا الْمَوْتَ، وَاعْتَبِرُوا بِالآبَاءِ وَالأَبْنَاءِ وَالإِخْوَانِ، وَلا تَغْبِطُوا[3] الأَحْيَاءَ إِلا بِمَا تَغْبِطُونَ بِهِ الأَمْوَاتِ"[4].

وقت الخطبة:

بعد أن بويع أبوبكر الصديق أي من بعد الغد من متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتم بعث جيش أسامة، الذي كان قد أُعِدَّ قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو أول أعماله التي قام بها في خلافته[5].

تحليل الخطبة:

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا مِثْلُكُمْ، وَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلَّكُمْ سَتُكَلِّفُونَنِي مَا كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يُطِيقُ"

بدأ الخليفة أبوبكر خطبته باستعمال (يا) في نداء القريب، وذلك لإفادة معنى التوكيد في تنبيه المخاطب وإثارة استيقاظه، "ولحرص المنادى على إقبال المدعو عليه ومفاطنته لما يدعو له"[6]، وهذا ما قصده الصديق مع الصحابة، حيث أراد شحذ هممهم واستعدادهم لهذا الأمر الجلل الخطر، وهو إتمام وتنفيذ ما كان قد أعده رسول الله صلى الله عليه وسلم من جيش أسامة للجهاد في سبيل الله، وأن أسامة شاب صغير، فليسمعوا وليطيعوا، وأن ذلك في سبيل مرضاة

(1)الإسراع أيضًا.

(2)سريعًا.

(3)غبطه: تمنى مثل حاله من غير أن يريد زوال نعمته عنه.

(4)تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ) (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، ت: 369هـ)، دار المعارف – مصر، الطبعة الثانية – 1387 هـ (ج 3:ص 224).

جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 67-68).

البداية والنهاية (6/ 307).

الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق لمحمد محمد خطاب السُبكي تحقيق أمين محمود خطاب الطبعة الرابعة 1406هـ،1986م (ج4- ص 232،233).

(5)تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (3/ 223).

(6) المفصل: للزمخشري، قدم له وراجعه وعلق عليه: د/ محمد السعدي،ط1، 1410هـ، دار إحياء العلوم بيروت /لبنان ص 368.

الله، فبيعوا أنفسكم لله، وأنه مهما بلغت فلن أكون في إطاقة رسول الله للناس في تحمله لهم وصبره عليهم، فإن طلبتم أمرا فاطلبوا على قدر استطاعتي له فإنما أنا مثلكم.

"إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ وَعَصَمَهُ مِنَ الآفَاتِ"

أي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مختار من عند الله لمقام النبوة، فمن جاء بعده لا يمكن أن يحل محله، ولذلك قد يحصل منه بعض الأخطاء وعليكم أن تعينوه وتنصحوه للبعد عنها وتفاديها.

"وَإِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ، فَإِنِ اسْتَقَمْتُ فَتَابِعُونِي، وَإِنْ زُغْتُ فَقَوِّمُونِي"

يعني متبعًا لكتاب الله وسنة رسوله، ما آتي بالبدع المخالفة للدين فأعينوني على الحق وردوني عن الباطل.

"وإن رسول الله صلى الله عيه وسلم قُبِضَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَطْلُبُهُ بمظلمة ضربه سَوْطٍ فَمَا دُونَهَا"

قال ذلك ليؤكد عدل الرسول وورعه وتنزهه عن الظلم، ويؤكد أيضًا وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنه بشر، وقد كَتَبَ الله الوفاة على كل نفس، فلا غرابة في أن ينتقل الحبيب صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، وقد شارك أبوبكر الصحابة وآنسهم صعوبة هذا الفراق، وهم حديثو العهد به فقد توفي الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يوجد من الأمة من يطلبه بحق من الحقوق.

"أَلا وَإِنَّ لِي شَيْطَانًا يَعْتَرِينِي، فَإِذَا أَتَانِي فَاجْتَنِبُونِي، لا أُؤْثِرُ فِي أَشْعَارِكُمْ وَأَبْشَارِكُمْ"

ما قاله أبوبكر رضي الله عنه من أعظم ما يمدح به، فإن الشيطان الذي يعتريه قد فسر بالغضب الذي يعرض لابن آدم، فخاف أن يعتدى على أحد من الرعية فأمرهم بمجانبته عند الغضب كما ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال: لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان، وهذا هو الذي أراده أبوبكر فنهى عن الحكم عند الغضب، فقصد أن لا يحكم وقت الغضب وأمرهم ألا يطلبوا منه حكمًا أو يحملوه على حكم في هذا الحال، وهذا من طاعته لله

ورسوله[1]، فلكل إنسان شيطان يعتريه، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ما من أحد إلا وله شيطان يعتريه. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن الله عز وجل أعانني عليه فأسلم**"[2].

"**لا أُوْثِرُ فِي أَشْعَارِكُمْ وَأَبْشَارِكُمْ**"

أي أنني لا طاعة لكم علي إن أتاني الغضب فلن أؤثر في حياتكم شيئًا.

"**فَإِنَّ وَرَاءَكُمْ طَالِبًا حَثِيثًا**"

هنا توكيد لمعنى الموت وأن كل نفس ذائقة الموت وأنهم لا ينكرونه، ولكن بدأ بتذكيرهم باليوم الآخر لكثرة غفلة الناس عنه، ولا يعملون لهذا اليوم، كأنهم ينكرون وقوعه فالطالب الحثيث هو الموت، فهناك ترابط بين الجمل الداخلة عليها وبين الجملة قبلها برابط قوي، فبعد ذكر الموت نبه إلى ما يتم فعله للاستعداد لهذا اللقاء والعمل لهذا اليوم، فالإنسان في هذه الدنيا يغدو ويروح **فِي أَجَلٍ قَدْ غُيِّبَ عَنْه عِلْمُهُ** فيطلب منهم الصديق أن يمضوا هذا الأجل في طاعة الله والعمل الصالح، "**فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلا يَمْضِيَ هَذَا الأَجَلُ إِلا وَأَنْتُمْ فِي عَمَلٍ صَالِحٍ فَافْعَلُوا**" ولن يكون ذلك إلا بالله والتوكل عليه، "**وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ إِلا بِاللَّهِ**" ورجع مرة أخرى لينبه أن الموت محتَم لا محالة "**مِنْ قَبْلِ أَنْ تُسْلِمَكُمْ آجَالُكُمْ**"، وينقطع العمل وتندمون على ما فاتكم، ثم جاء بعبارات توحي بالالتزام والحث على ما سبق: "**الْجَدَّ الْجَدَّ! وَالْوَحَا الْوَحَا! وَالنَّجَاءَ النَّجَاءَ**"، هذه الجملة بمعنى الزموا ذلك، ثم ربطها بجملة بعدها فيها التوكيد بـ(إن)، وهي "**فَإِنَّ وَرَاءَكُمْ طَالِبًا حَثِيثًا**"، **أَجَلا مَرُّهُ سَرِيعٌ، احْذَرُوا الْمَوْتَ، وَاعْتَبِرُوا بِالآبَاءِ وَالأَبْنَاءِ وَالإِخْوَانِ، وَلا تَغْبِطُوا الأَحْيَاءَ إِلا بِمَا تَغْبِطُونَ بِهِ الأَمْوَاتِ**".

ونلاحظ ذلك أن عبئاً ثقيلاً ألقي على عاتق الصديق رضي الله عنه، وكانت ولاية أبي بكر هي التجربة الأولى للمسلمين في الحكم بعد غياب رسول الله صلى الله عليه وسلم، في الوقت الذي أخذت الفتنة ترفع رأسها، فالمنافقون الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم شقوا عصا

(1)انظر منهاج السنة النبوية (5/ 462).

(2)رواه مسلم في صحيحه رقم (2815) في المنافقين، باب تحريش الشيطان، والنسائي في سننه 7 / 72 في عشرة النساء، باب الغيرة.

الطاعة وارتدوا عن إسلامهم، ولكن إيمان الخليفة الشيخ كان أقوى من الفتنة وأهلها، حين استطاع بموقفه الحازم أن يعيد الأمور إلى نصابها، ولا يقف الأمر عند هذا الحد؛ بل إن أبا بكر رضي الله عنه أخذ يوجه الجيوش إلى الجهاد والفتوح في سبيل الله، وهنا يتجلى جانب آخر من عبقرية الصديق رضي الله عنه، وقد حاول من خلال هذه الخطبة وضع الناس على الطريق السليم وهو طريق التفريق بين عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهده رضي الله عنه، فهو مهما بلغ من الرشد يظل متبعاً وليس مبتدعًا. فهذه الخطبة من الخطب الوعظية التي يدعو فيها الحاكم رعيته إلى الطريق القويم دونما ابتداع.

حيث قال الإسداوي: (وقد وضع أبوبكر الصديق في هذا القبس الخطابي عدة دعائم من دستور الحكم في الإسلام، مما يقوم على الشورى، والولاية، وتحري جادة الصواب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمساواة والإنصاف بين الرعية)[1].

تمكنت تلك المعاني الجميلة والقيم العظيمة في نفوس الناس وتأكدت في أذهنتهم؛ لأنهم هُيئوا بالنداء لتلقيها وشوقوا لمعرفتها.

وذكر الدكتور الصلابي[2] بعض الدروس المستفادة من هذه الخطبة، منها:

- بيان طبيعة خليفة رسول الله، وأنه ليس خليفة عن الله بل عن رسوله، وأنه بشر غير معصوم لا يطيق مقام رسول الله بنبوته ورسالته؛ ولذلك فهو في سياسته متبع وليس بمبتدع، أي أنه على نهج النبي في الحكم بالعدل والإحسان.
- بيان واجب الأمة في مراقبة الحاكم؛ لتعينه في إحسانه وصلاحه، وتقومه وتنصحه في غير ذلك، ليظل على الطريق متبعًا غير مبتدع.
- بيان أن النبي عدل بين الأمة فلم يظلم أحدًا؛ ولذلك ليس لأحد عند النبي مظلمة صغيرة أو كبيرة، ومعنى هذا أنه سوف يسير على النهج نفسه؛ ينشر العدل ويبتعد عن الظلم،

(1) انظر أدب صدر الإسلام، تجلياته وبناؤه التشكيلي، للدكتور: عبد المجيد الإسداوي، مكتبة المتنبي الدمام – السعودية(ص 372).

(2) الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق (ص: 178).

ومن ثم على الأمة أن تعينه على ذلك، وإذا رآه أحد غاضبًا فعليه أن يجتنبه حتى لا يؤذي أحدًا، فيخالف ما رآه في سياسة الاتباع للنبي. والشيطان الذي يعتري الصديق يعتري جميع بني آدم، فإنه ما من أحد إلا وقد وكَّل الله به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فقد قال رسول الله: ما من أحد إلا وقد وكّل به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن، قيل: وأنت يا رسول الله؟، قال: وأنا، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير.

ومقصود الصديق بذلك: إني لست معصومًا كالرسول، وهذا حق.

- حرص الصديق على وعظ المسلمين وتذكيرهم بالموت وحال الملوك الذين مضوا، وحثهم على العمل الصالح ليستعدوا للقاء الله عز وجل، ويستقيموا في حياتهم على منهج الله تعالى.

خطبة له عن الملوك:

ومن خطبه: "**حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك، فرفع الناس رءوسهم، فقال: ما لكم يا معشر الناس؟ إنكم لطعانون عجلون، إن من الملوك من إذا ملك زهَّده الله فيما في يده، ورغَّبه فيما في يد غيره، وانتقصه شطر أجله، وأشرب قلبه الإشفاق، فهو يحسد على القليل، ويتسخط**[1] **الكثير، ويسأم الرخاء وتنقطع عنه لذة البهاء، لا يستعمل العبرة، ولا يسكن إلى الثقة؛ فهو كالدرهم القسي**[2]**، والسراب الخادع، جذل الظاهر، حزين الباطن؛ فإذا وجبت**[3] **نفسه، ونضب عمره، وَضَحَا ظله**[4]**، حاسبه الله فأشد حسابه، وأقل عفوه، ألا إن الفقراء هم المرحومون، وخير الملوك من آمن بالله، وحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وإنكم اليوم على خلافة نبوة، ومفرق محجة، وسترون بعدي ملكًا عضوضًا**[5]**، وأمة شعاعًا**[6]**، ودمًا**

(1)تسخط عطاءه: استقله ولم يقع منه موقعًا.

(2)الزائف. الرديء الذي خالطه غش من نحاس وغيره. الفائق في اللغة 3-19[1]

(3)مات. ووجبت الشمس: غابت، والعين غارت.

(4)مات أيضًا.

(5)العضوض: ما يعض عليه، وملك عضوض: فيه عسف وظلم.

(6)متفرقة. متفرقين مختلفين. الغريب لابن قتيبة (1- 56).

مفاحًا[1]**؛ فإن كانت للباطل نـزوة**[2]**، ولأهل الحق جولة، يعفو لها الأثر، وتموت السنن؛ فالزموا المساجد، واستشيروا القرآن، والزموا الجماعة، وليكن الإبرام بعد التشاور، والصفقة بعد طول التناظر، أي بلاد خرشنة**[3] **إن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أدناها**"[4].

وقت الخطبة:

قال الصديق خطبته عندما أراد الفصل في كلام الأنصاري وهو إبراهيم بن محمد المفلوج، من ولد أبي زيد القارئ: الخلفاء والأئمة وأمراء المؤمنين ملوك، وليس كل ملك يكون خليفة وإمامًا[5].

تحليل الخطبة:

بدأ أبوبكر خطبته بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ثم بدأ الكلام في موضوعه الذي قصده، وهو الخطبة وتحذر من بعض الأمور الغريبة من فتن ربما تحدث بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد بدأ كلامه عن الملك والملوك بالأسلوب الخبري المؤكد؛ حيث قال: "**إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك**" فرفع الناس رءوسهم متعجبين من قوله، كيف يكون الملوك أشقى الناس في الدنيا والآخرة، وهم الذين عندهم من أسباب الدنيا ما يريدون ويتنعمون في الشهوات كما يشاءون، ويستطيعون أن يحققوا ما يريدون؟! فكيف يكون الملوك أشقى الناس في الدنيا والآخرة؟!

فرد عليهم أبوبكر ما فهمه من تعجبهم الذي عبروا عنه برفع رءوسهم، فقال: "**ما لكم أيها الناس؟!**"يستفهم ويتعجب من أمرهم واستغرابهم مما قال.

وأتبع هذا الاستفهام بقوله: "**إنكم لطعانون عجلون**" وبهذه الجملة المؤكدة بأن، وبهذا الوصف الذي وصفهم به من أنهم طعانون عجلون، كأنه يلومهم على استغرابهم وتعجبهم من

(1)أفاحه: أراقه. فاح الدم: سال. الغريب لابن قتيبة (1- 56).
(2)وثبة.
(3)خرشنة: بلد بالروم، والمراد بلاد الروم.
(4) العقد الفريد (ج 4/ص 150 -151) جمهرة خطب العرب (ج1، ص: 70-71)
(5) البيان والتبيين (2/ 30)

كلامه قبل أن ينتظروا تمام هذا الكلام، وكان الأولى بهم أن ينتظروا توضيح ما قاله أبوبكر في أن أشقى الناس الملوك الذين يتولون أمر الناس، ولا يستطيعون العدل فيهم.

وبدأ يوضح لماذا الملوك هم أشقى الناس في الدنيا والآخرة، فقال: "**إن من الملوك من إذا ملك زهده الله فيما في يده، ورغبه فيما في يدي غيره**"، فساق هذا الكلام بأسلوب التوكيد بأن، فلم يقصد أبوبكر التعميم على كل الملوك وذلك؛ لأن "من" هنا تفيد البعضية، يبين أن بعض الملوك يكون المُلك وبالًا عليهم في الدنيا والآخرة، فيكون شقيًّا.

هذا البعض من الملوك إذا ملك زهده الله فيما عنده، لا يتنعم بما عنده من الملك، ولا يقنع به، ورغبه فيما بأيدي غيره، ينظر إلى ما ليس عنده مما هو بأيدي الناس، فيسلك بذلك المسلك طريقًا وعرًا؛ لأنه يدل على طمعه وعدم الاستفادة بما أنعم الله عليه، فهولا يقنع بما عنده، ولا يتنعم به، بل يزهد فيه.

ويرغب فيما في يد غيره، ومن غضب الله على هذا النوع من الملوك أنه بسلوكه هذا المسلك يشقى في الدنيا، ويُبتلى بما يحرمه من السعادة بملكه، ويركبه الهم؛ فينتقص أجله، ويتملك الإشفاق والأجل والحزن قلبه ليس خوفًا من الله، وإنما هو الخوف على الدنيا.

ثم قال "**وانتقصه شطر أجله، وأشرب قلبه الإشفاق**":

فجاءت هذه الجملة معطوفة عطفًا صريحًا على ما قبلها، وذلك يدل على أن هذا الخوف على الدنيا، والحرص عليها تملك من قلبه، ولذلك جاءت الجمل التي بعد ذلك تبين نتيجة هذا التملك، تملك الخوف من قلبه، فهو يحسد غيره على القليل الذي عنده، "ويتسخط الكثير "لا يرضى بالكثير الذي عنده" ويسأم الرخاء "يفسد عليه حياته، وتنقطع عنه لذة البهاء، ولذة البهاء هنا معناها لذة التوسط، فهولا يعجبه القليل، ولا يعجبه الكثير، ولا يتمتع بحالة التوسط، فهو شقي على كل حال.

"لا يستعمل العبرة" لا يتفكر، ولا يتدبر، ولا يستنتج العبر من الأحداث ومن تقلبات الدنيا والأيام "ولا يسكن إلى الثقة" فهو ضعيف النفس وضعيف العقل، لكن الناس يرون مظهره مظهر

ملك، ولذلك جاء التعبير بعد ذلك ليقول: "**فهو كالدرهم القسي، والسراب الخادع، جذل الظاهر، حزين الباطن**".

إذًا له مظهر يختلف عن جوهره، فمظهر الملك هو الذي يظهر عليه، وهذا المظهر يوحي بالسعادة والطمأنينة في القلب، لكن هذا الملك ليس كذلك، ولذلك فصورته هذه صورة خادعة لا يدل مظهرها على حقيقتها، فهو يشبه الدرهم المزيف، "الدرهم القسي"؛ أي الدرهم الزائف فحال الملك الذي لا ثقة فيه ولا يفيد أمته كالدرهم الزائف، ووجه الشبه بينهما عدم الفائدة إلى جانب ما فيه من أذى للمجتمع فالغرض من هذا التشبيه التحذير من أمثال هؤلاء.

وقال أيضا **(والسراب الخادع)** يحسبه الظمآن ماءً وما هو بماء، وهذا تشبيه آخر والعلاقة بين المشبه والمشبه به هو السعي وراء شيء لا ينال منه إلا الوصب والضرر وضياع الوقت.

فيحذر أبوبكر من خلال هذين التشبيهين من الاتصاف بالأخلاق السيئة، ويوصي بالابتعاد عن الملوك والرؤساء الذين أكبر همهم هو الدنيا ولا يفكرون في مصالح أممهم وشعبهم، فبهذه الكلمات جاء بصفات الملوك ألا وهي الزيف والخداع وعدم النفع.

هذا الملك يكون فرحًا في ظاهره أو مسرورًا في ظاهره أو هكذا يحسبه الناس، لكنه في باطنه حزين، وأقول: حزين على الدنيا التي لا يرضيه منها كثيرها، ويحسد الآخرين على قليلها، ولا يرضى ولا يسكن إلى حال من الأحوال.

ويظل هذا الشقي المحروم على تلك الحالة من الشقاء في الدنيا حتى يلقى ربه "فإذا وجبت نفسه، ونضب عمره وضحا ظله، حاسبه الله فأشد حسابه وأقل عفوه" فلا تتحقق له سعادة في الآخرة، ولا ينجو من حساب الله ويحاسب على هذا الملك الذي امتحن به في الدنيا، فلم يحسن القيام بأمره، ولم يشكر الله عليه.

ثم يقول أبوبكر: "**ألا إن الفقراء هم المرحومون؟!**"بدأت هذه الجملة بألا؛ لينبه السامعين، لأن هؤلاء الفقراء أحق بالرحمة من الملوك؛ لأن الفقراء لم يتمكنوا من أسباب الدنيا، كما مكن هؤلاء الملوك.

وإذا كان الكلام فيما سبق يبين صفات الملوك الأشقياء، فإن أبا بكر تحدث عن الملوك السعداء، وهم الذين قال فيهم: "**وخير الملوك من آمن بالله وحكم بكتابه وسنة نبيه**".

ثم قال: "**وإنكم اليوم على خلافة النبوة ومفرق المحجة، وسترون بعدي ملكًا عضوضًا، وأمة شعاعًا ودمًا مفاحًا**" وفي هذا الكلام تأكيد على ما أخبر به الرسول، وقد تحققت هذه الأمور، فتحول الملك بعد زمن الخلافة الراشدة إلى ملك عضوض وملك عنود، وأريقت دماء كثيرة، وتفرقت الأمة فرقًا كثيرة، فكلمة "عضوض" أي يعض الناس فيه بعضهم بعضًا؛ وهذا يدل على الظلم والاقتتال، والملك العنود أيضًا الذي فيه ظلم وتعسف، والأمة عندما قال "وأمة شعاعًا" أي متفرقة، **فصور الملك إنسانًا عسيفًا وظالمًا وجعلت الأمة شمسًا لها أشعة متشتتة ومتفرقة في أرجاء الكون، وصور كثرة الدماء البشرية المهراقة ظلمًا وعدوانًا بالطيب والروائح الفواحة التي تملأ المكان وجعل الباطل حيوانًا له نزوة.**

ثم نصح السامعين بقوله: "فإن كانت للباطل نزوة، ولأهل الحق جولة يعفو بها الأثر، وتموت السنن، فالزموا المساجد، واستشيروا القرآن، والزموا الجماعة، وليكن الإبرام بعد التشاور، والصفقة بعد طول التناظر"، **فهذه ألفاظ تنم عن إرشاد الناس وما يجب أن يفعلوه إذا ظهرت مثل هذه الأمور والأحداث.** فهو هنا يدعو المستمعين إلى التزام الحق، والمحافظة على الصلاة، وتقوية صلتهم بالقرآن الكريم والتمسك به، ولزوم الطاعة والتزام المساجد، وعدم مفارقة الجماعة، وعدم التعجل في اتخاذ القرار، فهذه الأمور هي التي يجب أن يعتصم بها الناس في أوقات الفتن.

ثم يقول أبوبكر: "أي بلادكم خرشنة؟" فالمراد هنا بلاد الروم، ثم قال: "**إن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أدناها**"، فالمراد هنا التبشير بأن الإسلام سينتشر، وأن الله سيفتح عليهم، وسيفتح لهم أقصى الأرض، كما فتح عليهم أدناها.

وهذا أيضًا كان مما بشر به الرسول ومما أخبر به القرآن الكريم؛ وبالفعل أظهر الله دينه، وفتح على المسلمين بلاد فارس وبلاد الروم وبلاد مصر، وانتشر دين الله في أرجاء الأرض في المشرق وفي المغرب.

فقد بين الصديق من خلال هذه الخطبة أن الأمانة مرتبطة بالزهد، فهو الوسيلة إلى العدل، وذكرهم بالموت فهو أعظم موعظة، فبعده تكون المحاسبة، كما أرشد ووعظ أصحابه ووعظ من بعدهم بأن الدنيا سوف تزداد سوءًا بسوء فسيكون هناك الملك العضوض الذي لم يكن زمن الخلافة الراشدة، فقد وجه إلى العبادة والطاعة عند الفتن وعدم المشاركة فيها والتنافس على السلطة، والدنيا التي تستباح معها الدماء وتضيع معها السنن، ووجههم إلى لزوم القرآن والمساجد وحذر من الخروج إلى الحكام رغم ما يكون منهم من ظلم، وبشَّر أصحابه بالنصر والفتح والتمكين لرفع الهمم وتقوية الإيمان.

خطبة في الإخلاص والاعتبار:

وَقَامَ أَيْضًا فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ اللَّـهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يَقْبَلُ مِنَ الأَعْمَالِ إِلا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُهُ، فَأَرِيدُوا اللَّـهَ بِأَعْمَالِكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا أَخْلَصْتُمْ لِلَّهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَطَاعَةٌ أَتَيْتُمُوهَا، وَحظ ظَفَرْتُمْ بِهِ، وَضَرَائِبُ أَدَّيْتُمُوهَا وَسَلَفٌ قَدَّمْتُمُوهُ مِنْ أَيَّامٍ فَانِيَةٍ لأُخْرَى بَاقِيَةٍ، لِحِينِ فَقْرِكُمْ وَحَاجَتِكُمْ، اعْتَبِرُوا عِبَادَ اللَّهِ بِمَنْ مَاتَ مِنْكُمْ وَتَفَكَّرُوا فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَيْنَ كَانُوا أَمْسَ وَأَيْنَ هُمُ الْيَوْمَ ؟ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ وَأَيْنَ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ ذِكْرُ الْقِتَالِ وَالْغَلَبَةُ فِي مَوَاطِنِ الْحُرُوبِ ؟ قَدْ تَضَعْضَعَ بِهِمُ الدَّهْرُ وَصَارُوا رَمِيمًا، قَدْ تُرِكَتْ عَلَيْهِمُ الْقَالاتُ[1]، الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ، وَأَيْنَ الْمُلُوكُ الَّذِينَ أَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَّرُوهَا ؟ قَدْ بُعِدُوا وَنُسِيَ ذِكْرُهُمْ وَصَارُوا كَلا شَيْءٍ، أَلا إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْقَى عَلَيْهِمُ التَّبِعَاتِ وَقَطَعَ عَنْهُمُ الشَّهَوَاتِ، وَمَضَوْا وَالأَعْمَالُ أَعْمَالُهُمْ، وَالدُّنْيَا دُنْيَا غَيْرِهِمْ، وَبَقِينَا خَلَفًا بَعْدَهُمْ، فَإِنْ نَحْنُ اعْتَبَرْنَا بِهِمْ ؛ نَجَوْنَا، وَإِنِ اغْتَرَرْنَا ؛ كُنَّا مِثْلَهُمْ. أَيْنَ الْوُضَّاءُ[2] الْحَسَنَةُ وُجُوهُهُمْ، الْمُعْجَبُونَ بِشَبَابِهِمْ ؟ صَارُوا تُرَابًا وَصَارَ مَا فَرَّطُوا فِيهِ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ. أَيْنَ الَّذِينَ بَنَوُا الْمَدَائِنَ وَحَصَّنُوهَا بِالْحَوَائِطِ وَجَعَلُوا فِيهَا الأَعَاجِيبَ ؟ قَدْ تَرَكُوهَا لِمَنْ خَلْفَهُمْ، فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ خَاوِيَةً، وَهُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْقُبُورِ، "هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَو تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا[3]"؟ أَيْنَ مَنْ تَعْرِفُونَ مِنْ أَبْنَائِكُمْ وَإِخْوَانِكُمْ ؟ قَدِ انْتَهَتْ بِهِمْ آجَالُهُمْ فَوَرَدُوا عَلَى مَا قَدَّمُوا فَحَلُّوا عَلَيْهِ، وَأَقَامُوا لِلشَّقْوَةِ وَالسَّعَادَةِ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، أَلا إِنَّ اللَّـهَ لا شَرِيكَ لَهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ سَبَبٌ يُعْطِيهِ بِهِ خَيْرًا، وَلا يَصْرِفُ عَنْهُ بِهِ سُوءًا إِلا بِطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَبِيدٌ مَدِينُونَ، وَأَنَّ مَا عِنْدَهُ لا يُدْرَكُ إِلا بِطَاعَتِهِ، أَمَا أَنَّهُ لا خَيْرَ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ، وَلا شَرَّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ"[4].

---

(1) القول: في الخيرة، والقال والقيل والقالة: في الشر.

(2) الوضاء جمع وضيء: وهو الحسن والنظيف، وهو أيضًا وضاء بضم الواو وتشديد الضاد، وجمعه وضاءون.

(3) الصوت الخفي.

((4)أنظر: تاريخ الطبري 3: 224، 225) جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 69-70).

خطب مختارة (ص:34-35) البداية والنهاية ط إحياء التراث (6/ 334-335).

مناسبة الخطبة:

الحث على الإخلاص في العمل، والاعتبار من الذين سبقوا.

تحليل الخطبة:

"إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يَقْبَلُ مِنَ الأَعْمَالِ إلا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهَهُ، فَأَرِيدُوا اللَّهَ بِأَعْمَالِكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا أَخْلَصْتُمْ لِلَّهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَطَاعَةٌ أَتَيْتُمُوهَا، وَحظ ظَفَرْتُمْ بِهِ، وَضَرَائِبُ أَدَّيْتُمُوهَا وَسَلَفٌ قَدَّمْتُمُوهُ مِنْ أَيَّامٍ فَانِيَةٍ لأُخْرَى بَاقِيَةٍ، لِحِينِ فَقْرِكُمْ وَحَاجَتِكُمْ"

تحدث الخليفة في هذه الخطبة عن موضوع يريد أن يرسخه في قلوب المؤمنين ألا وهو الإخلاص في العمل لوجه الله، وأكده بمؤكدين وهما (إن والاستثناء)، وذلك لجلالة أمر الإخلاص، ففيه النجاة في الآخرة وبه يكون الظفر.

فيجب أن لا يشرك العامل في عبادة ربه أحدًا، ويبتغي الأجر من الله، فمن أراد بعمله الدنيا وزينتها دون الله والآخرة فحظه ما أراد وليس له غيره[1].

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لَا يقبل من الْعَمَل إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا وابتغى بِهِ وَجهه»[2]، فشرط العمل الإخلاص وهذا الحديث من أقوى أدلة من قال لا ثواب في عمل إلا إن خلص كله من الرياء.

فبعد أن حض على أهمية الإخلاص أعقب هذه الجملة بأوامر تدعو إلى الإخلاص في العمل فقال: "فأريدوا الله بأعمالكم" وقال: "واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها...إلخ".

فبين الصديق أن الله تعالى لا يقبل إلا المخلَص من العمل، فدعا إلى الإخلاص في العمل وأن الطاعة هي التي تخلصون النية بها لله والنصيب الذي نلتموه، والخراج الواجب الذي يدفع للسيد، والثمن الذي أديتموه لأجل سلعة مضمونة ألا وهي الفوز بالجنة ورضا الله عنكم من

(1) فيض القدير (2/ 275).
(2) تخريج أحاديث الإحياء = المغني عن حمل الأسفار (ص: 1754).

أيام فانية وهي الدنيا إلى أيام باقية وهي الجنة، لحين فقركم وحاجتكم أي فقركم من الحسنات وحاجتكم لها لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "هَلْ تَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟"، قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا، يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. قَالَ: "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصِيَامٍ وَصَلَاةٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، فَيُقْعَدُ، فَيَقُصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ"[1].

"اعْتَبِرُوا عِبَادَ اللَّهِ بِمَنْ مَاتَ مِنْكُمْ وَتَفَكَّرُوا فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ"

وهنا التذكير بالموت الذي لا مفر منه مستذكرًا حديث رسول الله: "أكثروا من ذكر هادم اللذات".

"أَيْنَ كَانُوا أَمْسَ وَأَيْنَ هُمُ الْيَوْمَ ؟ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ[2]؟ وَأَيْنَ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ ذِكْرُ الْقِتَالِ وَالْغَلَبَةُ فِي مَوَاطِنِ الْحُرُوبِ ؟ قَدْ تَضَعْضَعَ بِهِمُ الدَّهْرُ وَصَارُوا رَمِيمًا، قَدْ تُرِكَتْ عَلَيْهِمِ الْقَالاتُ".

يتساءل الصديق أين الأحياء الذين كانوا بيننا؟ أين المتكبرون الذين لا يرون لأحد عليهم حقًا ؟!

وأين المنتصرون في الحروب قد أذلهم الزمان وقَدْ تَضَعْضَعَ بِهِمُ الدهرُ فأَصْبَحُوا فِي ظُلُماتِ القُبُور.

أَي أَذلّهم[3] وصاروا رميمًا أي باليًا[4] لا فائدة منهم وقَدْ تُرِكَتْ عَلَيْهِمِ الْقَالاتُ ونسي ذكرهم وأصبحوا كلا شيء، فاستخدم هنا "أين" للاعتبار بما حل بالسابقين من الفناء والضياع وسوء الحال، **"هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَو تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا"**.

(1) مسند أحمد ط الرسالة (14/ 138).
(2)الجَبَّارُ: الْمُتَكَبِّرُ الَّذِي لَا يَرَى لأَحد عَلَيْهِ حَقًّا. لسان العرب (4/ 113).
(3) لسان العرب (8/ 224).
(4) المعجم الوسيط (1/ 374).

ويتساءل الصديق أيضًا: أين الملوك الذين ملكوا الأرض وعمروها؟ مجيبا بعد ذلك إجابة وعظية يقول فيها: قد نسوا وبعد ذكرهم وصاروا لا شيء، "**أَبْقَى عَلَيْهِمُ التَّبِعَاتِ**"، فالعمل الذي لا إخلاص فيه يكون هباءً منثورًا، ثم انتقل باستفهامات متتالية عن أمور وقعت وعرفها الجميع وذلك للرجوع إلى الله الذي هو الأول والآخر والظاهر والباطن فهو حي لا يموت وإليه المصير.

فقد كان الصديق يحضهم على الأعمال الحسنة حتى يكون جميع المسلمين في الجنة ولا سبيل للجنة إلا الإخلاص في العمل.

"**أَلا إِنَّ اللَّـهَ لا شَرِيكَ لَـهُ لَيْسَ بَيْنَـهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِـهِ سَبَبٌ يُعْطِيـهِ بِـهِ خَيْرًا، وَلا يَصْرِفُ عَنْـهُ بِـهِ سُوءًا إِلا بِطَاعَتِـهِ وَاتِّبَـاعِ أَمْرِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَبِيدٌ مَدِينُونَ، وَأَنَّ مَا عِنْدَهُ لا يُدْرَكُ إِلا بِطَاعَتِهِ، أَمَا أَنَّهُ لا خَيْرَ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ، وَلا شَرَّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ**"

استخدم الصديق ألا الاستفتاحية للفت انتباه المخاطب إلى ما يتحدث عنه وهوما سيأتي بعدها من كلام ذي أهمية بالنسبة إلى المخاطب حتى لا يفوته الأشياء التي يريد إيصالها إليه نتيجة غفلته عنها، فبذه الكلمات أنهى خطبته لأن الناس كلهم متساوون عند الله فلا يعطى الله فلانًا ويترك فلانًا ولكن يعطي كلًا منهم حسب طاعته، لأن ما عند الله لا يدرك إلا بالطاعة، فلخصت هذه الكلمات موضوع الخطبة ألا وهو الإخلاص في العمل وأن الجنة أعدت للمخلصين.

وفي نهاية هذه الخطبة يتبين لنا عظمة الموت وأن أبا بكر الصديق أراد أن يذكر المسلمين بمصير كل فرد فيهم وهو مصيرنا كلنا ألا وهو الموت، لذلك فهو يدعوهم إلى العمل لله وحده لأن الإنسان مهما بلغ من العمر والقوة فمصيره إلى الزوال والفناء من هذه الدار وقد سرد لهم الخليفة أبوبكر هذه السير مستشهدًا بمن كان قبلهم من الملوك ومن الأقوام الذين بنو المدائن وحصنوها، ماذا كان مصيرهم فقد كان مصيرهم الموت لذلك فهو يدعوهم لتحسين أعمالهم في دار الفناء هذه والعمل لليوم الآخر.

"فاعلموا يومًا بيوم، وساعة بساعة، واتقوا دعاء المظلوم، واحذروا والحذر ينفع، واعملوا والعمل يقبل، ثم تفكروا عباد الله في إخوانكم وصحابتكم الذين مضوا، قد وردوا على ما قدموا فأقاموا عليه، وحلوا في الشقاء والسعادة فيما بعد الموت".

إن الله ليس له شريك وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيرًا، ولا يصرف عنه سوءًا إلا بطاعته واتباع أمره، فإنه لا خير في خير بعده النار، ولا شر في شر بعد الجنة، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وصلوا على نبيكم صلى الله عليه وسلم والسلام عليه ورحمه الله وبركاته (رواه بن عساكر في تاريخ دمشق).

خطبة في التقوى والعمل الصالح:

وخطب أيضًا فقال:

"الحمد لله، أحمده، و أستعينه، وأستغفره، وأومن به، وأتوكل عليه، وأستهدي الله بالهدى، وأعوذ به من الضلالة والردى، ومن الشك والعمى، من يهد الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، يعز من يشاء، ويذل من يشاء بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون، إلى الناس كافة، رحمة لهم، وحجة عليهم والناس حينئذ على شر حال في ظلمات الجاهلية، دينهم بدعة، ودعوتهم فرية؛ فأعز الله الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم، وألف بين قلوبكم أيها المؤمنون، فأصبحتم بنعمته إخوانًا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون؛ فأطيعوا الله ورسوله، فإنه قال عز وجل: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[1].

أما بعد أيها الناس: إني أوصيكم بتقوى الله العظيم في كل أمر، وعلى كل حال، ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم، فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير، من يكذب يفجر، ومن يفجر يهلك، وإياكم والفخر، وما فَخُر من خُلِق من التراب، وإلى التراب يعود؟ هو اليوم

(1) النساء: 80.

حي، وغدًا ميت؛ فاعملوا وعدوا أنفسكم في الموتى، وما أشكل عليكم فردوا علمه إلى الله، وقدموا لأنفسكم خيرًا تجدوه محضرًا؛ فإنه قال عز وجل ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَو أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[1]. فاتقوا الله عباد الله وراقبوه، واعتبروا بمن مضى قبلكم، واعلموا أنه لا بد من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم صغيرها وكبيرها، إلا ما غفر الله، إنه غفور رحيم، فأنفسكم أنفسكم، والمستعان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[2] اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، أفضل ما صليت على أحد من خلقك، وزكنا بالصلاة عليه، وألحقنا به، واحشرنا في زمرته، وأوردنا حوضه. اللهم أعنا على طاعتك، وانصرنا على عدوك[3].

تحليل الخطبة:

استهل خطبته رضي الله عنه بحمد الله، والثناء عليه فقال: "**الحمد لله**"، وهي جملة اسمية تفيد الثبوت والدوام والاستمرار، على ما ينبغي لجلال وجهه سبحانه، ثم صاغ المعنى نفسه في جملة فعلية: "**أحمده**" والجملة الفعلية تفيد التجدد والحدوث؛ وفي هذين الأسلوبين يتم المعنى بأن حمد الله سبحانه وتعالى والثناء عليه يكون في كل حال دائمًا ومتجددًا.

ثم أكمل كلامه بعد الحمد باستغفار الله، وتأكيد الإيمان به، والاعتماد عليه، وطلب الهدى منه، والحماية من الشرك، والضلال، والشك في عظمته، والارتياب فيها، ثم وحد الله، وذكر أنَّ مَنْ أضله الله فلا أحد يمكن أن يرشده، ثم أسند المُلك والحمد لله، والقدرة على الإحياء

---

(1) آل عمران: 30.

(2) الأحزاب: 56.

(3)"العقد الفريد (4/ 152) جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 71-72).

الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق، لمحمود محمد خطاب السُبكي، نقحه وصححه أمين محمود خطاب، الطبعة الرابعة سنة 1406هـ /1986م (ج 4 /ص235-236).

والإماتة، بينما هو حيّ ونفى عنه صفة الموت ؛ مما يعني خلوده، وأسند العزَّةَ والذلَّ إليه، وقدرة الله على كل شيء.

ثم تلى قوله تعالى: ﴿**كنتم على شفا حفرة من النار**﴾ وذلك يدل على صفة القرب الشديد من النار ؛ لكفرهم. والله سبحانه هو المنقذ لكم من هذه النار.

ثم أردف توحيده بشهادته برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وعبوديته لله، ووضح سبب إرساله وهو: أن يشمل الدين الإسلامي ويعلو به على كل الأديان، ولوكان ذلك ما يكرهه المشركون. ثم وضح أن القرآن يستفيد منه الناس الرحمة؛ بما فيه من طريق الهداية، ولكنه – أيضًا – دليل عليهم يوم القيامة ؛ بأنهم لم يهتدوا بهديه، ثم ذكَّر مستمعيه بأنَّ الله عندما أرسل رسوله كانت الناس في تخبط وجهل، دينهم مُفترَى، ويدعون إلى الكذب، فكان الرسول هو الذي جُعِلَ به الدين عزيزًا. واستطاع بالقرآن وبصفاء نفسه أن يحول حالة العدوان إلى الألفة، وأن يدركهم من مصيرهم التعس (حالة كونهم كفارًا) ؛ فيهديهم إلى الحق، ثم يختم بأن عظمة الله – الظاهرة في خلقه – تقود إلى الهداية، إلا من أبى، "فذكر إنما أنت مذكر لستَ عليهم بمسيطر".

إن هذه القطعة النادرة من خطب أبي بكر – رضي الله عنه – لَمِن أجود الخُطب الإسلامية بعامَّة، ومِن أجود خطبه بخاصة؛ وذلك لما اشتملَت عليه من المعاني الشريفة السامية في أسلوب جزل رصين؛ فقد راعى – رضي الله عنه وأرضاه – أسلوب هذا النص؛ حيث أفرغه في قالب يُناسبه؛ لأن "المعاني الجزلة لا بد لها من ألفاظ وجمل وتراكيب في غاية الفخامة، والمعاني الرقيقة المستملحة لا بد لها من ألفاظ تناسبها رقة وسلاسة؛ ليحصل التشاكل والتناسق بين النوعين، وتكون المعاني مع الألفاظ كالعروس المجلوة في الثوب القشيب، مع إعطاء كل موضوع حقه مِن شِدَّة العبارة ولينها في النطق، ليكون ذلك أدل على المعنى"[1] ثم بدأ يوصي بكثير من الوصايا أهمها تقوى الله، فالله هو الذي أنعم علينا بنعمه الكثيرة والالتزام

(1) http://www.alukah.net/literature_language/0/54292/#ixzz41pZ2jRud د. محمد بن هسعد الدبل ، تاريخ الإضافة: 2013/5/12 م ، 1434/7/2

بالحق في السعادة والحزن، وذكر صفات المنافقين التي يجب الابتعاد عنها وهي الكذب والفجور، ونبه على ضرورة البعد عن الكبر لأن أصل كل إنسان التراب "**ما فخر من خلق من تراب**" والجميع مصيرهم هو الموت. ومن الوصايا التي وجهها إليهم أنه يجب على المؤمن أن يعد نفسه للموت كأنه يموت غدًا ونصحهم باتباع كتاب الله ورد أي مسألة إليه ولسنة نبيه.

خطبة في موعظة التقوى:

وخطب أيضًا؛ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

"**أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَنْ تُثْنُوا عَلَيْهِ بِمَا هُو أَهْلُهُ، وَأَنْ تَخْلِطُوا الرَّغْبَةَ بِالرَّهْبَةِ، وَتَجْمَعُوا الإِلْحَافَ بِالْمَسْأَلَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَثْنَى عَلَى زَكَرِيَّا وَأَهْلِ بَيْتِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: "إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ"[الأنبياء: 90] ثُمَّ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِ ارْتَهَنَ بِحَقِّهِ أَنْفُسَكُمْ، وَأَخَذَ عَلَى ذَلِكَ مَوَاثِيقَكُمْ، وَعوضكم بالْقَلِيلَ الْفَانِي الْكَثِيرِ الْبَاقِي، وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ فِيكُمْ لا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلا يُطْفَأُ نُورُهُ، فَثِقُوا بِقَوْلِهِ، وَانتصِحُوا[1] كِتَابَهُ، وَاسْتَبْصِرُوا مِنْهُ لِيَوْمِ الظُّلْمَةِ، فَإِنَّه خلقكم لِلْعِبَادَةِ، وَوُكِّلَ بِكُمُ الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ"**[2].

مناسبة الخطبة:

قال الصديق هذه الخطبة لنصح الناس وإرشادهم إلى صلاح النفس ودعوتهم لمراقبة أنفسهم في السر والعلن وإعداد أنفسهم ليوم الظلمة.

تحليل الخطبة:

كانت بداية خطبته كغيرها من الخطب بدأت بالحمد والثناء على الله سبحانه وتعالى. "**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَنْ تُثْنُوا عَلَيْهِ بِمَا هُو أَهْلُهُ، وَأَنْ تَخْلِطُوا الرَّغْبَةَ بِالرَّهْبَةِ، وَتَجْمَعُوا الإِلْحَافَ بِالْمَسْأَلَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَثْنَى عَلَى زَكَرِيَّا وَأَهْلِ بَيْتِهِ، فَقَالَ تَعَالَى:" إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**"

(1)انتصح فلان: قبل النصيحة، يقال: انتصحني فإني لك ناصح.

(2)"العقد الفريد (4/ 152-153)جمهرة خطب العرب ص (72-73) عيون الأخبار (2/ 252)

في هذه الفقرة ذكر الخليفة الوصايا المهمة لرضا الله علينا وليثني علينا وهي أربعة: تقوى الله، والثناء عليه، ومراعاة الخوف والرجاء، والدعاء والابتهال.

حيث ذكر الخليفة في هذه الخطبة خير مثال على من أثنى الله عليهم ألا وهو سيدنا زكريا لالتزامه بهذه الأمور الأربعة، فكان لذكر قصة واقعية كقصة سيدنا زكريا وأهل بيته في هذه الخطبة تأثير قوي على السامعين، فهي من روائع القصص القرآني فقد كانوا يعيشون في جو إيماني صادق ويسارعون إلى الخيرات، ويتسابقون في طاعة الله، ويرجون رحمته، ويخافون عذابه، فلم يرجحوا كفة الرجاء على الخوف ولا كفة الخوف على الرجاء، وكذلك شأنهم في دعاء مولاهم بين الرغبة والرهبة، ناهيك عما يملأ صدورهم من الخشوع والتقوى ولذلك أثنى عليهم سبحانه وتعالى في كتابه الكريم فقال: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾[1].

قوله ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ**﴾ يقول الله: إن زكريا وزوجه ويحيى، كانوا يسارعون في الخيرات في طاعتنا، والعمل بما يقرّبهم إلينا، وقوله ﴿**وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا**﴾ أي كانوا يعبدوننا رغبًا ورهبًا، وعنى بالدعاء في هذا الموضع: العبادة، كما قال (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيًا) ويعنى بقوله ﴿**رَغَبًا**﴾ أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله ﴿**وَرَهَبًا**﴾ يعني رهبة منهم من عذابه وعقابه، بتركهم عبادته وركوبهم معصيته. وقال أهل التأويل: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا**﴾ قال: رغبًا في رحمة الله، ورهبًا من عذاب الله.

في قوله: (**وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا**) خوفًا وطمعًا، ولا ينبغي لأحدهما أن يفارق الآخر، وقوله (**وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**) يقول: وكانوا لنا متواضعين متذللين، ولا يستكبرون عن عبادتنا ودعائنا.

(1) الأنبياء: 90.

"ثُمَّ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِ ارْتَهَنَ بِحَقِّهِ أَنْفُسَكُمْ، وَأَخَذَ عَلَى ذَلِكَ مَوَاثِيقَكُمْ، وَعوضكم بالْقَلِيلَ الْفَانِي الْكَثِيرِ الْبَاقِي، وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ فِيكُمْ لا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلا يُطْفَأُ نُورُهُ، فَثِقُوا بِقَوْلِهِ، وَانتصِحُوا كِتَابَهُ، وَاسْتَبْصِرُوا مِنْهُ لِيَوْمِ الظُّلْمَةِ، فَإِنَّه خلقكم لِلْعِبَادَةِ، وَوُكِّلَ بِكُمُ الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ"

جاء هذا الجزء من الخطبة امتدادًا وإكمالًا لما سبق وذلك لأن ثناء الله سبحانه وتعالى وشكره واجب على عباده، لأنه أنعم عليهم بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، ومن هذه النعم ما أعده سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين في يوم الآخرة من الجنات وأنزل عليهم في الدنيا كتاب فيه الحق والرشاد، لن يضلوا أبدًا إن تمسكوا به وعملوا بمقتضاه.

"عوضكم بالْقَلِيلَ الْفَانِي الْكَثِيرِ الْبَاقِي"

يذكرهم بأن متاع الدنيا قليل وفانٍ، وأن الآخرة هي الباقية.

"وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ فِيكُمْ لا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلا يُطْفَأُ نُورُهُ، فَثِقُوا بِقَوْلِهِ، وَانتصِحُوا كِتَابَهُ، وَاسْتَبْصِرُوا مِنْهُ لِيَوْمِ الظُّلْمَةِ"

أي أن كتاب الله موجود معنا ليل نهار وصباح مساء، وفيه من العجائب ما لا ينقضي ولا ينتهي، ولا ينطفئ نوره، فلذلك على المؤمن أن يعمل به ويثق بما فيه وليعد نفسه ليوم الظلمة.

وختم خطبته بقوله: **"فَإِنَّه خلقكم لِلْعِبَادَةِ، وَوُكِّلَ بِكُمُ الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ"**

كانت هذه الخاتمة قوية التأثير على السامعين وخصوصًا أنه اقتبسها من القرآن الكريم من سورة الانفطار "كرامًا كاتبين، يعلمون ما تفعلون"[1]، فقد أكد أن الله هو الذي خلقنا فهو أجدر بالعبادة والتصديق.

(1) الانفطار: آية 11-12

خطبة له في الأنصار:

ووصل إليه مال من البحرين، فساوى فيه بين الناس، فغضبت الأنصار، وقالوا له فضلنا؛ فقال أبوبكر صدقتم، إن أردتم أن أفضلكم صار ما عملتموه للدنيا، وإن صبرتم كان ذلك لله عز وجل، فقالو: والله ما عملنا إلا لله تعالى وانصرفوا، فرقي أبوبكر المنبر؛ فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله. ثم قال: "يا معشر الأنصار: إن شئتم أن تقولوا إنا أويناكم في ظلالنا، وشاطرناكم في أموالنا، ونصرناكم بأنفسنا: قلتم: وإن لكم من الفضل ما لا يحصيه العدد وإن طال به الأمد. فنحن وأنتم كما قال طفيل الغنوي[1]:

جَـزَى اللَّـهُ عَنَّـا جَعْفَـرًا حِـينَ أَزْلَقَـتْ بِنَـا نَعْلُنَـا فِـي الْـوَاطِئِينَ فَزَلَّـتِ
أَبَـوْا أَنْ يَمَلُّونَـا وَلَـو أَنَّ أُمَّنَـا تُلاقِـي الَّـذِي يَلْقَـونَ مِنَّـا لَمَلَّـتِ
هـم أسـكنونا فـي ظـلال بيـوتهم ظـلال بيـوت أدفـأت وأظلـت [2]

مناسبة الخطبة:

عندما وصل للخليفة أبي بكر الصديق مال من البحرين فطلب الأنصار أن يكون لهم جزء من هذا المال فأراد الصديق من خلال هذه الخطبة أن ينبه الأنصار بأن لهم مكانة عظيمة في الإسلام وأنهم إن أخذوا من هذا المال فإنهم يريدون الدنيا وإن أبوا أن يأخذوا منه فإنهم سيكسبون الآخرة.

(1)الوحشيات = الحماسة الصغرى (ص: 251)

نسبه: (طفيل بن عوف بن خلف بن ضبيس بن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن جلان بن غنم بن غَنِيّ بن أعصر) الأعلام للزركلي (3/ 228) كان من أوصف الناس للخيل، وكان يقال له فى الجاهليّة المحبّر، لحسن شعره. وقال عبد الملك ابن مروان: من أراد أن يتعلّم ركوب الخيل فليرو شعر طفيل الشعر والشعراء (1/ 444).

(2)"زهر الآداب(ج 1:ص 70-71).جمهرة خطب العرب ص (73-74) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (13/ 115-116)

تحليل الخطبة:

"**يا معشر الأنصار**"

بدأ الصديق خطبته بأداة النداء التي كان لها تأثير كبير، لمناسبتها لهذا المقام لأنه يريد أناسًا مخصوصين، وهم الأنصار ليلفت انتباههم، وليصححوا مفهومهم الذي جانب الصواب، ثم اختار لهم أجمل الألفاظ وأرقاها ليناديهم بها، فقال "**معشر الأنصار**" ولم يقل "**أيها الأنصار**"، لحسن أدبه معهم، ولكي يثبت أنهم من أهل الفضل والمكانة المرموقة في أوساط المسلمين.

"**إن شئتم أن تقولوا: إنا أويناكم في ظلالنا، وشاطرناكم في أموالنا، ونصرناكم بأنفسنا**"

هذه الجملة بمثابة توقع لما يمكن أن يقوله الأنصار ردًا على منعهم من الأموال وأنه لم يكن لهم نصيب من هذه الأموال، لكن الأنصار لم يقولوه أدبًا وتقديرًا للصديق رضي الله عنه، فالأنصار لهم الفضل في المساندة للمسلمين، وهم الذين آووا المهاجرين في بيوتهم وأعطوهم المنازل والأموال، وناصروا المسلمين من زمن الرسول، فهم أصحاب الفضل والمنة.

"**وإن لكم من الفضل ما لا يحصيه العدد وإن طال به الأمد... إلى نهاية الأبيات**"

هنا يؤكد الصديق رضي الله عنه على فضائل الأنصار الكثيرة، فهنا اعتراف بالفضل لأهله "الأنصار" ثم ساق الصديق أبياتًا للشاعر الغنوي، وذلك ليبين فضل الأنصار وكرمهم وإغاثتهم الملهوف، و قد كان طفيل الغنوي يتصف هو وعشيرته بالكرم والجود فصوَّر حالة المهاجرين مع الأنصار بحالة الغنوي وعشيرته مع جعفر الممدوح في تحملهم وصنع المعروف لهم الذي لا يمكن أن يحصل من أقرب الناس إليهم، وهكذا شأن الأنصار مع المهاجرين، قاسموا إخوانهم الأنصار بيوتهم وأموالهم وأزواجهم، وقدموا لهم الغالي والنفيس ويؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة.

ففي ذلك تشبيه حالة بحالة، بجامع إغداق الكرم المفرط من كرماء على أصحابهم، فأسروهم بذلك، لأنه كما يقال: إذا أكرمت الكريم ملكته.

فقرر الصديق بكلامه رضي الله عنه: صنائع المعروف تقى مصارع السوء. الموت أهون مما بعده، وأشد مما قبله، ليست مع العزاء مصيبة، ولا مع الجزع فائدة. ثلاث من كنّ فيه كنّ عليه: البغي، والنكث، والمكر، إن الله قرن وعده بوعيده؛ ليكون العبد راغبًا وراهبًا[1].

تعدُّ هذه الخطبة بمثابة إعادة للتاريخ، فموقف أبي بكر من الأنصار يشبه موقف الأنصار مع النبي صلى الله عليه وسلم في غنائم غزوة حنين حين أعطاها لأهل مكة والمهاجرين ولم يعط الأنصار شيئًا فوردت القصة في صحيح مسلم:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا فَتَحَ حُنَيْنًا قَسَمَ الْغَنَائِمَ، فَأَعْطَى الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ، فَبَلَغَهُ أَنَّ الْأَنْصَارَ يُحِبُّونَ أَنْ يُصِيبُوا مَا أَصَابَ النَّاسُ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَطَبَهُمْ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا، فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي؟ وَعَالَةً، فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي؟ وَمُتَفَرِّقِينَ، فَجَمَعَكُمُ اللهُ بِي؟» وَيَقُولُونَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، فَقَالَ: «أَلَا تُجِيبُونِي؟» فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّكُمْ لَو شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا كَذَا وَكَذَا، وَكَانَ مِنَ الْأَمْرِ كَذَا وَكَذَا» لِأَشْيَاءَ عَدَّدَهَا، زَعَمَ عَمْرٌو أَنْ لَا يَحْفَظُهَا، فَقَالَ: «أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْإِبِلِ، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللهِ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ الْأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَو سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا، لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهُمْ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»[2].

فالصديق في خطبته اقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم على رغم من الإيجاز الذي كان في الخطبة، فتوقع ما يمكن أن يقول الأنصار ردًا على توزيعه الأموال ولكن لم يقولوه أدبًا وتقديرًا" إن شئتم أن تقولوا إنا أويناكم في ظلالنا، وشاطرناكم في أموالنا، ونصرناكم بأنفسنا" كما توقع الرسول صلى الله عليه وسلم" أَمَا إِنَّكُمْ لَو شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا كَذَا وَكَذَا، وَكَانَ مِنَ الْأَمْرِ كَذَا وَكَذَا» لِأَشْيَاءَ عَدَّدَهَا".

(1) زهر الآداب وثمر الألباب (1/ 71).
(2)صحيح مسلم (2/ 738)

وذكر كل منهما (الرسول والصديق) في خطبتيهما مآثر الأنصار وفضلهم ومناقبهم فقال الصديق: "وإن لكم من الفضل ما لا يحصيه العدد وإن طال به الأمد" أما في خطبة الصديق فقال" الْأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَو سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا، لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهُمْ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ".

فيا لها من خطبة جميلة تأثر فيها الصديق ببلاغة خليله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفصاحته، لذلك كانت هذه الخطبة المختصرة من أسمى آيات البلاغة.

المبحث الثاني:

خطب الصديق في الفتوحات والجهاد:(13هـ)

توطئة:

اسْتَهَلَّ الصديق سنة ثلاث عشرة من الهجرة ببدء فتوح الشام، فعزم عَلَى جَمْعِ الْجُنُودِ لِيَبْعَثَهُمْ إِلَى الشَّامِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَرْجِعِهِ من الحج عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾ **وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى:** ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾.

وَاقْتِدَاءً بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ جَمَعَ الْمُسْلِمِينَ لِغَزْوِ الشَّامِ– وَذَلِكَ عَامَ تَبُوكَ– حَتَّى وَصَلَهَا فِي حَرٍّ شَدِيدٍ وَجَهْدٍ، فرجع عامه ذلك، ثم بعث قبل موته أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ مَوْلَاهُ لِيَغْزُو تُخُومَ الشَّامِ. وَلَمَّا فَرَغَ الصِّدِّيقُ مِنْ أَمْرِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ بَسَطَ يَمِينَهُ إِلَى الْعِرَاقِ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ إِلَى الشَّامِ كَمَا بَعَثَ إِلَى الْعِرَاقِ، فَشَرَعَ فِي جَمْعِ الْأُمَرَاءِ فِي أَمَاكِنَ مُتَفَرِّقَةٍ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وولاهم لغز والشام[1].

(1) البداية والنهاية ط الفكر (7/ 2)

خطبة لأبي بكر في ندب الناس لفتح الشام:

وخطب يندب الناس لفتح الشام؛ فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله:

وقال: "ألا إن لكل أمر جوامع، فمن بلغها فهي حسبه، ومن عمل لله كفاه الله، عليكم بالجد والقصد، فإن القصد أبلغ؛ ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له، ولا أجر لمن لا حسبة له، ولا عمل لمن لا نية له؛ ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله، كما ينبغي للمسلم أن يحب أن يخص به، هي التجارة التي دل الله عليها، ونجى بها من الخزي، وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة"[1].

وقت الخطبة ومناسبتها:

قال الصديق خطبته عندما أراد أن يحث المسلمين ويشحذ قواهم إلى الجهاد في سبيل الله وليرسلهم إلى القتال فيه لما للجهاد من مكانة عظيمة عند الله عز وجل وأنه هو التجارة الرابحة.

فأَمَّرَ عمر على فِلَسْطِينَ، وَأَمَّرَهُ بِطَرِيقٍ سَمَّاهَا لَهُ، وَكَتَبَ إِلَى الْوَلِيدِ وَأَمَّرَهُ بِالأُرْدُنِّ، وَدَعَا يَزِيدَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، فَأَمَّرَهُ عَلَى جُنْدٍ عَظِيمٍ. وأما أَبَو عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ فأَمَّرَهُ عَلَى حِمْصَ[2].

تحليل الخطبة:

بدأ الصديق خطبته بالحمد والثناء على الله سبحانه وتعالى ودخل في موضوع خطبته مباشرة دون أية مقدمات، فاستهل خطبته "بألا" التي تفيد التنبيه وتحمل في طياتها قوة الإثارة ليتناسب مع موضوع قوي وجريء كالجهاد في سبيل الله.

"ألا إن لكل أمر جوامع، فمن بلغها فهي حسبه، ومن عمل لله كفاه الله، عليكم بالجد والقصد، فإن القصد أبلغ".

---

(1) انظر: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (3/ 390)، جمهرة خطب العرب (ج1/ 73).

(2) السابق (3/ 390).

إن هذه **الكلمات** الموجزة التي تحمل في طياتها من المعاني العميقة المترابطة جاءت لتنبه وترشد المجاهد إلى ما يجب أن يستشعره تجاه الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله والتركيز على الجهاد والفوز بجنات الله ونعيمها الباقي وليس نعيم الدنيا الفاني، فكان لهذه الكلمات الوقع الكبير والتأثير القوي في نفوس المجاهدين.

"**فمن بلغها فهي حسبه، ومن عمل لله كفاه الله**"

هنا بيان لشرط الله في نوال الجزاء الحسن والرفيع والكفاية والعناية من كل شر ألا وهو الجهاد في سبيل الله فقط لا رياء فيه ولا استسلام.

ثم **حضهم** على ضرورة الصبر والإقدام والعمل الجاد في سبيل الله فقال "**عليكم بالجد والقصد**" فبعد أن أمر الصديق بالجد والقصد جاء بعبارة" **فإن القصد أبلغ**" ليدلل على ضرورة الاقتصاد في الإقدام فيجب أن لا يتهور في ملاقاة العدو، فإن ملاقاة العدو، والأقدام يتطلبان صبرًا عظيمًا وحنكة وحكمة.

"**ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له، ولا أجر لمن لا حسبة له، ولا عمل لمن لا نية له**"

تضمنت هذه الفقرة ثلاثة معان قوية وأمورًا قطعية وهي الإيمان والاحتساب والنية.

- "**ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له** "أي يجب أن يتصف المجاهد بالإيمان والدين وقد اقتبس ذلك من حديث رسول الله (لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ)[1].
- "**ولا أجر لمن لا حسبة له** "**أي أن الإنسان** لا أجر له إلا إذا احتسب أعماله لله سبحانه، فيجب على المجاهد أن يجاهد محتسبًا الأجر لا يريد إلا رضا الله وأجره، وقد اقتبس ذلك من حديث رسول الله: "**لَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ لَهُ**"[2].
- "ولا عمل لمن لا نية له "أي أن كل إنسان يجب أن تكون له نية وهذه النية ينبغي أن توجه لله تعالى لا يريد بها شهرة أو أجرًا وقد اقتبس ذلك من حديث رسول الله "إِنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ"[3].

(1) مصنف ابن أبي شيبة (6/ 159).
(2) السنن الكبرى للبيهقي (1/ 67).
(3) السنن الكبرى للبيهقي (1/ 67)

"ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله، كما ينبغي للمسلم أن يحب أن يخص به، هي التجارة التي دل الله عليها، ونجى بها من الخزي، وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة".

أكد الصديق في هذه العبارة على أن القرآن الكريم وعد بالثواب والأجر العظيم للمجاهدين في سبيل الله، وأحب الصديق أن يخص بهذا الأجر المسلمين.

"**هي التجارة التي دل الله عليها**": التجارة هنا يقصد بها تجارة الله التي يريدها وهي التي لها ذلك الفضل العظيم التي ذكرها سبحانه وتعالى في القرآن خاصة ومقصورة على الجهاد في سبيل الله قال تعالى: { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10)**} [سورة الصف:10]

وقال أيضًا: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ**﴾[1].

فتجارة الله دائمة ومتواصلة الأرباح دون انقطاع بخلاف التجارات الأخرى فإنها تربح أحيانا وتخسر أحيانا أخرى.

"**ونجى بها من الخزي، وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة**": أي أن هذه التجارة تنجي من الخزي والعار وهي التي تعطي الإنسان كرامته في الدنيا والآخرة.

فبين الصديق من خلال هذه الكلمات الحماسية التي تمتلئ بالإيمان والحث على الجهاد الخالص لله الذي لا يراد به إصابة شيء من الدنيا، فالهدف إما النصر والعزة والكرامة وإما الشهادة.

وختم الصديق خطبته بكلمات قوية التأثير على السامعين بأنْ رغَّبَهم في الجهاد لأن نهايته هي الشهادة وفيها الأجر والثواب العظيم، فأجر الشهداء لا مثيل له فهم أحياء عند ربهم يرزقون فأكد على أن تجارة الله في الدنيا هي الجهاد في سبيل الله والربح في الآخرة الثواب والأجر العظيم.

(1) التوبة: 111.

خطبة أبي بكر في فتح الشام:

وسار أبو عبيدة حتى إذا دنا الجابية بلغه أن هرقل ملك الروم بأنطاكية، وأنه قد جمع لهم جموعًا كثيرة، فكتب أبو عبيدة إلى أبي بكر يخبره بذلك، فقام أبوبكر رضي الله عنه في الناس:

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "أما بعد فإن إخوانكم المسلمين معافون مكلئون[1]، مدفوع عنهم، مصنوع لهم، وقد ألقى الله الرعب في قلوب عدوهم منهم، وقد اعتصموا بحصونهم، وأغلقوا أبوابها دونهم عليهم، وقد جاءتني رسلهم يخبروننني بهرب هرقل ملك الروم من بين أيديهم، حتى نزل قرية من قرى الشام في أقصى الشام، وقد بعثوا إلي يخبروننني أنه قد وجه إليهم هرقل جندًا من مكانه ذلك، فرأيت أن أمد إخوانكم المسلمين بجند منكم يشدد الله بكم ظهورهم، ويكبت بهم عدوهم، ويلق بهم الرعب في قلوبهم، فانتدبوا رحمكم الله مع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص. واحتسبوا في ذلك الأجر والخير فإنكم إن نصرتم فهوالفتح والغنيمة. وإن تهلكوا فهي الشهادة الكرامة"[2].

مناسبة الخطبة:

عندما أراد أبوبكر إرسال الإمدادات والمساندة بالجيش والعتاد إلى المقاتلين في الشام، لأن الروم حشدوا قوات كبيرة في أجنادين وأن هرقل أرسل الجيوش للتصدي للقوات الإسلامية فكان على أبي بكر أن يرسل المساندة للمقاتلين في الشام.

تحليل الخطبة:

بدأ الصديق خطبته بالتشجيع وشحذ الهمم من المسلمين للجهاد والقتال لمساندة إخوانهم ومناصرتهم لإعلاء كلمة الإسلام في كل البلاد بعد أن اقترب النصر بانهيار جيش العدو وفقدانه لهيبته أمام المسلمين.

---

(1)محروسون.

(2)"فتوح الشام ص27".

"وقد جاءتني رسلهم يخبرونني بهرب هرقل ملك الروم من بين أيديهم، حتى نزل قرية من قرى الشام في أقصى الشام"

أرسل أبو عبيدة بن الجراح إلى الصديق كتابًا يعلمه فيه بهرب هرقل ملك الروم ونزوله قرية من قرى الشام تدعى أنطاكية، وأنه بعث إلى أهل مملكته فحشرهم إليه فرد عليه أبوبكر الصديق فقال له: إن هرب هرقل ملك الروم إلى أنطاكية يعدُّ هزيمة له ولأصحابه وفتحًا من الله عليك وعلى المسلمين، وأما أنه حشر أهل مملكته وجمع الجموع للمسلمين فهذا ما كان يتوقعه المسلمون منهم، وفي نهاية رسالته بدأ الصديق بطمأنة أبي عبيدة بالحمد لله أن قد غزاهم رجال كثير من المسلمين يحبون الموت حب عدوهم الحياة ويرجون من الله في قتالهم الأجر العظيم، ويحبون الجهاد في سبيل الله أشد من حبهم أبكار نسائهم وعقائل أموالهم، الرجل منهم عند الفتح خير من ألف رجل من المشركين، وأوصاه أيضًا بلقاء العدو ولا يستوحش لمن غاب من المسلمين، فإن الله معه وأنه سيمده بالرجال ليتم النصر عليه[1].

فشرع الصديق في إمداد الجيوش الإسلامية ببلاد الشام بالرجال والسلاح والخيول وما يحتاجونه، ودعا هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وقال له: يا هاشم، إن من سعادة جَدِّك ووفاء حظك أنك أصبحت ممن تستعين به الأمة على جهاد عدوها من المشركين، وممن يثق الوالي بنصيحته ووفائه وعفافه وبأسه، وقد بعث إليَّ المسلمون يستنصرون على عدوهم من الكفار، فسر إليهم فيمن تبعك، فإنني نادب الناس معك، فاخرج حتى تقدم على أبي عبيدة أو يزيد قال: لا، بل على أبي عبيدة! قال: فأقدم على أبي عبيدة.

وكانت نهاية هذه الخطبة غاية في البلاغة والإيجاز والإيحاء لأنه أمام كل مجاهد خياران هما النصر والعزة والكرامة أو الشهادة وفي كلا الحالتين قد فاز بالثواب العظيم. فطلب منهم أبوبكر أن يحتسبوا الأجر والخير عند النصر لأن الله فتح البلاد على أيديهم.

---

(1) فتوح الشام للأزدي ص 24-25.

أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري وصححه وليم ناسولين الايرلاندي طبع في مدينة كلكتة سنة 1854.

فبعد هذه الخطبة انصرف الصديق إلى بيته فبدأ الناس التجمع حول هاشم بن عتبة فلما **أتموا ألفًا أمره الصديق أن يسير إلى الشام.**

فتح الشام:

حدث أبو إسماعيل محمد بن عبد الأزدي البصري صاحب فتوح الشام قال: لما أراد أبوبكر رحمة الله عليه أن يجهز الجنود إلى الشأم؛ دعا عمر وعثمان وعليًّا وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبا عبيدة بن الجراح ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم، فدخلوا عليه فقال: "**إن الله تبارك وتعالى لا تحصى نعمه، ولا تبلغ جزاءها الأعمال؛ فله الحمد كثيرًا على ما اصطنع عندكم، فقد جمع كلمتكم، وأصلح ذات بينكم، وهداكم إلى الإسلام، ونفى عنكم الشيطان؛ فليس يطمع أن تشركوا بالله، ولا أن تتخذوا إلهًا غيره؛ فالعرب اليوم بنوأم وأب، وقد أردت أن أستنفرهم إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين، ويجعل الله كلمته العليا، مع أن للمسلمين في ذلك الحظ الأوفر؛ فمن هلك منهم هلك شهيدًا، وما عند الله خير للأبرار، ومن عاش منهم عاش مدافعًا عن الدين، مستوجبًا على الله عز وجل ثواب المجاهدين، هذا رأيي الذي رأيت فليشر علي امرؤ بمبلغ رأيه**"[1].

مناسبة الخطبة:

قبل خروج الصحابة إلى ملاقاة الروم جمع الصديق كبار الصحابة لاستجلاء آرائهم في سير الجيوش المجاهدة لإعلاء كلمة الله على أرض الشام[2].

---

(1) الخلفاء الراشدون مواقف وعبر: عبد العزيز بن عبد الله الحُميدي / طبعة 1426هـ – 2005 م دار الدعوة للطباعة والنشر – الإسكندرية ص 134.

الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء: أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، دار النشر / عالم الكتب – بيروت – 1417هـ الطبعة الأولى، تحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين علي (107/106/3).

الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق (ص: 339).

(2) أبوبكر الصديق وبنوه في سجل الفخر والعزة، سجل العزة والعزم الشرف الرفيع: د. محمود عبد الرحمن شرف الدين، مكتبة الآداب – القاهرة 1991. ص121.

تحليل الخطبة:

يشير الصديق في هذه الخطبة إلى فضل الله ونعمه التي لا تعد ولا تحصى، فهو المجازي بالأعمال وهو الذي جمَّع كلمة المسلمين تحت راية لا اله إلا الله، وهو الذي أصلح ذات البين فليس يطمع أن تشركوا به، ولا تتخذوا إلهًا غيره، فالعرب اليوم أمة واحدة بنو أم وأب (وهذا بعد أن جمع الله كلمة المسلمين من جديد بعد حروب الردة)، وهدى الناس إلى الإسلام وأبعد عنهم رجس الشيطان، ثم بدأ الصديق يتحدث عن نعمة كبيرة من نعم الله ألا وهي الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى لغزو الروم لإعلاء راية الحق، لأنه سبب الفلاح وطريق العز والرفعة والنجاح، وأنه أفضل التجارات الرابحة، وأن أهله أرفع الخلق درجات في الدنيا والآخرة، فهو ذروة سنام الدين وأحب الأعمال إلى رب العالمين، وأن الروحة والغدوة واليوم والليلة في الجهاد ومصابرة الأعداء خير من الدنيا وما عليها، ففضائل الجهاد لا تعد ولا تحصى، وثمراته العاجلة والآجلة لا تحد ولا تستقصى، وكيف لا يكون الجهاد في سبيل الله يحتوي على هذه الفضائل الجليلة فهو الذي فيه عز الدنيا وسعادتها وفيه سعادة الآخرة وكرامتها؟! فقد أراد الصديق أن يستنفر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين، ويجعل الله كلمته هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، مع أن للمسلمين في ذلك الحظ الوافر؛ لأنّه من هلك منهم هلك شهيدًا، وما عند الله خير للأبرار، ومن عاش عاش مدافعًا عن الدين مستوجبًا على الله ثواب المجاهدين. (أي أن للمسلمين في حروبهم إما النصر والعزّة، وإما الشهادة في سبيل الله، وعلى هذا يجب أن تكون حياتنا كلها خالصة لله تعالى، وجهادًا في سبيله، في كل لحظة من لحظات الحياة.

"هذا رأيي الذي رأيت فليشر علي أمرؤ بمبلغ رأيه"

أفرغ الصديق خطبته بالطلب من الصحابة أن يدلوا إليه بآرائهم في غزو الروم بعد أن أجمعوا على ذلك، فتنوعت وجهات نظر بعضهم في كيفية هذا الغزو، فكان رأي عمر إرسال الجيوش تلو الجيوش حتى تتجمع في الشَّام فتكون قّوة كبيرة تستطيع أن تعمد للأعداء، وكان رأي عبد الرحمن بن عوف أن يبدأ الغزو بقّوات صغيرة، تغير على أطراف الشام ثم تعود إلى المدينة، حتى إذا تّم إرهاب العدو وإضعافه؛ تبعث الجيوش الكبيرة، وقد أخذ أبو بكر برأي عمر في هذا الأمر، واستفاد من رأي عبد الرحمن بن عوف فيما يتعلق بطلب المدد بالجيوش من قبائل العرب وخاصَّة أهل اليمن[1]، فقد أفرغ الصديق خطبته بأسلوب الأمر لحرصه الشديد واهتمامه الكبير بمصلحة المسلمين.

(1) انظر الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق (ص: 339 -340)

المبحث الثالث

وصايا الجهاد

وصيته لأسامة بن زيد:

وأوصى أسامة بن زيد وجيشه حين سيره إلى أبنى[1]، فقال: **وَقَالَ: يَأَيُّهَا النَّاسُ، قِفُوا أُوصِيكُمْ بِعَشْرٍ فَاحْفَظُوهَا عَنِّي: لا تَخُونُوا، وَلا تَغْلُوا[2]، وَلا تَغْدِرُوا[3]، وَلا تُمَثِّلُوا، وَلا تَقْتُلُوا طِفْلًا صَغِيرًا، وَلا شَيْخًا كَبِيرًا، وَلا امْرَأَةً، وَلا تَقْعِرُوا[4] نَخْلا، وَلا تَحْرِقُوهُ، وَلا تَقْطَعُوا شَجَرَةً مُثْمِرَةً، وَلا تَذْبَحُوا شَاةً وَلا بَقَرَةً وَلا بَعِيرًا إِلا لِمَأْكَلَةٍ[5]، وَسَوْفَ تَمُرُّونَ بِأَقْوَامٍ قَدْ فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ، فَدَعُوهُمْ وَمَا فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ، وَسَوْفَ تَقْدُمُونَ عَلَى أَقْوَامٍ يَأْتُونَكُمْ بِآنِيَةٍ فِيهَا أَلْوَانُ الطَّعَامِ، فَإِذَا أَكَلْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا، وتَلْقَوْنَ أَقْوَامًا قَدْ فَحَصُوا أَوْسَاطِ رُءُوسِهِمْ تَرَكُوا حَوْلَهَا مِثْلَ الْعَصَائِبِ، فَاخْفِقُوهُمْ[6] بِالسُّيُوفِ خَفْقًا. انْدَفِعُوا بِاسْمِ اللَّهِ**[7]"[8].

وَقَالَ لَهُ الصديق: اصْنَعْ ما أمرك به نبي الله صلى الله عليه وسلم، ابدأ ببلاد قضاعه ثم ايت آبِلَ، وَلا تُقَصِّرَنَّ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وَلا تَعْجَلَنَّ لِمَا خَلَفْتَ عَنْ عَهْدِهِ فَمَضَى أُسَامَةُ مُغِذًّا عَلَى ذِي الْمَرْوَةِ وَالْوَادِي، وَانْتَهَى إلى ما أمره به النبي صلى الله عليه وسلم مِنْ بَثِّ الْخُيُولِ فِي قَبَائِلِ قُضَاعَةَ وَالْغَارَةِ عَلَى آبِلَ، فَسَلِمَ وَغَنِمَ، وَكَانَ فَرَاغُهُ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا سِوَى مُقَامِهِ وَمُنْقَلَبِهِ رَاجِعًا[9].

---

(1)موضع بقرب مؤتة بمشارق الشام قتل فيه والده زيد بن حارثة.

(2)غل يغل كنصر: خان كأغل، وغل صدره يغل كضرب غليلًا وغلًا: حقد.

(3)غدره وغدر به كنصر وضرب وسمع.

(4)قعر النخلة: كمنع فانقعرت قطعها من أصلها فسقطت.

(5)المأكلة: ما أكل.

(6)خفقه: ضربه بشيء عريض.

(7)وأورد العقد الفريد هذه الوصية وذكر أنها وصية من أبي بكر لزيد بن أبي سفيان –راجع العقد جـ1 ص40.

(8)"تاريخ الطبري 3/ 226–227، والكامل لابن الأثير 2: 162". كنز العمال (10/ 579–580)

(9) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (3/ 227)، جمهرة خطب العرب (74/1)

مناسبة الخطبة:

وصية الصديق لأسامة بن زيد قبل أن يتوجه إلى الشام وذلك ليرسى ويوضح القواعد التي تتعلق بالحروب عند توجيه جيوش المسلمين.

تحليل الخطبة:

كان إنفاذ جيش أسامة من أعظم الأمور نفعا للمسلمين؛ فإن العرب قالوا لولم يكن بالمسلمين قوة لما أرسلوا هذا الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه[1].

فقبل أن يخرج جيش أسامة قام الصديق لتوجيه الوصايا إليه وحددها بعشر خاصة بالحرب.

"**أيها النّاس قفوا أوصيكم بعشر فأحفظوها عني**" **أوصى جنوده بعشر قواعد يجب عليهم حفظها.**

- "**لا تخونوا**": عدم الخيانة.
- "**ولا تغلوا**" (من الغل): عدم الحقد.
- "**ولا تغدروا**": عدم الغدر.
- "**ولا تمثلوا**":(التمثيل هو التعذيب أي لا يمثلوا في الناس).
- "**ولا تقتلوا طفلًا صغيرًا**، ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة "أي لا يقتلوا الأطفال والشيوخ والنساء.
- "**لا تعقروا نخلًا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة**" وأي لا تقتلعوا الأشجار والثمار.

"**ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعير إلاّ لمأكلة**" أي لا يمسوا بهيمة الأنعام إلا لأجل الأكل.

"**وَسَوْفَ تَمُرُّونَ بِأَقْوَامٍ قَدْ فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ، فَدَعُوهُمْ وَمَا فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ، وَسَوْفَ تَقْدُمُونَ عَلَى أَقْوَامٍ يَأْتُونَكُمْ بِآنِيَةٍ فِيهَا أَلْوَانُ الطَّعَامِ، فَإِذَا أَكَلْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا، وتَلْقَوْنَ أَقْوَامًا قَدْ فَحَصُوا أَوْسَاطَ رُءُوسِهِمْ تَرَكُوا حَوْلَهَا مِثْلَ الْعَصَائِبِ، فَاخْفِقُوهُمْ بِالسُّيُوفِ خَفْقًا. انْدَفِعُوا بِاسْمِ اللَّهِ**".

(1) أبوبكر الصديق أول الخلفاء الراشدين رضا ص45

هنا ذكر الصديق للجيش ثلاثة أقوام يتركون أول قومين ويقاتلون الثالث وقد وصف لهم هؤلاء الأقوام، فالصف الأول هم أناس يتعبدون فأمر أن تكون لهم حرية العبادة، والثاني أناس كرماء يقدمون لهم الطعام، أما الصف الثالث فقد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب (أي تأهبوا للقتال) فأمرهم أن يخفقوهم بالسيف خفقًا وخلاصة قوله بعبارة أخرى أن لا تقتلوا ولا تقاتلوا إلا من تجند لمحاربتكم أومن كان من الجنود) ثم أذن لهم بالمسير للجهاد"**انْدَفِعُوا بِاسْمِ اللَّهِ**".

فهذه الخطبة كانت كلماتها جميلة جامعة حوت الصراحة والعدل، مع التواضع والفضل، والحث على الجهاد لنصرة الدين وإعلاء شأن المسلمين.

وبهذه الوصية يكون قد وضع أسسًا للقائد وللجيش يتصرفون على أساسها مبنية على الرحمة في معاملة النساء والأطفال والشيوخ وألا يعتدوا وألا يغدروا إذا عاهدوا عهدا فعليهم أن يوفوا به، ولا يقطعوا شجرًا وأن يتعاملوا أيضًا بنظام وأسلوب متحضر في الحفاظ على النبات والحيوان، وهو نظام سابق لعهده لو نظرنا إليه أنه منذ ما يزيد على أكثر من ألف وأربعمائة سنة.

إن أهم بند في الوصية هو الذي يدل على الحرية الدينية وقبول التعايش مع المختلفين دينيًا مع المسلمين وعدم التعرض بالأذى والضرر لهم، بل عليهم أن يحافظوا عليهم وعلى صوامعهم وأن يتركوهم وما فرغوا له، فهل يعتبر بذلك المتأسلمون الجدد ويعلمون أن الإسلام قائم على حرية العقيدة وأنها مكفولة للجميع في ظل الدولة المدنية الإسلامية.

إن هذه الأسس قمّة في الأخلاق والمثل العليا في الإسلام، فهي ثابتة وموجودة منذ خمسة عشر قرنًا وليست حديثة، ليست منذ ثورة 1789 الفرنسية ولا إعلان حقوق الإنسان في 1948 بعد المذابح الوحشية وإبادة الحرث والنسل، فقانون الحرب في الإسلام يحمي حقوق الإنسان والحيوان والبيئة، وما أظن أحد أتانا بشيء جديد منذ رسولنا الأعظم الذي ما بعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق، ولا منذ أصحابه الكرام البررة، رضي الله عنهم.

فيا الله ما أرقى هذه القيم! وما أرقى هذا الدين! لله در المسلمين في ذلك الوقت !! جيش محارب فاتح يرضخ لقانون يحمي الضعفاء والمدنيين والحيوانات والطبيعة! فمن أين يأتي من يدّعي اتباع السلف الصالح اليوم بهذه الوحشية، من غلظة وغلوّ، وعنف ووحشية، وتفجير وإرهاب، وانقضاض على المدنيين الأبرياء، مهما كانت أصولهم وأديانهم؟! اللهم نور بصيرتهم بالحق وبسيرة الصالحين الحقيقيين، ونجنا من جهلهم وأكفنا شرورهم.

وصيته لعمرو بن العاص والوليد بن عقبة:

قَالَ أبو بكر لِعَمْرٍو وَإِلَى الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ، وَكَانَ عَلَى النِّصْفِ مِنْ صَدَقَاتِ قُضَاعَةَ، وَقَدْ كَانَ أَبُوبَكْرٍ شَيَّعَهُمَا مَبْعَثَهُمَا عَلَى الصَّدَقَةِ، وَأَوْصَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِوَصِيَّةٍ وَاحِدَةٍ: "**اتَّقِ اللَّهَ فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ مَا تَوَاصَى بِهِ عِبَادُ اللَّهِ، إِنَّكَ فِي سَبِيلٍ مِنْ سُبُلِ اللَّهِ لا يَسَعُكَ فِيهِ الإِدْهَانُ**[1] **وَالتَّفْرِيطُ وَالْغَفْلَةُ عَمَّا فِيهِ قَوَامُ دِينِكُمْ وَعِصْمَةُ أَمْرِكُمْ، فَلا تَنِ وَلا تَفْتُرْ**[2]".

مناسبة الخطبة:

وصيته لعمرو بن العاص والوليد بن عقبة قبل الخروج للجهاد.

تحليل الخطبة:

"**اتَّقِ اللَّهَ فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**" بدأ الصديق خطبته دون مقدمة، بأسلوب حازم فأمر عمرو بن العاص والوليد بن عقبة بتقوى الله لأنها علاجٌ للفقر والحاجة التي هو فيها، والخوف منه في السر والعلانية، وبعد ذلك بين سبب طلبه أن يتقوا الله ﴿**فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا**﴾ فتقوى الله تدعو إلى الاستقامة لأوامر الله فالمخرج لا يكون إلا من ضيق، فالأمر بالتقوى والحث عليها وبيان ما أعد الله للمتقين من الخير العظيم في الدنيا والآخرة، والتقوى كلمة جامعة للخير كله، وحقيقتها فعل ما أوجب الله على عباده من الطاعات، واجتناب ما حرم عليهم من المعاصي، واستقى الصديق هذه الكلمات من كتاب العزة القرآن الكريم، فالله يصوّر حال ذلك الإنسان الذي يعيش في ضيق وفي ضنك من أمره لكن الله سبحانه وتعالى يسهّل له مخرجًا من هذا الضيق ما كان يظن أنه سيخرج منه فالله سبحانه وتعالى يعرض هذا العرض أنه من التزم بالتقوى فإن الله سبحانه وتعالى سيفرّج همومه ويجعل له من كل ضيق مخرجًا يخرج منه، لا يسأل هذا الإنسان كيف فالله على كل شيء قدير وما على الإنسان إلا أن يفعل ما أمره به الله سبحانه فهذا هو سبيل الخروج من

(1)الإدهان: المداهنة والغش.

(2)الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (3/ 390).

جمهرة خطب العرب (ج75/1).

الضيق لكنه قال بعدها: ﴿**وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾، فالراتب لا يدخل في هذه الآية، لأنك تحتسب الراتب في أول الشهر، لكن الله سبحانه وتعالى يقول(وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)، ثم من الذي تكفّل لك بهذا الرزق ومن الذي تكفل بهذا المخرج؟ الله سبحانه وتعالى، وأنت تعلم أن الله على كل شيء قدير، وتعلم أنه لا يعجزه شيء في السموات والأرض، وتعلم أن عنده خزائن السموات والأرض، فكل يزيد يقينك بهذه الآية ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾.

"**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا**"

﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ**﴾ أي يخافه بأداء فرائضه واجتناب محارمه، ﴿**يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ**﴾ أي يمحو عنه ذنوبه، ﴿**وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا**﴾ أي يجزل له الثواب[1]، وغفران الذنوب وإعظامَ الأجور دليلان على أن التوبة تحط من السيئات، وتنمي الأجر، وهو مثل قوله: ﴿**فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ**﴾.

"**فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ مَا تَوَاصَى بِهِ عِبَادُ اللَّهِ**"

ثم بين أن تقوى الله هي أفضل شيء توصى به عباد الله والتعاون عليه، فمن فعل ما أوجب الله عليه من الطاعة واجتنب ما حرم عليه من المعصية ابتغاء مرضاة الله وحذرًا من عقابه فقد اتقى الله حق تقواه، وأفلح كل الفلاح فالواجب علينا تقوى الله سبحانه بفعل أوامره واجتناب نواهيه والتواصي بذلك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب الطاقة.

وتجب التوبة إلى الله من سالف الذنوب والتواصي بذلك، فمتى رجع العباد إلى الله سبحانه وأنابوا إليه واتقوه بفعل أمره وترك نهيه وتابوا إليه من ذنوبهم واستغاثوه وتضرعوا إليه بقلوب خاشعة وألسنة صادقة وخوف ورجاء أعطاهم ما يحبون وصرف عنهم ما يكرهون، وأصلح قلوبهم وأعمالهم كما وعدهم الله بذلك في الآيات المذكورة والأحاديث المعلومة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويدخل في التقوى أمور أعظمها وأكبرها إخلاص العبادات القولية والفعلية لله، فلا يعبد العبد إلا ربه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يستغيث إلا به، ولا يخاف إلا منه، ولا يرجو

(1) إعراب القرآن للنحاس (4 /298)

إلا إياه؛ لأن نواصي العباد وأزمة الأمور كلها بيده سبحانه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع.

إِنَّكَ فِي سَبِيلٍ مِنْ سُبُلِ اللَّهِ لا يَسَعُكَ فِيهِ الإِدْهَانُ وَالتَّفْرِيطُ وَالْغَفْلَةُ عَمَّا فِيهِ قَوَامُ دِينِكُمْ وَعِصْمَةُ أَمْرِكُمْ، فَلا تَنِ وَلا تَفْتُرْ"

ثم ختم وصيته بكلمات قال لهم فيها: إنهم في سبيل الله لا مجال لهم فيه للغش والتفريط بدين الله سبحانه وتعالى والغفلة فيه، فيجب أن يعتصموا بدين الله سبحانه وتعالى، ثم قال "**فَلا تَنِ وَلا تَفْتُرْ**" أي لا تكسل ولا تتردد في تقديم الخير.

وصيته لخالد بن الوليد:

ووصى أبوبكر خالد بن الوليد فقال:

"**سر على بركة الله؛ فإن دخلت أرض العدو؛ فكن بعيدًا من الحملة، فإني لا آمن عليك الجوالة، واستظهر بالزاد، وسر بالأدلاء، ولا تقاتل بمجروح، فإن بعضه ليس منه، واحترس من البيات، فإن في العرب غرة، وأقلل من الكلام، فإن مالك ما وعي عنك، واقبل من الناس علانيتهم، وكلهم إلى الله في سريرتهم، وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه**"[1].

مناسبة الخطبة:

وصية أخرى يزجيها الخليفة إلى أحد قواده المشاهير لقتال أهل الردة، سيف الله المسلول، خالد بن الوليد "في مسيره إلى العراق"[2]، يعلمه فيها فن القيادة، وما ينبغي لقائد الجيش أن يفعل وأن يكون.

تحليل الخطبة:

ومضى خالد بن الوليد بجيشه في أهم حروب للمسلمين داخل جزيرة العرب حروب أرست ورسَّخت قواعد الإسلام وحاربت الكفر والشرك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

تضمنت هذه الوصية ثمانيًا من أمهات الوصايا، كل وصية في جملة، من حقها أن تقوم بها خطبة، وأحسب علينا أن نلجأ نحن أيضًا في الكلام عنها إلى الإيجاز، وأن نشير بالنظر فيها ؛ فإنها تدل على مضمونها، وتفصح عن مدلولها، وتكشف عن عظيم جدواها، وحسبك أنها أصبحت جميعها من المبادئ التي تقرها أساليب الحروب الحديثة، فكان لأبي بكر فضل العلم بها والسبق إليها[3].

بدأ الصديق خطبته بنظرية أن القائد هو رأس الجيش وقائده فيجب أن يكون بمأمن في الحرب، في مقر القيادة بعيدًا من الحملة **فقال له:** "**فإن دخلت أرض العدو؛ فكن بعيدًا من**

(1) العقد الفريد (1/ 40)، وجمهرة خطب العرب (ج1/75)
(2) الخطابة في صدر الإسلام: (ج1-246).
(3) الخطابة في صدر الإسلام: (ج1-247).

الحملة، فإني لا آمن عليك الجوالة"، و"**استظهر بالزاد**" أمره بأن يستعين بالزاد والمؤن، وأن يعتمد على الأدلاء والإخباريين فقال: "**سر بالأدلاء**"، وأمره أن يعزل الجرحى عن المقاتلين فقال "**ولا تقاتل بمجروح، فإن بعضه ليس منه**"، لأنه يعاني من الألم والتعب، فيجب الاستغناء عنه في القتال، ونصحه أن يحترس من هجمات الليل، وحذره من أن يُؤخذ على غرة" **واحترس من البيات، فإن في العرب غرة**" وأن يُقلَّ الكلام، حتى يشبه كلامه الأوامر الحربية، ليعرف مراده، فيكون إنفاذه، وأن يقبل من الناس ما يظهرونه ؛ سدًا للثغرات، وتسجيلًا عليهم، فإن البحث فيما وراء الظواهر في هذه الأوقات العصيبة مضيعة للوقت، ومدعاة للفشل، وأن يكل إلى الله سرائرهم، فإن الله أعلم بالسرائر.

وكانَ مِمَّا قَالَ لِيَزِيدَ:

إِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ لِأَبْلُوَكَ وَأُجَرِّبَكَ وَأُخَرِّجَكَ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ رَدَدْتُكَ إِلَى عَمَلِكَ وَزِدْتُكَ، وَإِنْ أَسَأْتَ عَزَلْتُكَ، فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ يَرَى مِنْ بَاطِنِكَ مِثْلَ الَّذِي مِنْ ظَاهِرِكَ، وَإِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ تَوَلِّيًا لَهُ، وَأَقْرَبُ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ أَشَدُّهُمْ تَقَرُّبًا إِلَيْهِ بِعَمَلِهِ، وَقَدْ وَلَّيْتُكَ عَمَلَ خَالِدٍ، فَإِيَّاكَ وَعُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُهَا وَيُبْغِضُ أَهْلَهَا، وَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى جُنْدِكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمْ، وَابْدَأْهُمْ بِالْخَيْرِ وَعِدْهُمْ إِيَّاهُ، وَإِذَا وَعَظْتَهُمْ فَأَوْجِزْ؛ فَإِنَّ كَثِيرَ الْكَلَامِ يُنْسِي بَعْضُهُ بَعْضًا، وَأَصْلِحْ نَفْسَكَ يَصْلُحْ لَكَ النَّاسُ، وَصَلِّ الصَّلَوَاتِ لِأَوْقَاتِهَا بِإِتْمَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَالتَّخَشُّعِ فِيهَا، وَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ رُسُلُ عَدُوِّكَ فَأَكْرِمْهُمْ، وَأَقْلِلْ لُبْثَهُمْ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ عَسْكَرِكَ وَهُمْ جَاهِلُونَ بِهِ، وَلَا تُرِيَنَّهُمْ فَيَرَوْا خَلَلَكَ وَيَعْلَمُوا عِلْمَكَ، وَأَنْزِلْهُمْ فِي ثَرْوَةِ عَسْكَرِكَ، وَامْنَعْ مَنْ قِبَلَكَ مِنْ مُحَادَثَتِهِمْ، وَكُنْ أَنْتَ الْمُتَوَلِّي لِكَلَامِهِمْ، وَلَا تَجْعَلْ سِرَّكَ لِعَلَانِيَتِكَ فَيَخْلِطُ أَمْرُكَ، وَإِذَا اسْتَشَرْتَ فَاصْدُقِ الْحَدِيثَ تُصْدَقِ الْمَشُورَةَ، وَلَا تُخْزِنْ عَنِ الْمُشِيرِ خَبَرَكَ فَتُؤْتَى مِنْ قِبَلِ نَفْسِكَ، وَاسْمِرْ بِاللَّيْلِ فِي أَصْحَابِكَ تَأْتِكَ الْأَخْبَارُ وَتَنْكَشِفْ عِنْدَكَ الْأَسْتَارُ، وَأَكْثِرْ حَرَسَكَ وَبَدِّدْهُمْ فِي عَسْكَرِكَ، وَأَكْثِرْ مُفَاجَأَتَهُمْ فِي مَحَارِسِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِكَ، فَمَنْ وَجَدْتَهُ غَفَلَ عَنْ مَحْرَسِهِ فَأَحْسِنْ أَدَبَهُ وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِفْرَاطٍ، وَأَعْقِبْ بَيْنَهُمْ بِاللَّيْلِ، وَاجْعَلِ النَّوْبَةَ الْأُولَى أَطْوَلَ مِنَ الْأَخِيرَةِ؛ فَإِنَّهَا أَيْسَرُهُمَا لِقُرْبِهَا مِنَ النَّهَارِ، وَلَا تَخَفْ مِنْ عُقُوبَةِ الْمُسْتَحِقِّ، وَلَا تَلَجَّنَّ فِيهَا، وَلَا تُسْرِعْ إِلَيْهَا، وَلَا تَخْذُلْهَا مَدْفَعًا، وَلَا تَغْفُلْ عَنْ أَهْلِ عَسْكَرِكَ فَتُفْسِدَهُ، وَلَا تَجَسَّسْ عَلَيْهِمْ فَتَفْضَحَهُمْ، وَلَا تَكْشِفِ

النَّاسَ عَنْ أَسْرَارِهِمْ، وَاكْتَفِ بِعَلَانِيَتِهِمْ، وَلَا تُجَالِسِ الْعَبَّاثِينَ، وَجَالِسْ أَهْلَ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ، وَاصْدُقِ اللِّقَاءَ، وَلَا تَجْبُنْ فَيَجْبُنَ النَّاسُ، وَاجْتَنِبِ الْغُلُولَ فَإِنَّهُ يُقَرِّبُ الْفَقْرَ وَيَدْفَعُ النَّصْرَ، وَسَتَجِدُونَ أَقْوَامًا حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ فَدَعْهُمْ وَمَا حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ[1].

مناسبة الخطبة:

وصية عظيمة عندما بعث أبوبكر جيوشًا إلى الشام، وأمَّر عليهم يزيد بن أبي سفيان.

تحليل الخطبة:

هذا لون آخر من الوصايا، يقلب فيه الكلام تبعًا لمقتضيات الأحوال، وهذا يدل على بلاغة الصديق، واقتداره على أساليب السياسة والحكم والكلام جميعًا، فالموضوع نفسه والغرض نفسه ؛ أمير يسير بجيشه للحرب، والخليفة يوصيه، ويأمره بما يراه، والخليفة نفس الخليفة، والمهمة والميدان هما المهمة والميدان، ولكن القائد المأمور غير القائد الآمر، من أجل ذلك اختلفت الوصية، وأعطى كل مقام حقه من المقال[2].

"إِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ لِأَبْلُوَكَ وَأُجَرِّبَكَ وَأُخَرِّجَكَ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ رَدَدْتُكَ إِلَى عَمَلِكَ وَزِدْتُكَ، وَإِنْ أَسَأْتَ عَزَلْتُكَ"

بدأ الصديق هذه الخطبة بالتأكيد على أن الولاية أمر صعب على الإنسان، فالولايات والمناصب ليست حقًا ثابتًا لأصحابها، وإنما بقاؤهم فيها مرهون بالإحسان والنجاح في العمل، ومن واجب المسؤول الأعلى أن يَعْزلهم إذا أساؤوا، وإن هذا الشعور يدفع صاحب العمل إلى مضاعفة الجهد في بذل الطاقة ليصل إلى مستوى أعلى من النجاح في العمل، أما إذا ضمن البقاء فإنه قد يميل إلى الكسل والاشتغال بمتاع الدنيا، فيخل بمسؤوليته ويعرِّض من تحت ولايته إلى أنواع من الفساد والفوضى والنزاع، فالصديق هنا يصارح يزيد بأنه عامل تحت التجربة، ورصد له الثواب والعقاب الذي ينتظره، مع أن الصديق يعلم أن يزيد من بني أمية الذين فيهم من

(1) الكامل في التاريخ (2/ 249-250)، جمهرة خطب العرب (ج1/ ص75-77)

(2) الخطابة في صدر الإسلام: محمد طاهر درويش كلية دار العلوم – جامعة القاهرة / دار المعارف بمصر 1965 (ج1 – 248).

عُنجهية وعزةٌ جاهلية وفخر بالعدد والمنعة، فحذر الصديق يزيد من المفاخرة بذلك تحذيرًا شديدًا.

"فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ يَرَى مِنْ بَاطِنِكَ مِثْلَ الَّذِي مِنْ ظَاهِرِكَ، وَإِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ تَوَلِّيًا لَهُ، وَأَقْرَبُ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ أَشَدُّهُمْ تَقَرُّبًا إِلَيْهِ بِعَمَلِهِ"

وأمره بتقوى الله عزَّ وجل فهي أهم عوامل النجاح في العمل؛ لأن الله تعالى مطَّلع على ظاهر أعمال الناس وباطنهم، فإذا اتقوه في باطنهم فَحَريٌّ بهم أن يتقوه في ظاهرهم فالأعمال الظاهرة تنم عما بداخل الإنسان؛ وبذلك يتجنب الوالي كل مظاهر الفساد والإفساد، التي تكون عادة من الاستجابة للعواطف الجامحة التي لا تلتزم بتقوى الله تعالى.

"فَإِيَّاكَ وَعُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُهَا وَيُبْغِضُ أَهْلَهَا، وَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى جُنْدِكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمْ، وَابْدَأْهُمْ بِالْخَيْرِ وَعِدْهُمْ إِيَّاهُ، وَإِذَا وَعَظْتَهُمْ فَأَوْجِزْ؛ فَإِنَّ كَثِيرَ الْكَلَامِ يُنْسِي بَعْضُهُ بَعْضًا، وَأَصْلِحْ نَفْسَكَ يَصْلُحْ لَكَ النَّاسُ"

ثم أمره الصديق بعدم اتباع تصرفات الجاهلية وعيوبهم لبغض الإسلام لها ثم أوصاه بالعناية بجنده من حيث الصحبة الحسنة وحسن المعاملة وتقديم الخير لهم وتقديم النصيحة لهم بشكل سلس ومختصر لأن الإيجاز مع الجند أولى بأن يحفظ الهيبة ويدني من الغرض فأوصاه كما أوصى خالد بن الوليد بالإقلال من الحديث إليهم ؛ ثم أمره بصلاح نفسه لأنه إذا أصلح المسؤول نفسه وتفقد عيوبه وجعل من نفسه نموذجًا صالحًا للقدوة الحسنة؛ فإن ذلك يكون سببًا في صلاح من هم تحت رعايته.

"وَصَلِّ الصَّلَوَاتِ لِأَوْقَاتِهَا بِإِتْمَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَالتَّخَشُّعِ فِيهَا"

وأوصاه بالصلاة وإعطاء كل ركن من أركانها حقه فالاهتمام بإقامة الصلاة كاملة مظهرًا ومَخْبَرًا، مَظْهَرًا من ناحية إكمال أقوالها وأفعالها، ومَخْبَرًا من ناحية الخشوع فيها وحضور القلب مع الله تعالى؛ فإن هذه الصلاة الكاملة يقام بها ذكر الله في الأرض، وتهذّب السلوك، وتقوّي القلوب، وتبعث على ارتياح النفوس، وتعدُّ ملاذًا للمسلم عند الشدائد.

"وَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ رُسُلُ عَدُوِّكَ فَأَكْرِمْهُمْ، وَأَقْلِلْ لُبْثَهُمْ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ عَسْكَرِكَ وَهُمْ جَاهِلُونَ بِهِ، وَلَا تُرِيَنَّهُمْ فَيَرَوْا خَلَلَكَ وَيَعْلَمُوا عِلْمَكَ، وَأَنْزِلْهُمْ فِي ثَرْوَةِ عَسْكَرِكَ، وَامْنَعْ مَنْ قِبَلَكَ مِنْ مُحَادَثَتِهِمْ، وَكُنْ أَنْتَ الْمُتَوَلِّي لِكَلَامِهِمْ.

ثم بصره بما يتبعه مع رسل عدوه إذا قدموا، مع الاحتراس منهم، وعدم إنزالهم في جمهور الجند العظيم، ليروا ما يهولهم، وعدم تمكينهم من معرفة واقع الجيش الإسلامي، فإكرامهم نوع من الدعوة إلى الإسلام فيما إذا عرف العالم ما يتحلى به المسلمون من مكارم الأخلاق، ولكن لا يصل هذا الإكرام إلى حد اطلاعهم على باطن أمور المسلمين، فينبغي عدم اطلاعهم على قوة جيش المسلمين ليُرهبوا بذلك أقوامهم ومنع الجيش من الاختلاط بهم، حتى لا تسري إليهم أخبارهم، ويجب أن يتولى هو أمر الحديث معهم، وأمره بإقلال لبثهم في الجيش حتى لا يطلعوا على عوراتهم.

"وَلَا تَجْعَلْ سِرَّكَ لِعَلَانِيَتِكَ فَيَخْلِطُ أَمْرُكُ"

ثم أوصاه بالاحتفاظ بالأسرار وعدم التهاون بإفشائها، خاصة فيما يتعلق بأمور المسلمين العامة، فإن الحكيم يستطيع التصرف في الأمور وإن تغيرت وجوهها ما دام سرُّه حبيسًا في ضميره، فإذا أفشاه اختلطت عليه الأمور ولم يستطع التحكم فيها.

"وَإِذَا اسْتَشَرْتَ فَاصْدُقِ الْحَدِيثَ تُصْدَقِ الْمَشُورَةَ، وَلَا تُخْزِنْ عَنِ الْمُشِيرِ خَبَرَكَ فَتُؤْتَى مِنْ قِبَلِ نَفْسِكَ"

وأوصاه بالحرص والإتقان في المشورة فيجب أن لا يخفي أي شيء عن المستشار فالمستشار وإن كان حصيف الرأي ثاقب الفكر فإنه لا يستطيع أن يعطي الاستشارة حتى ينكشف له أمره بغاية الوضوح، فإذا أخفى المستشير بعض تفاصيل القضية فإنه يكون قد جنى على نفسه، حيث قد يتضرر بهذه المشورة.

"وَاسْمِرْ بِاللَّيْلِ فِي أَصْحَابِكَ تَأْتِكَ الْأَخْبَارُ وَتَنْكَشِفْ عِنْدَكَ الْأَسْتَارُ"

على القائد وكل مسؤول أن يكون مخالطًا لمن ولي أمرهم على مختلف طبقاتهم ليكون دقيق الخبرة بأمورهم، وفي هذا أكبر العون له على تصور مشكلاتهم والمبادرة بإيجاد الحلول لها، أما المسؤول الذي يعيش في عزلة ولا يختلط إلا بأفراد من كبار رعيته، فإنه لا يصل إليه من المعلومات إلا ما كان من طريق هؤلاء، وقد لا يكشفون له الأمور بكل تفصيلاتها، وقد يحللون له الأمور على غير وجهها الصحيح.

"وَأَكْثِرْ حَرَسَكَ وَبَدِّدْهُمْ فِي عَسْكَرِكَ، وَأَكْثِرْ مُفَاجَأَتَهُمْ فِي مَحَارِسِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِكَ، فَمَنْ وَجَدْتَهُ غَفَلَ عَنْ مَحْرَسِهِ فَأَحْسِنْ أَدَبَهُ وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِفْرَاطٍ، وَأَعْقِبْ بَيْنَهُمْ بِاللَّيْلِ، وَاجْعَلِ النَّوْبَةَ الْأُولَى أَطْوَلَ مِنَ الْأَخِيرَةِ؛ فَإِنَّهَا أَيْسَرُهُمَا لِقُرْبِهَا مِنَ النَّهَارِ"

أوصاه بالإكثار من الحرس، وتفريقهم في العسكر، ثم أوصاه بأن يكون يقظًا ومنتبهًا لكل ما يجري في حدود المسؤولية المناطة به؛ حتى يشعر أفراد الرعية أن هناك اهتمامًا بأمورهم ومراقبة على أعمالهم، فيزيد المحسن إحسانًا ويقتصر المسيء عن الإساءة، فيجب أن يقوم بعمل زيارات مفاجئة للحراس فإن وجد أحد منهم غافلًا عن محرسه يجب أن يؤدبه ويعاقبه ولكن باعتدال دون إفراط.

وأمره بتقسيم الأعمال في الليل والنهار، **"وَاجْعَلِ النَّوْبَةَ الْأُولَى أَطْوَلَ مِنَ الْأَخِيرَةِ؛ فَإِنَّهَا أَيْسَرُهُمَا لِقُرْبِهَا مِنَ النَّهَارِ"** وذلك ليخفف على الناس.

وَلَا تَخَفْ مِنْ عُقُوبَةِ الْمُسْتَحِقِّ، وَلَا تَلِجَنَّ فِيهَا، وَلَا تُسْرِعْ إِلَيْهَا، وَلَا تَخْذُلْهَا مَدْفَعًا، وَلَا تَغْفُلْ عَنْ أَهْلِ عَسْكَرِكَ فَتُفْسِدَهُ، وَلَا تَجَسَّسْ عَلَيْهِمْ فَتَفْضَحَهُمْ، وَلَا تَكْشِفِ النَّاسَ عَنْ أَسْرَارِهِمْ، وَاكْتَفِ بِعَلَانِيَتِهِمْ، وَلَا تُجَالِسِ الْعَبَّاثِينَ، وَجَالِسْ أَهْلَ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ،

وأمره بمعاقبة المذنب والمخطئ وكلٌّ حسب خطئه مع التروي في أخذ قرارات العقوبات وتطبيقها، ويجب عليه أن يتفقد أحوال الرعية حتى يكون قريبًا منهم دون أن يتجسس عليهم؛ فإن ذلك يعدُّ فضيحة لهم، وقد ينقطع بذلك خيط العلاقة الذي يربط المسؤول بأفراد رعيته، من المودة والإعجاب والشكر على الجميل، وهذا الخيط ما دام قائمًا فإنه يمنع أصحاب الجنوح من ارتكاب المخالفات التي تفسد المجتمع وتحدث الفوضى، فإذا انقطع ولم يكن هناك عاصم من تقوى الله

تعالى فإن أهم الحواجز التي تحول دون الانطلاق وراء الشهوات تكون قد تحطمت، ويصعب بعد ذلك علاج الأمور؛ لأنها تحتاج إلى قوة رادعة وهذه لها سلبياتها المعروفة.

"**وَاصْدُقِ اللِّقَاءَ، وَلَا تَجْبُنْ فَيَجْبُنَ النَّاسُ**"

فيجب أن يصدق القائد في لقاء الأعداء وأن لا يجبن، فإن جُبنه يسري على جنده؛ فيقع بذلك الفشل والهزيمة، وفي غير الحرب يجب أن يكون المسؤول شجاعًا في مواجهة المواقف، وأن لا يضعف فيسري ضعفه على من هم تحت إدارته من العاملين، فيقل بذلك مستوى الأداء ويضعف الإنتاج.

"**وَاجْتَنِبِ الْغُلُولَ فَإِنَّهُ يُقَرِّبُ الْفَقْرَ وَيَدْفَعُ النَّصْرَ**" يجب أن يتجنب القائد الغلول، وهو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها هذا في مجال الحرب، وفي مجالات السلم أن يتجنب المسؤول أية استفادة دنيوية من عمله لا تحل له شرعًا.

فما أجمل هذه الإطالة والبسط من رجل يحب الإيجاز، ويدعو إليه من هذه الوصية نفسها ! وما هذا الاستقصاء للمسائل كبيرها وصغيرها ؟ السر في هذا أن يزيد رجل قليل التجربة، قريب الممارسة لإمارة الجيوش، وهو قائد لجيش كبير، يقوم بمهمة خطيرة هي حرب الروم، وسيفصل بينه وبين الخليفة أرض شاسعة، فلا بد لهذا وذاك من زاد وفير((1)).

قدم الصديق هذه الوصية التي تحتوي على أشياء مهمة لكل قائد فهذه الوصية العظيمة التي أوصى بها أبوبكر يزيد، تبين لنا أن الصديق كان يعيش بفكره مع قضايا المسلمين، وأنه كان يتصور ما قد يواجهه قواده فيحاول تزويدهم بما ينفعهم في تلافي الوقوع في المشكلات، وحلها إذا وقعت.

إن هذه الخطبة تمتعت بمزايا بيانية وحنكة عظيمة تنم عن تجربة مستفيضة واسعة الآفاق بعيدة النظر من الصديق رضي الله عنه.

وأرى أن ما جاء في الخطبة يصلح لأن يكون اليوم من أساسيات الانضباط العسكري وخاصة لدى القيادة.

(1) الخطابة في صدر الإسلام (ج1- 249)

وصيته لعمر بن الخطاب:

لَمَّا حَضَرَ أَبَا بَكْرٍ الْمَوْتُ دَعَا عُمَرَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا فَقَالَ لَهُ:"اتَّقِ اللهَ يَا عُمَرُ، وَاعْلَمْ أَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَمَلًا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ، وَعَمَلًا بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ بِالنَّهَارِ، وَأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ نَافِلَةً حَتَّى تُؤَدَّى الْفَرِيضَةُ، وَإِنَّمَا ثَقُلَتْ مَوَازِينُ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهُمُ الْحَقَّ فِي الدُّنْيَا وَثِقَلِهِ عَلَيْهِمْ، وَحَقَّ لِمِيزَانٍ يُوضَعُ فِيهِ الْحَقُّ غَدًا أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا، وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهُمُ الْبَاطِلَ فِي الدُّنْيَا وَخِفَّتِهِ عَلَيْهِمْ، وَحَقَّ لِمِيزَانٍ يُوضَعُ فِيهِ الْبَاطِلُ غَدًا أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَذَكَرَهُمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ، وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، فَإِذَا ذَكَرْتُهُمْ قُلْتُ: إِنِّي لَأَخَافُ أَنْ لَا أَلْحَقَ بِهِمْ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى ذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ فَذَكَرَهُمْ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ أَحْسَنَهُ، فَإِذَا ذَكَرْتُهُمْ قُلْتُ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا أَكُونَ مَعَ هَؤُلَاءِ، لِيَكُونَ الْعَبْدُ رَاغِبًا رَاهِبًا، لَا يَتَمَنَّى عَلَى اللهِ وَلَا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ أَنْتَ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُنْ غَائِبًا أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ، وَهُو آتِيَكَ، وَإِنْ أَنْتَ ضَيَّعْتَ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُنْ غَائِبًا أَبْغَضُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ، وَلَسْتَ بِمُعْجِزِهِ"[1].

وقت وفاة الصديق:

قال أهل السير توفي أبوبكر ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثماني ليالٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين، وأوصى أن تغسله أسماء زوجته فغسلته وأن يدفن إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلى عليه عمر بين القبر والمنبر ونزل في حفرته ابنه عبد الرحمن وعمر وعثمان وطلحة بن عبيد الله رحمه الله ورضي عنه وحشرنا في زمرته وأماتنا على سنته ومحبته[2].

(1) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 36-37) صفة الصفوة (1/ 100).
جمهرة خطب العرب(ج77/1).
البيان والتبيين (2/ 31).
العقد الفريد (3/ 91).
(2) صفة الصفوة (1/ 100-101).

تحليل الخطبة:

عندما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم تولى أبوبكر الصديق رضي الله عنه الخلافة بعده بأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم فحمل الصديق أمانة الخلافة بعده، وشعر بخطرها وقداستها وجلالها وثباتها شعورًا صادقًا عميقًا فكان يتبع في أعماله الرسول صلى الله عليه وسلم فقبل أن يقدم على شيء يرجع إلى تصرفات الرسول فيزن أفعاله بميزان النبوة ما استطاع. فالنبي هو أفضل ما يقتدى ويتبع.

فكانت خلافة الصديق قليلة لم تتجاوز العامين وقد شعر بثقل المرض ودنو الأجل، فدعا خير أصحابه وأقدرهم على حمل تلك الأمانة، فاستخلفه ووكل إليه أمر الأمة، ولكن مع ذلك يشعر بضرورة تحصين خليفته وتأييده بالرأي والنصيحة والمشورة فكانت هذه مناسبة خطبته للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

السمات العامة لخطب الصديق- رضي الله عنه:

1. يستهل أبوبكر الصديق معظم خطبه بالحمدلة والشكر وهي سنة مقتبسة من النبي، درجت عليها الخطابة الإسلامية بتلازم من مصدرها الديني، ويؤدي بها الإمام في أتباعه شهادة الشكر والإقرار بالعناية الإلهية والفضل[1].

2. الإكثار من صيغتي الأمر والنهي كتعبير عن الإمامة والإرادة النافذة والرسالة التعليمية مثل "الزموا المساجد"[2].

3. التدرج المنطقي: قد نقع في خطبة على بعض مظاهر التدرج المنطقي يخلص فيها من فكرة إلى أخرى، كما تتولد النتيجة من السبب[3].

4. كانت الألفاظ التي استعملها سهلة سلسة مُنتقاة، إلا ما ندر ولا نجد في المعاني التي عبر عنها معنىً مُستغلقًا أو ساقطًا مَرذولًا، أو عاميًّا مُسفًّا، أو غامضًا مُستكرَهًا.

5. لم نجد أثرًا للصنعة المتكلَّفة والزخرف البديعي ؛ فقد عريت أجزاء خطبه مِن زخرف القول، فكانت تتلاحق الفقرات من غير عناء.

6. كانت خطبه مشبعة بالاقتباس والدليل وسوق الحكمة والمثل فتكاد تكون خطب الخلفاء والحكام والولاة طوال صدر الإسلام والعهد الأموي، وصدر العهد العباسي من هذا اللون، وكان لذلك تأثير كبير على الخطب فلم تكن أفكاره وليد عاطِفة مُثارة، وإنما وليد عبارة مُحكَمة مؤيَّدة بصدق الكلمة ووضوح الدليل.

(1) فن الخطابة وتطورها عند العرب، إيليا حاوي دار الثقافة، بيروت – لبنان، (ص 97).
(2) السابق (ص 97).
(3) السابق (ص 97).

7. كان أسلوب العرض متماسكًا متلاحم الأقطار، لم يضعفه التفكك وتخلخل الفكرة، جاء مرتبًا غير مضطرب، واضحًا بعيدًا عن اللبس والاحتمال، قاطع الدلالة على الغرض، صادقًا لا يتسرب إليه الريب[1].

8. توظيف الصديق قوة البيان في خطبه وفي حديثه للأمة، وقد كان رضي الله عنه أفصح خطباء النبي صلى الله عليه وسلم، يقول عنه الأستاذ العقاد: أما كلامه فهومن أرجح ما قيل في موازين الخلق والحكمة، وله من مواقع الكلم أمثلة نادرة تدل الواحدة منها على ملكة صاحبها، فيغني القليل منها عن الكثير، كما تغني السنبلة الواحدة عن الجرين الحافل، فحسبك أن تعلم معدن القول من نفسه وفكره حين تسمع كلمة كقوله: (احرص على الموت توهب لك الحياة)، أو قوله: أصدق الصدق الأمانة وأكذب الكذب الخيانة. الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله، فهي كلمات تتسم بالقصد والسداد، كما تتسم بالبلاغة وحسن التعبير، وتنبئ عن المعدن الذي نجمت منه، فتغني عن علامات التثقيف التي يستكثر منها المستكثرون؛ لأن هذا الفهم الأصيل هو اللباب المقصود من التثقيف، وكانت له رضي الله عنه لباقة في الخطاب إلى جانب البلاغة في الكلام[2].

9. الاشتمال على المعاني الشريفة السامية في أسلوب جزل رصين؛ فقد راعى – رضي الله عنه وأرضاه – أسلوب النص؛ حيث أفرغ هذه المعاني في قوالب تُناسبها؛ لأن المعاني الجزلة لا بد لها من ألفاظ وجمل وتراكيب في غاية الفخامة، والمعاني الرقيقة المستملحة لا بد لها من ألفاظ تناسبها رقة وسلاسة؛ ليحصل التشاكل والتناسق بين المعاني والألفاظ، وتكون المعاني مع الألفاظ كالعروس المجلوة في الثوب القشيب، مع إعطاء كل موضوع حقه مِن شِدَّة العبارة ولينها في النطق، ليكون ذلك أدل على المعنى[3].

(1) الخطب والمواعظ، لمحمد عبدالغني حسن ص 44، طبعة دار المعارف بمصر 1955م.

(2) الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق (ص: 178)

(3)http://www.alukah.net/literature_language/0/54292/#ixzz41pYZs2y5

10. تحليه رضي الله عنه بالقيم الإنسانية الرفيعة التي جمَّلتها سلامة منطقه وسمو بلاغته، فكان لزامًا أن تأخذ هذه البلاغة مكانتها في كلامه تأثُّرًا بهدي الإسلام من خلال الهدي القرآني والكلام النبوي الشريف؛ ولذلك لا نجد في ألفاظ خطبته هذه ما يكدِّر صفو المعنى مِن لفظ وحشي غريب أوذي تنافر، أو بعْدٍ عن حد الفصاحة.

11. ملاءمة الأسلوب لمستوى السامعين، والتنويع بين الخبر والإنشاء.

12. قلة الخيال ؛ لاعتماد الخطبة على الإقناع العقلي.

13. الجمال الموسيقي المتمثل في اختيار اللفظة الدقيقة في موضعها، والسجع غير المتكلف والجناس.

14. تأكيد المعنى بأساليب التوكيد المختلفة.

15. قامت كثير من عبارات أبي بكر على الموازنة، مثل:

- "من كان يعبد محمدًا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حي لا يموت".
- "فمن أخذ بهما عرف، ومن فرّق بينهما أنكر".
- "فعاجلوه بالذي تعجزونه ولا تستنظروه فيلحق بكم".

16. الكلمات المناسبة للمقام والألفاظ المناسبة للحال.

17. اللهجة السائدة في خطبه لهجة التحذير والإنذار والتنبيه والنصح والإرشاد ومناسبتها للمقام الذي قيلت فيه.

18. نقل المشاعر الحماسية والعاطفة والحرارة في الحديث.

19. حسن الاستهلال وبراعته، وإثارة الأسئلة حول الموضوع المراد.

20. الإكثار من ألا الاستفتاحية: أبوبكر لا يستهل الخطبة بألا الاستفتاحية وحسب بل إنها تتردد كثيرًا في خطبه[1].

21. الاستشهاد بالآيات القرآنية: وهي ميزة تكاد تكون عامة في الخطابة الإسلامية يوثق الخطيب فيها صلته بالدين ويؤكدها بها ويتخذ بينة عليها منها[2].

22. عند تلاوته آيات القرآن كان يعرضها بصورة نصِّيَّة أكاديمية، ويوضح معناها من خلال الإلقاء ويستخرج فوائدها.

(1) فن الخطابة وتطورها عند العرب، إيليا حاوي دار الثقافة، بيروت – لبنان، (ص 97)
(2) السابق، (ص 97)

الفصل الثالث
السمـــات الفنيـــة

المبحث الأول: الصور البلاغية

1. **الاستعارة.**
2. **الكناية.**
3. **التشبيه.**

المبحث الثاني: الأساليب والتراكيب

1. **الاقتباس والتضمين.**
2. **الشرط.**
3. **التوكيد.**
4. **التنبيه.**
5. **الاستفهام.**
6. **القصر.**
7. **النداء.**
8. **الفصل والوصل.**

المقدمة:

يتحدث هذا الفصل عن السمات الفنية لخُطب الصِّديق –رضي الله عنه–، التي أزالت عنها الغموض والتعقيد وجعلتها تلامس القلب مباشرة بما ترخيه من وجوه الحسن والإبداع، وأروع ما في هذه السمات أنك تمتلئ إعجابًا بقوتها وجمالها، لا تعرف لتلك القوة ولا لذلك الجمال مصدرًا خاصا، فإذا ما تأملتها بدا لك ما فيها من الحس ورأيت فيها بلاغة تجلت في الاستعارات والتشبيهات والكنايات وبراعة تمثلت في انتقاء الأساليب والتراكيب مثل: التنبيه، والشرط، والتوكيد، والاستفهام، والنداء، والقصر، والوصل والفصل، والاقتباس والتضمين.

والسمات الفنية التي امتازت بها خطب الصديق متنوعة ومتعددة اختارت منها الباحثة ما يتعلق في الصور البلاغية مثل الاستعارة والتشبيه والكناية وما يتصل بالتراكيب والأساليب مثل التنبيه والشرط والتوكيد والاستفهام والنداء والقصر والوصل والفصل والاقتباس والتضمين.

المبحث الأول

الصور البلاغية

1. التشبيه:

تعريف التشبيه:

التشبيه له مكانة عظيمة في علم البيان فهو طريقة من طرق التصوير البياني التي لها شأن عظيم بين علوم البلاغة. وهو فن تعبيري جميل، يوضح الفكرة، ويظهر المعنى، ويجلّي المراد، عرفه العرب بفطنتهم، فجرى على ألسنتهم، وشاع في كلامهم، وكثر في أشعارهم بكثرة تلفت النظر وتستدعي الانتباه فكان أكثر كلامهم من التشبيه.

التشبيه هو بحر البلاغة وأبو عذرتها، وسرها ولبابها، وإنسان مقلتها[1].

وهو الجمع بين الشيئين، أو الأشياء بمعنى ما بواسطة الكاف ونحوها، فقولنا: «**هو الجمع بين الشيئين**» يدخل فيه التشبيه المفرد كقولك: زيد كالأسد، «**أو الأشياء**" ليدخل فيه التشبيه المركب على أوصافه ومراتبه، وقولنا: «**بمعنى ما**» عام لجميع الأوصاف كلها العقلية والحسية، المفردة والمركبة وقولنا «**بواسطة الكاف**" يخرج العطف لأنه جمع بين الشيئين، أو الأشياء لكن بغير الكاف، ويخرج عنه مضمر الأداة كقولنا: زيد أسد، فإنه ليس من التشبيه الذي أوردنا في هذه القاعدة، وإنما هو معدود في الاستعارة[2].

أقسام التشبيه:

واعلم أنه لا يخلو تشبيه الشيئين: أحدهما بالآخر من أربعة أقسام:

1. إما تشبيه معنى بمعنى، كالذي تقدم ذكره من قولنا: "زيد كالأسد".

(1) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (1/ 167).
(2) السابق (1/ 136).

وإما تشبيه صورة بصورة، كقوله تعالى: ﴿**وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ، كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ**﴾.

2. وإما تشبيه معنى بصورة، كقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ**﴾، وهذا القسم أبلغ الأقسام الأربعة لتمثيله المعاني الموهومة بالصور المشاهدة.
3. وإما تشبيه صورة بمعنى، كقول أبي تمام:

وفتكت بالمال الجزيل وبالعدا... فتك الصبابة بالمحب المغرم

فشبه فتكه بالمال وبالعدا –وذلك صورة مرئية– بفتك الصبابة، وهو فتك معنوي، وهذا القسم ألطف الأقسام الأربعة؛ لأنه نقل صورة إلى غير صورة[1].

وكل واحد من هذه الأقسام الأربعة المشار إليها لا يخلو التشبيه فيه من أربعة أقسام أيضًا:

1. إما تشبيه مفرد بمفرد.
2. وإما تشبيه مركب بمركب.
3. وإما تشبيه مفرد بمركب.
4. وإما تشبيه مركب بمفرد.

والمراد بقولنا مفرد ومركب: أن المفرد يكون تشبيه شيء واحد بشيء واحد، والمركب تشبيه شيئين اثنين بشيئين اثنين. وكذلك المفرد بالمركب، والمركب بالمفرد، فإن أحدهما يكون تشبيه شيء واحد بشيئين، والآخر يكون تشبيه شيئين فما فوقهما بشيء واحد، والآخر يكون تشبيه شيئين بشيء واحد[2].

هناك صفات و خصائص جمالية بلاغية يحدثها التشبيه في النفوس و هي تتحقق في ثلاثة أمور: البيان، و المبالغة، والإيجاز[3].

(1) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي (2/ 103).
(2) انظر: السابق (2/ 104).
(3) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ت الحوفي (2/ 98).

- **البيـان:** فيظهـر المـراد ويوضـحه عـن طريـق تصـويره و تمثيلـه، والصـورة خيـر وسـائل البيان.
- **المبالغة:** تقوي المراد وتؤكده بجعله نظيرًا لما هو أتم و أشهر.
- **الإيجاز:** فهو يغني عن وصف المشبه بعدد من الصفات التي يمكنها أن تفيد ما يفيده التشبيه.

ومن الخطب التي وردت فيها التشبيهات قوله:

"إن من الملوك من إذا ملك زهده الله فيما في يده، ورغبه فيما في يد غيره، وانتقصه شطر أجله، وأشرب قلبه الإشفاق، فهو يحسد على القليل، ويتسخط[1] الكثير، ويسأم الرخاء وتنقطع عنه لذة البهاء، لا يستعمل العبرة، ولا يسكن إلى الثقة؛ فهو كالدرهم القسي[2]، والسراب الخادع، جذل الظاهر، حزين الباطن؛ فإذا وجبت[3] نفسه، ونضب عمره، وَضَحَا ظله[4]، حاسبه الله فأشد حسابه، وأقل عفوه"[5].

وقد تمثلت التشبيهات في التراكيب التالية:

- **(كالدرهم القسي)** أي كالدرهم الزائف.
- **(السراب الخادع)** أي الخداع و الوهم.

فقد شبه حالة الملك الذي لا ثقة فيه و لا يفيد أمته بالدرهم الزائف، ووجه الشبه بينهما عدم الفائدة و الغرض منه التحذير من أمثال هؤلاء الملوك. واتصف هذا التشبيه بالبلاغة التي تؤكد السوء في هؤلاء الملوك.

فالصديق أوجز من خلال هذا التشبيه كثيراً من الكلام في شرح أذى الملك وعدم نفعه.

---

(1)تسخط عطاءه: استقله ولم يقع منه موقعًا.

(2)الزائف. الرديء الذي خالطه غش من نحاس وغيره. الفائق في اللغة(3-19)

(3)مات. ووجبت الشمس: غابت، والعين غارت.

(4)مات أيضًا.

(5)العقد الفريد (ج 4/ص 150 -151) جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 70-71)

أما في لفظة السراب الخادع فقد حذف الصديق أداة التشبيه لدلالة ما قبلها عليها ويسمى هذا التشبيه الذي حذفت منه الأداة بالتشبيه المؤكد ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به هو السعي وراء شيء لا ينال منه إلا الوصب والضرر وضياع الوقت.

فعندما قال (كالدرهم القسي) و (السراب الخادع) جاء التشبيه مركباً أي تشبيه حالة بحالة، ويطلق عليه أيضًا التشبيه التمثيلي.

فالتشبيه التمثيلي عنده يمتاز بجماله وقدرته على التأثير كما قال الجرجاني "وأعلم أن مما اتفق العقلاءُ عليه، أن التمثيل إذا جاءَ في أعقاب المعاني، أو بَرَزَتْ هي باختصار في مَعرِضه، ونُقِلت عن صُوَرها الأصلية إلى صورته، كساها أُبَّهةً، وكَسَبها مَنْقَبةً، ورفع من أقدارها، وشَبَّ من نارها، وضاعف قُواها في تحريك النُّفوس لها، ودعا القُلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكلَفًا، وقَسَر الطِّباع على أن تُعطيها محبّة وشَغَفًا[1].

- (الدرهم القسي السراب الخادع) ⟵ أشياء محسوبة.
- (صفات الملك) ⟵ صفات معنوية مذمومة يتصف بها الملك.

فالغرض من التشبيه ليس الملك و إنما صفاته التي يحملها.

فهنا الصِّديق شبه الأشياء المعنوية بالأشياء المحسوسة وهذا أوقع في النفس لأن النفس الإنسانية تميل دائمًا إلى المحسوس أكثر من المعقول، لأن الشيء الحسي أوضح وأقرب في الإدراك من المعقولات.

وأراد الصديق من خلال هذين التشبيهين أن يحذر من الاتصاف بالأخلاق السيئة، وأوصى بالابتعاد عن الملوك و الرؤساء الذين أكبر همهم هو الدنيا، ولا يفكرون في مصالح أممهم وشعبهم فشبه صفات الملك بالزيف والخداع وعدم النفع فقال عنه: كالدرهم القسي، والسراب الخادع، وهذا لا شك أبشع صورة وأشنع منظر، مما يحمل النفوس السليمة على التقزز منها و الابتعاد عنها ولا شك أن هذه الطريقة أبلغ أثرًا و أعمق تأثيرًا في نفوس المخاطبين من النهي الصريح.

(1) أسرار البلاغة (ص: 115)

خرج الصديق إلى معان أخرى في التشبيه وهي كالتالي:

من أساليب التشبيه عند الصِّديق **تشبيه موقف بموقف حدث في السابق و التصرف فيه كما ذي قبل** و ذلك ما حدث في خطبته الصديق التي قالها عندما أراد توزيع المال الذي قدم له من البحرين، فتعتبر هذه الخطبة بمثابة إعادة لما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم في توزيع غنائم غزوة حنين.

تعتبر هذه الخطبة بمثابة إعادة للتاريخ، فموقف أبو بكر من الأنصار يشبه موقف الأنصار مع النبي صلى الله عليه و سلم في غنائم غزوة حنين حين أعطاها لأهل مكة و المهاجرين و لم يعط الأنصار شيئًا فوردت القصة في صحيح مسلم:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ زَيْدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا فَتَحَ حُنَيْنًا قَسَمَ الْغَنَائِمَ، فَأَعْطَى الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ، فَبَلَغَهُ أَنَّ الْأَنْصَارَ يُحِبُّونَ أَنْ يُصِيبُوا مَا أَصَابَ النَّاسُ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَطَبَهُمْ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا، فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي؟ وَعَالَةً، فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي؟ وَمُتَفَرِّقِينَ، فَجَمَعَكُمُ اللهُ بِي؟» وَيَقُولُونَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، فَقَالَ: «أَلَا تُجِيبُونِي؟» فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا كَذَا وَكَذَا، وَكَانَ مِنَ الْأَمْرِ كَذَا وَكَذَا» لِأَشْيَاءَ عَدَّدَهَا، زَعَمَ عَمْرٌو أَنْ لَا يَحْفَظُهَا، فَقَالَ: «أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْإِبِلِ، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللهِ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ الْأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا، لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهُمْ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»[1].

فالصديق في خطبته اقتدى برسول الله صلى الله عليه و سلم رغم الإيجاز الذي كان في الخطبة فتوقع ما يمكن أن يقول الأنصار ردًا على توزيعه الأموال و لكن لم يقولوه أدبًا و تقديرًا" إن شئتم أن تقولوا إنا أويناكم في ظلالنا، وشاطرناكم في أموالنا، ونصرناكم بأنفسنا "كما توقع الرسول صلى الله عليه و سلم" أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا كَذَا وَكَذَا، وَكَانَ مِنَ الْأَمْرِ كَذَا وَكَذَا» لِأَشْيَاءَ عَدَّدَهَا"

(1)صحيح مسلم (2/ 738).

وذكر كل منهما (الرسول و الصديق) في خطبهما مآثر الأنصار و فضلهم و مناقبهم فقال الصديق: "وإن لكم من الفضل ما لا يحصيه العدد وإن طال به الأمد" أما في خطبة الصديق فقال "الْأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ، وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا، لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهُمْ، إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ".

ومن هذه الأساليب أيضًا تشبيه حال بحال تشبيه حال الأنصار بحال طفيل الغنوي و قومه.

فنحن وأنتم كما قال طفيل الغنوي:

جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَزْلَقَتْ بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَزَلَّتِ
أَبَوْا أَنْ يَمَلُّونَا وَلَوْ أَنَّ أُمَّنَا تُلاقِي الَّذِي يَلْقَونَ مِنَّا لَمَلَّتِ
هم أسكنونا في ظلال بيوتهم ظلال بيوت أدفأت وأظلت[1]

هنا يؤكد الصديق رضي الله عنه على فضائل الأنصار الكثيرة فهنا اعتراف بالفضل لأهله "الأنصار" حيث ساق الصديق أبيات للشاعر الغنوي و ذلك ليبين فضل الأنصار و كرمهم وإغاثتهم الملهوف، وفي نهاية هذه الخطبة ساق الصديق مجموعة من الأبيات للطفيل الغنوي الذي كان يتصف هو و عشيرته بالكرم و الجود فصور حالة المهاجرين مع الأنصار بحالة الغنوي و عشيرته مع جعفر الممدوح في تحملهم و صنع المعروف لهم الذي لا يمكن أن يحصل من أقرب الناس إليهم، و هكذا شأن الأنصار مع المهاجرين، قاسموا إخوانهم الأنصار بيوتهم و أموالهم و أزواجهم، و قدموا لهم الغالي والنفيس ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

---

(1)الوحشيات = الحماسة الصغرى (ص: 251)

نسبه: (طفيل بن عوف بن خلف بن ضبيس بن مالك بن سعد بن عوف بن كعب بن جلان بن غنم بن غَنِيّ بن أعصر) الأعلام للزركلي (3/ 228) كان من أوصف الناس للخيل، وكان يقال له في الجاهليّة المحبّر، لحسن شعره. وقال عبد الملك ابن مروان: من أراد أن يتعلّم ركوب الخيل فليرو شعر طفيل الشعر والشعراء (1/ 444).

ففي ذلك تشبيه حالة بحالة، بجامع إغداق الكرم المفرط من كرماء على أصحابهم فأسروهم بذلك لأنه كما يقال إذا أكرمت الكريم ملكته.

ومن ذلك أيضًا **إيراد قصة سيدنا زكريا للتمثيل على الوصايا التي أراد توجيهها للمسلمين** فكان خير دليل على الوصايا الأربعة التي قالها هو زكريا – عليه أفضل الصلاة والتسليم – و هذه الوصايا التي وجهها للمسلمين المهمة لننال رضا الله علينا و ليثني علينا و هي أربعة: **تقوى الله، و الثناء عليه، و مراعاة الخوف والرجاء، و الدعاء و الابتهال.**

فأورد الصديق قصة واقعية، من أروع القصص القرآني، هي قصة نبي الله زكريا عليه السلام وأهل بيته، وكيف كانوا يعيشون في جو إيماني صادق، يسارعون إلى الخيرات ويتسابقون في طاعة الله يرجون رحمته ويخافون عذابه، فلم يرجحوا كفة الرجاء على الخوف، ولا الخوف على الرجاء، وكذلك شأنهم في دعاء مولاهم بين الرغبة والرهبة ناهيك عما يملأ صدورهم من الخشوع والتقوى، ولذلك أثنى عليهم سبحانه وتعالى في كتابه الكريم.

فمن خلال التشبيهات المتعددة المختلفة ووسائلها المستخدمة في خطب الصديق رضي الله عنه ترى الباحثة أنه لم يترك من هذه الوسائل وسيلة إلا واتكأ عليها، فرأينا التشبيه الذي اعتدناه في البلاغة العربية يختلف أنواعه ويضاف إلى ذلك تشبيه موقف بموقف أو حالة بحالة، كل ذلك استحضره واستخدمه الصديق في خطبه من أجل الإيضاح والتبيان لما يذكره من أفكار وعقائد وعبادات. فالتشبيه كما ترى الباحثة كان وسيلة من وسائل عدة اعتمدها الصديق في خطبه وتوشجت مع بقية الوسائل الأخرى لغرض الإيضاح والإبانة.

2. الاستعارة:

التعريف بالاستعارة:

وهي أمَدُّ ميدانًا، وأشدُّ افتنانًا، وأكثر جريانًا، وأعجب حسنًا وإحسانًا، وأوسعُ سعَةً وأبعد غَوْرًا، وأذهبُ نَجْدًا في الصِّناعة وغَوْرًا، من أن تُجمعَ شُعَبها وشُعُوبها، وتُحصَر فنونها وضروبها، نعم، وأسحَرُ سِحْرًا، وأملأ بكل ما يملأ صَدْرًا، ويُمتع عقلًا، ويُؤْنِس نفسًا، ويوفر أُنْسًا، وأهدَى إلى أن تُهدِي إليك أبدًا عَذَارَى قد تُخُيِّرَ لها الجمال[1].

الاستعارة أفضلُ المجاز، وأول أبواب البديع، وليس في حلي الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها، ونزلت موضعها[2] فالاستعارة لا تكون إلا للمبالغة، وإلا فهي حقيقة.

والاستعارة إنما هي من اتساعهم في الكلام اقتدارًا ودالة، ليس ضرورة؛ لأن ألفاظ العرب أكثر من معانيهم، وليس ذلك في لغة أحد من الأمم غيرهم، فإنما استعاروا مجازًا واتساعًا. ألا ترى أن للشيء عندهم أسماء كثيرة وهو يستعيرون له مع ذلك؟ على أنا نجد أيضا اللغوي الواحدة يعبر بها عن معان كثيرة، نحو "العين" التي تكون جارحة، وتكون الماء، وتكون الميزان، وتكون المطر الدائم الغزير، وتكون نفس الشيء وذاته، وتكون الدينار، وما أشبه ذلك كثير، وليس هذا من ضيق اللفظ عليهم، ولكنه مع الرغبة في الاختصار، والثقة بفهم بعضهم عن بعض، ألا ترى أن كل واحد من هذه التي ذكرنا له اسم غير العين أو أسماء كثيرة[3]؟

والاستعارة أن يكون للَّفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ تدلُّ الشواهد على أنه اخْتُصَّ به حين وُضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلًا غيرَ لازمٍ، فيكون هناك كالعارِيَّة[4].

والناس مختلفون فيها: منهم من يستعير للشيء ما ليس منه ولا إليه، كقول لبيد:

---

(1) أسرار البلاغة (ص: 42).
(2) العمدة في محاسن الشعر وآدابه (1/ 268).
(3) السابق: (1/ 274).
(4) أسرار البلاغة(ص: 30).

وغداة ريح قد وزعت وقرة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

فاستعار للفجر ملاءة، وأخرج لفظة مخرج التشبيه. وكان أبو عمرو بن العلاء لا يرى أن لأحد مثل هذه العبارة، ويقول: ألا ترى كيف صير له ملاءة، ولا ملاءة له، إنما استعار له هذه اللفظة[1].

إن الاستعارة لها أثر كبير واضح في تأدية المعاني وتأكيدها وتقريرها في ذهن المخاطب كما أن لها أثراً في تصوير المعاني.

والاستعارة تنقسم إلى نوعين من حيث ذكر الطرفين: **استعارة تصريحية واستعارة مكنية.**

- **فالتصريحية هي:** التي صرح فيها بذكر المشبه به فقط، نحو: رأيت أسدًا.
- **أما المكنية:** فهي التي حذف منها المشبه به وبقي شيء من لوازمه وإثباته للمشبه، نحو مخالب الظلام.

والاستعارة فيها من **الإيجاز والمبالغة والإيضاح والبيان والتأكيد والتقرير.**

- الإيجاز يأتي من حذف أحد طرفي التشبيه، حيث يحذف المشبه به ويبقى المشبه والعكس.
- وتحقيق المبالغة ملحوظ من زاوية الادعاء، لأنه يدَّعي أن المشبه من جنس المشبه به، فتفيد الاستعارة من قوة المبالغة ما لا تفيده أرقى صور التشبيه، حتى قال ابن رشيق "الاستعارة لا تكون إلا للمبالغة، وإلا فهي حقيقة"[2].
- ويتحقق الإيضاح والبيان من خلال تشخيص الاستعارة للمعاني وتجسيدها، وبما تدخلها عليها من معانٍ حسية حتى (إنك لترى بها الجماد حسيًا ناطقًا).

(1) العمدة في محاسن الشعر وآدابه (1/ 269).
(2) مدخل إلى علم البيان (ص 215).

- ويتحقق فيها التأكيد والتقرير حيث إن الاستعارة أوكد في النفس من الحقيقة، وتفعل في النفوس ما لا تفعله الحقيقة كما يقول أسامة بن منقذ[1]

ولقد اعتمد الصديق في خطبه على الاستعارة لتحقيق الأهداف و الغايات الجمالية السابقة و منها ما ورد في خطبه كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول رقم (1)

يوضح شواهد الاستعارة في خطب الصديق و التحليل البلاغي لها.

النص من الخطبة	التحليل البلاغي
{ملكًا عضوضًا}	نجد الاستعارة ظاهرة في عضوضًا، ويقصد به الظُّلم، وهو من لوازم الإنسان حيث شبه الملك بإنسان ظالم عضوض فحذف المشبه به وهو الإنسان، ورمز له بشيء من لوازمه وهو العضوض وأثبتت هذه الصفة للملك الذي هو المشبه على سبيل الاستعارة المكنية التخييلية.
{أمةً شعاعًا}	فالأمة هي المشبه، والشمس مشبه بها، حذف المشبه به وهو الشمس و أبقى على شيء من لوازمها وهو الشعاع ونسب هذا الشعاع للأمة، على سبيل الاستعارة المكنية التخييلية.
{دمًا مفاحًا}	فالدم مشبه والطيب مشبه به، فحذف المشبه به وأبقى على شيء من لوازمه وهو الفوح ثم نسبه للدم على سبيل الاستعارة المكنية التخييلية.
{فإن كان للباطل نزوة}	الباطل هو المشبه، والحيوان الفحل هو المشبه به، حذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو النزو، ثم أثبته للباطل على سبيل الاستعارة المكنية التخييلية.

(1) ينظر: علم البيان في الدراسات البلاغية (ص 286).

فالاستعارة لها أثر كبير في تصوير المعاني، فصورت الملك الظالم إنسانًا فيه عسف وظلم، وجعلت الأمة شمسًا لها أشعة متفرقة متشتتة في أرجاء الكون، وصورت كثرة الدماء البشرية المهراقة ظلمًا و عدوانًا بالطيب و الروائح الفواحة التي تملأ المكان و جعلت الباطل حيوانًا له نزوة فمن خلال هذه العبارات بين لنا أثر البلاغة في تقوية المعنى فاللفظ المستعار يحمل معاني قوية وإيحاءاتٍ لفظية جميلة.

أما نوع هذه الاستعارات "ملكًا عضوضًا، وأمة شعاعًا، و دمًا مفاحًا، فإن كان للباطل نزوة" فهي الاستعارات المكنية.

3. الكناية:

الكناية لغةً:

الكناية من (ك ن ى): (الْكِنَايَةُ) أَنْ تَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ وَتُرِيدَ بِهِ غَيْرَهُ وَقَدْ (كَنَيْتُ) بِكَذَا عَنْ كَذَا وَ (كَنَوْتُ) أَيْضًا (كِنَايَةً) فِيهِمَا. وَرَجُلٌ (كَانٍ) وَقَوْمٌ (كَانُونَ). وَ (الْكُنْيَةُ) بِضَمِّ الْكَافِ وَكَسْرِهَا وَاحِدَةُ (الْكُنَى). وَ (اكْتَنَى) فُلَانٌ بِكَذَا وَهُوَ (يُكْنَى) بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ. وَلَا تَقُلْ: يُكْنَى بِعَبْدِ اللَّهِ. وَ (كَنَّاهُ) أَبَا زَيْدٍ وَبِأَبِي زَيْدٍ (تَكْنِيَةً) وَهُوَ (كَنِيُّهُ) كَمَا تَقُولُ: سَمِيُّهُ. قُلْتُ: وَ (كَنَاهُ) كَذَا وَبِكَذَا بِالتَّخْفِيفِ يَكْنِيهِ (كِنَايَةً) ذَكَرَهُ الْفَارَابِيُّ. وَ (كُنَى) الرُّؤْيَا، هِيَ الْأَمْثَالُ الَّتِي يَضْرِبُهَا مَلَكُ الرُّؤْيَا، يُكْنَى بِهَا عَنْ أَعْيَانِ الْأُمُورِ[1].

كنى: كنيت عن الأمر، إذا تكلمت بغيره مما يستدل به عليه. ولذلك تسمى الكنية كأنها تورية عن الاسم[2].

فالكناية تقوم على التكلم بما يراد به خلاف الظاهر.

(1) انظر: مختار الصحاح (ص: 274) و الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (6/ 2477).
(2) مجمل اللغة لابن فارس (ص: 771).

الكناية اصطلاحًا:

(الْكِنَايَة) (فِي علم الْبَيَان) لفظ أُرِيد بِهِ لَازم مَعْنَاهُ مَعَ جَوَاز إِرَادَة الْمَعْنى الْأَصْلِيّ لعدم وجود قرينَة مَانِعَة من إِرَادَته[1].

فالكناية تعني الستر و الإضمار والإخفاء وعدم التصريح، و هي أبعد ما تكون عن السفور و الوضوح.

والكناية هي لفظ أريد به غير معناه الحقيقي الموضوع له، مع إمكان إرادة المعنى الحقيقي، لعدم وجود قرينة على خلافه أو ترك التصريح بالشيء إلى ما يساويه من اللزوم فينتقل منه إلى الملزوم.

وأيضاً هي لفظ يعتمد على معنيين، واحد ظاهر غير مقصود، و آخر مخفي هو المقصود، بمعنى أن تدل كلمة أو جملة على شيء معين بشكل مباشر، ولكنها تخفي شيئًا غير مباشر.

حرص أغلب الشعراء العرب في كافة العصور على استخدام الكناية في أبياتهم الشعرية لوصف الموصوف في القصيدة بالصفات المقتربة منه، فهي من الأساليب اللغوية المستخدمة في اللغة العربية وترتبط بعلم البلاغة.

أَنْوَاع الكناية:

1. كِنَايَة عَن مَوْصُوف نَحْو أمة الدولار أمريكا، الناطقين بالضاد الْعَرَب أَو الْمُتَكَلِّمين بِالْعَرَبِيَّةِ[2]. فهي الكناية التي تذكر الصفة ولا تذكر الموصوف أي تشير إليه باستخدام شيء خاص فيه كلقب، أو تركيب معين.

(1) المعجم الوسيط (2/ 802).
(2) المعجم الوسيط (2/ 802)

2. كِنَايَة عَن صفة نَحْو نظافة الْيَد الْعِفَّة وَالْأَمَانَة[1] وهي الكناية التي تدل على صفة تلازم المعنى المخفي في الجملة (كالصدق، والأمانة، والاحترام، والتقرير، والكرم) بمعنى ذكر العنصر الموصوف مع صفة ما، و لكنها ليست المقصودة، وإنما المقصود صفة أخرى تفهم من معنى الجملة.

3. كِنَايَة عَن نِسْبَة صفة لموصوف نَحْو: الذكاء ملْء عين هَذَا الرجل فَكل من الصّفة (الذكاء) والموصوف (الرجل) مَذْكُور وَالْمرَاد أَن الرجل يَتَّصِف بِصفة الذكاء.[2] وهي الكناية التي تشير إلى الموصوف وصفته، ولكنها لا تنسب إليه مباشرة، بل لشيء يدل عليه، أو يرتبط به، كالنسبة إلى حسن الخلق و فصاحة اللسان، و سر جمالها الإتيان بالمعنى مصحوبا بالدليل عليه في إيجاز وتجسيم.

(1) السابق: (2/ 802)
(2) السابق: (2/ 802)

وقد اتكأ الصديق رضي الله عنه في خطبه على الكناية وذلك من أجل التوضيح والتبيين بإيراد الدليل في تجسيم وإيجاز كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول رقم (2)

ألفاظ الكناية عند الصديق

ألفاظ الكناية	شرحها	سر جمالها
{أوسطهم دارًا}	كناية عن السيادة.	الإتيان بالمعنى مصحوبا بالدليل عليه في إيجاز وتجسيم.
{وأحسنهم وجوهًا}	الكناية عن السماحة.	
{وأكثرهم ولادة في العرب}	الكناية عن القوة لأن الكثرة دليل القوة عند العقل.	
{من بلغها}	فاللفظ بلغها كناية عن معاناة التي يعانيها المرء حتى يصل إلى نهاية المطلوب.	
استخدام لفظ {الجد} و {القصد}	هذه كلها تدل على معانٍ تتطلب صبرًا عظيمًا وحنكة وحكمة.	

وبالنظر إلى عيِّنة الكنايات التي أوردتها الباحثة من خطب الصديق يضعنا أمام حقيقة بارزة وهي أنه اعتمد على الكنايات تشف عن صفة – ودائمًا ما تكون هذه الصفة نبيلة – فيدعو إلى التمسك بها و إن كانت غير ذلك فهو يدعو إلى نبذها و الابتعاد عنها.

المبحث الثاني

الأساليب والتراكيب

1. الاقتباس والتضمين:

الاقتباس و التضمين مصطلحان معروفان في الدرس البلاغي العربي، فالاقتباس يعني بصورة مختصرة أَخْذُ الشاعر أو الناثر نصًّا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف ليوضع في شعر الشاعر أو نثر الناثر، أما التضمين فيعني أخذ الشاعر بيتًا أو جزءًا من بيت شعري من شاعر آخر فيودعه في شعره، على أن يكون ذلك علنًا من دون أن يخفي ذلك، وإلا فالأمر يعد سرقة أدبية.

فالاقتباس والتضمين من وسائل تداخل النصوص بعضها في بعض، سواء أكان ذلك عمدًا وقصدًا أم من فيض العقل الباطن، إذ يُشبَّه النص الأدبي (بالفسيفساء) التي تتكون من عدة أحجار وألوان محبوكة بشكل منسق جميل يمنحها شخصية رائعة مستقلة تتمازج فيها الأحجار والألوان.

الاقتباس:

أولًا: الاقتباس في اللغة:

(قبس) القاف والباء والسين أصل صحيح يدل على صفة من صفات النار، ثم يستعار. من ذلك القبس: شعلة النار. قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿**لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ**﴾[1]، ويقولون: أقبست الرجل علما، وقبسته نارا. قال ابن دريد: قبست من فلان نارا، واقتبست منه علما، وأقبسني قبسا[2].

ومن هذا القياس قولهم: فحل قبيس، وذلك إذا كان سريع الإلقاح، كأنه شبه بشعلة النار "القبس: شعلة من نار ; وكذلك المقباس. يقال: قبست منه نارا أقبس قبسا فأقبسني، أي أعطاني

(1) طه: 10.

(2) مقاييس اللغة (5/ 48).

منه قبسا. وكذلك اقتبست منه نارًا، واقتبست منه علما أيضا، أي استفدته"[1]، وذلك استعارة لطلب العلم.

وفي الاصطلاح: تضمين المتكلم كلامه –شعرًا كان أو نثرًا – شيئًا من القرآن، أو الحديث، على وجه لا يكون فيه إشعار بأنه من القرآن أو الحديث.

وعرفه الجلال السيوطي بقوله: الِاقْتِبَاسُ تَضْمِينُ الشِّعْرِ أَوِ النَّثْرِ بَعْضَ الْقُرْآنِ لَا عَلَى أَنَّهُ مِنْهُ بِأَلَّا يُقَالَ فِيهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَنَحْوُهُ[2].

وعرفه الدمشقي: هو أن يُضَمِّنَ المتكلّم كلامه من شعر أو نثر كلامًا لغيره بلفظه أو بمعناه، وهذا الاقتباس يكون من القرآن المجيد، أو من أقوال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو من الأمثال السائرة، أو من الْحِكَم المشهورة، أو من أقوال كبار البلغاء والشعراء المتداولة، دون أن يعزو المقتبس القول إلى قائله[3].

و عرفه القزويني: هو أن يضمن الكلام –شعرا كان أو نثرا– شيئا من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه و الكلام هنا يشمل المنظوم و المنثور[4].

وعلى هذا فلو اسند الكلام المقتبس إلى الله تعالى أو إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يسمى اقتباسا. فعند الاقتباس من كلام الله عز وجل أو الحديث لا ينبه على ذلك أي لا يقول في كلامه المنظوم أو المنثور: (قال تعالى) أو (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) أو ما يشبه ذلك من العبارات.

فالاقتباس قد يكون حسناً بديعاً يقوي المتكلّم به كلامه ويبرز به ألفاظه، ويُحْكِمُ به نظامه، و خاصة إذا كان هذا الاقتباس في الخطب، والمواعظ، وأقوال الحكمة، ومقالات الدعوة والإرشاد، ومقالات الإقناع والتوجيه للفضائل في نفوس المؤمنين بكتاب الله وكلام رسوله.

---

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (3/ 960).
(2) الإتقان في علوم القرآن (1/ 386).
(3) البلاغة العربية(2 /536).
(4) الإيضاح في علوم البلاغة و المعاني و البيان و البديع الطبعة الأولى 2003م – 1424 هـ (ص 312).

ويستخدم الأدباء الاقتباس من القرآن المجيد أو من أقوال الرسول لتقوية أفكارهم، أو لتزيين كلامهم في أغراض مختلفة كالمدح والهجاء والغزل و الإخوانيات ونحو ذلك، فإذا لم يُحَرّف في المعنى، ولم يكن في اقتباسه سوء أدب مع كلام الله أو كلام الرسول فلا بأس باقتباسه، وإذا كان في اقتباسه تحريف في المعنى، أو سوء أدب فهو ممنوع ويأثم به المقتبس، وقد يَصِلُ بعض الاقتباس إلى دركة الكفر والعياذ بالله.

أنواع الاقتباس:

الإِقْتِبَاسُ عَلَى نَوْعَيْنِ:

الأول: مَا لَمْ يُنْقَل فِيهِ الْمُقْتَبَسُ (بِفَتْحِ الْبَاءِ) عَنْ مَعْنَاهُ الأَصْلِيِّ، وَمِنْهُ قَوْل الشَّاعِرِ:

قَدْ كَانَ مَا خِفْتُ أَنْ يَكُونَا إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونَا

وَهَذَا مِنَ الإِقْتِبَاسِ الَّذِي فِيهِ تَغْيِيرٌ يَسِيرٌ، لأَنَّ الآيَةَ {**إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**}. سورة البقرة / 156.

وَالثَّانِي: مَا نُقِل فِيهِ الْمُقْتَبَسُ عَنْ مَعْنَاهُ الأَصْلِيِّ كَقَوْل ابْنِ الرُّومِيِّ:

لَئِنْ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِ كَ مَا أَخْطَأْتَ فِي مَنْعِي
لَقَدْ أَنْزَلْتُ حَاجَاتِي (بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعِ)

فَقَوْلُهُ: ﴿**بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ**﴾[1]. اقْتِبَاسٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَهِيَ وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِمَعْنَى "مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ"، إِذْ لاَ مَاءَ فِيهَا وَلاَ نَبَاتَ، فَنَقَلَهُ الشَّاعِرُ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى الْحَقِيقِيِّ إِلَى مَعْنًى مَجَازِيٍّ، هُوَ: "لاَ نَفْعَ فِيهِ وَلاَ خَيْرَ[2].

وذكر السيوطي أن للاِقْتِبَاسُ ثَلاَثَةُ أَقْسَامٍ: مَقْبُولٌ، وَمُبَاحٌ، وَمَرْدُودٌ.

- **فَالأَوَّلُ:** مَا كَانَ فِي الْخُطَبِ وَالْمَوَاعِظِ وَالْعُهُودِ.
- **وَالثَّانِي:** مَا كَانَ فِي الْقَوْلِ وَالرَّسَائِلِ وَالْقِصَصِ.

(1) إبراهيم: 37.
(2) الموسوعة الفقهية الكويتية (6 /17-18).

- **وَالثَّالِثُ:** عَلَى ضَرْبَيْنِ أَحَدُهُمَا مَا نَسَبَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ – وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِمَّنْ يَنْقُلُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا قِيلَ عَنْ أَحَدِ بَنِي مَرْوَانَ أَنَّهُ وَقَّعَ عَلَى مُطَالَعَةٍ فِيهَا شِكَايَةُ عُمَّالِهِ: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} – وَالْآخَرُ تَضْمِينُ آيَةٍ فِي مَعْنَى هَزْلٍ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، كقوله:

أوحـــــى إِلَـــــى عُشَّـــــاقِهِ طَرْفَـــــهُ
هَيْهَـــــاتَ هَيْهَـــــاتَ لِمَـــــا تُوعَـــــدُونَ
وَرِدْفُـــــهُ يَنْطِـــــقُ مِـــــنْ خَلْفِـــــهِ
لِمِثْـــــلِ ذَا فَلْيَعْمَـــــلِ الْعَـــــامِلُونَ[1]

الاقتباس وما اشْتُقّ منه من فروع وهي: (التضمين – العقد – الحلّ – التلميح)

أولًا: التضمين: سيتم الحديث عنه لاحقًا:

ثانيًا: "الْعَقْد":

وهو أن ينظم الشاعر نثرًا لغيره لا على طريقة الاقتباس، ومن الْعَقْد قول أبي العتاهية:

مَـــا بَـــالُ مَـــنْ أَوَّلُـــهُ نُطْفَـــةٌ وَجِيفَـــــةٌ آخِـــــرُهُ يَفْخَـــــرُ؟!

عقد أبو العتاهية في هذا البيت من قول عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه:"**وَمَا لابْنِ آدَمَ والْفَخْرَ، وإِنَّمَا أَوَّلُهُ نُطْفَة، وآخِرُهُ جِيفَة**".

ومن الْعَقْدِ قول أبي العتاهية أيضًا:

وَكَانَـــتْ فِـــي حَيَاتِـــكَ لِـــي عِظَـــاتٌ وَأَنْـــتَ الْيَـــوْمَ أَوْعَـــظُ مِنْـــكَ حَيًّـــا

(1) الإتقان في علوم القرآن (1 /387).

عقَدَ في هذا البيت قول بعض الحكماء في الإسْكَنْدَرِ لمّا توفّي: **كَانَ الْمَلِكُ أَمْسِ أَنْطَقَ مِنْهُ الْيَوْم، وهُوَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْهُ أَمْسِ**"[1].

ثالثًا: "الحلّ":

وهو أن يَنْثُر الكاتب أو المتكلّم شِعْرًا لِغَيرِهِ، ويكون حَسَنًا إذا كان سَبْكُ الحلِّ حسَنَ الموقع، مستقرًّا غير قَلِقٍ، وافِيًا بمعاني الأصل، غَيْرَ ناقصٍ في الْحُسْنِ عن سَبْكِ أصْلِه، أو أن يكون بمثابة الشَّرْح لدقائقه، وإلاَّ كان عملًا غَيْرَ مقبولٍ في الأعمال الأدبية.

ومن أمثلة الحلِّ الَّتي ذكرها البلاغيون قول بعض المغاربة، يَصِفُ شخصًا بأنَّه سَيِّئُ الظَّنّ، إذْ يَقِيسُ غَيْرَهُ عَلَى نَفْسِه:

"**فَإِنَّهُ لَمَّا قَبُحَتْ فَعَلاتُهُ، وَحَنْظَلَتْ نَخَلاتُهُ، لَمْ يَزَلْ سُوءُ الظَّنِّ يَقْتَادُهُ، وَيُصَدِّقُ تَوَهُّمَهُ فِي الّذِي يَعْتَادُه**".

حلّ بقوله قول المتنبّي:

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّم

أي: ما يتوهُّمُه من أنّ الآخرين أساءوا، فيصَدِّقُ توهُّمَهُ فيهم، لأنَّهُ يقيسُهم على نفسه، وما يَعْتَادُه من سوء عَمَل.

ومنه قول صاحب "الوشي المرقوم في حلّ المنظوم" يصف قلم كاتب: "**فَلاَ تَحْظَى بِهِ دَوْلَةٌ إلاَّ فَخَرَتْ عَلَى الدُّوَل، وَغَنِيَتْ بِهِ عَنِ الْخَيْلِ والْخَوَلِ، وَقَالَتْ: أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الأَقْلاَمِ لاَ عَلَى الأَسَل**".

العبارة الأخيرة حلّ لقول أبي الطيّب مع ردّ لمقاله وجعل أعْلَى الممالك ما يبنى على الأقلام: "**أَعْلَى الْمَمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الأَسَلِ**"... **وَالطَّعْنُ عِنْدَ مُحِبِّيهِنَّ كَالْقُبَلِ**[2].

(1) البلاغة العربية (2/ 541).

(2)البلاغة العربية (2/ 541-542).

رابعًا: "التَّلْمِيح":

وهو أن يُشِيرُ الناثر أو الشاعر إلى قصة أو شعْرٍ أو نثرٍ.

ومنه قول أبي تَمَّام:

لَحِقْنَا بِأُخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمَ الْهَوَى قُلُوبًا عَهِدْنَا طَيْرَهَا وَهْيَ وُقَّعُ
فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخِدْرِ تَطْلُعُ
نَضَا ضَوْؤُهَا صِبْغَ الدُّجُنَّةِ وانْطَوَى لِبَهْجَتِهَا ثَوْبُ السَّمَاءِ الْمُجَزَّعُ
فَوَ اللَّهِ مَا أَدْرِي أَأَحْلاَمُ نَائِمٍ أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرَّكْبِ يُوشَعُ

فقد أشار إلى قصّة يُوشع عليه السلام على ما رُوي أنّه قاتل الجبّارين يوم الجمعة، فلمَّا أدبَرَتِ الشمس خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم، ويدخل السبت فلا يحلّ له قتالهم، فدعا الله عزَّ وجلَّ فردّ له الشمس حتّى فرغ من قتالهم.

ومنه قول أبي تمّام أيضًا:

لَعَمْرِّو مَعَ الرَّمْضَاءِ وَالنَّارُ تَلْتَظِي رَقُّ وَأَحْفَى مِنْكَ فِي سَاعَةِ الْكَرْبِ

يشير إلى البيت المشهور:

الْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ كَالمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ

وقصة ذلك أنّ عمروًا تَرصَّدَ كُلَيْبًا حتى ابتعد عن الحمى، فركب فرسه فأتبعه فرمَى صُلْبَهُ، ثُمَّ وقَفَ عليه فقال له: يا عَمْرو أغِثْنِي بِشَرْبَةِ ماءٍ فَأَجْهَزَ عليه، فمات، فقيل هذا البيت.

ونشبت العداوة بين تغلب وبكر أربعين سنة، وكان سببها ناقةً رماها كليب فقتلها، وكان اسم هذه الناقة أو اسم صاحبتها "الْبَسُوس" وفيها قيل: "أشأم من البسوس" وهذه الحادثة من حروب الجاهليّة قبل الإسلام في قبائل العرب[1].

(1) البلاغة العربية (2/ 543).

التضمين:

التضمين لغةً:

التضمين مصدر ضَمِنَ: الضَمِيْن: الكَفِيْل. ضَمِنَ الشيء وبه ضِمْنَا وضَمَانًا: كَفِّلَ به. وضَمَّنَه إياه: كَفَّلَه. يقال: ضمنتُ الشيء أضمنه ضمانا، فأنا ضامن، وهو مضمون. وفي الحديث: "من مات في سبيل الله فهو ضامن على الله أن يدخله الجنة" أي ذو ضمان على الله؛ وضَمَّنْتُه الشيء تَضَمِينًا فَتَضَمَنَه عني: مثل غَرَّمْتُه؛ ورُوي عن عكرمة أنه قال: لا تشتر لبن البقر والغنم مضمنا لأن اللبن يزيد في الضرع وينقص، ولكن اشتره كيلا مسمى؛ قال شمر: قال أبو معاذ يقول لا تشتره وهو في الضرع لأنه في ضمنه، يقال: شرابك مضمن إذا كان في كوز أو إناء. وضمن الشيء بمعنى تضمنه؛ ومنه قولهم: مضمون الكتاب كذا وكذا[1].

وهو جعل الشيء في باطن شيء آخر، وإيداعه إياه، ويقال: ضمن فلان ماله خزانته، فتضمنته هي، والخزانة مضمن فيها، وهي أيضًا متضمنة والمال متضمن[2].

التضمين اصطلاحًا:

إن أقدم من ذكر التضمين هو ابن المعتز ت(296هـ) ولكن دون أن يعرفه بيد أنه يمكن أن نفهم من الأمثلة القليلة التي أوردها أنه يقصد به أخذ شاعر من شاعر آخر بيتًا أو دونه و تضمينه في شعره من ذلك ما ذكره في كتابه البديع في البديع تحت عنوان حسن التضمين:

قال الأَخَيْطِلُ"من الكامل":

وَلَقَدْ سَمَا للخرَّمِي فلم يَقُلْ بعد الوَغَى:"لكن تضايق مُقْدِمى

أخذه من قول عنترة:

إذْ يتَّقون بِي الأسنَّة لم أخِم عنها و لكنِّي تضايق مُقْدِمي

(1) لسان العرب (3/ 258 -257).

(2) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (2/ 364) مادة (ض م ن).

وقال آخر "من السريع":

عَـــوَّذ لَمَّـــا بـــتُّ ضـــيفًا لـــه أَقْراصَـــــهُ بخـــــلًا بياســـــين
فبِـــتُّ والأرضُ فِراشِـــي وقـــد غَنَّـــت"قفـــا نبـــك"مصـــاريني

وهو تضمين لقول امرئ القيس: "قفا نبك" في مطلع معلقته[1].

وللتضمين مجموعة من التعريفات أهمها:

هو ما يزداد به الكلام حلاوة، ويكتسب به رونقًا وطلاوةً فإنه يكون في الكلام كالشاهدة له، والمنادية على سداده[2].

أن يؤدي (أو يتوسع) في استعمال لفظ توسعًا يجعله مؤديًا معنى لفظ آخر مناسب له، فيعطي الأول حكم الثاني في التعدي واللزوم[3].

و عرَّف ابن المعتز حسن التضمين للشعر: هو أن يُضَمِّن الشاعر شيئًا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورًا[4].

وعرفه الشيزري: هو أن يتأَنَا ضَامِنٌ وَضَمِينٌ ضمن البيت كلمات من بيت آخر، مثل قول عنترة العبسي:

إذ يتقـــون بـــي الأســـنةَ لـــم أخـــمْ عنهـــا ولكنـــي تضـــايقَ مقـــدمي

ضمنه مسلم بن الوليد، فقال:

ولقد سما للخرميّ، فلم يقلْ... يومَ الوغى: إني تضايقَ مقدمي[5].

(1) انظر: البديع في البديع لابن المعتز (ص: 159)
(2) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور (ص: 232)
(3) الخصائص (2 /310، 437).
(4) البديع في البديع لابن المعتز (ص: 38) و الايضاح في علوم البلاغة ص: (316).
(5) البديع في نقد الشعر (ص: 249).

وهو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من بيت، أو من آية، أو معنى مجردًا من كلام، أو مثلًا سائرًا أو جملة مفيدة، أو فقرة من حكمة كقول على عليه السلام في جواب كتاب لمعاوية: "وما الطلقاء وأبناء الطلقاء، والتمييز بين المهاجرين الأولين وتبيين درجاتهم، وتعريف طبقاتهم، هيهات لقد حن قدح ليس منها، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها "فضمن كلامه هذا المثل العربي وهو قوله: "لقد حن قدح ليس منها"[1].

وخلاصة القول إن التضمين: هو أن يضمن الشاعر شعره والناثر نثره كلاما من شعر غيره لشدة جماله أو لشدة علاقته بما يقول، قاصدًا الاستعانة على تأكيد المعنى المقصود، ولو لم يذكر ذلك التضمين لكان المعنى تامًا حيث يعمل على إشراب اللفظ معنى لفظ آخر، وإعطاؤه حكمه ؛ لتصير الكلمة تؤدي معنى الكلمتين والغرض من التضمين إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى واحد.

أقسام التضمين:

أولًا: تضمين الإسناد

وذلك يقع في بيتين من الشعر وفقرتين من الكلام المنشور، على أن يكون الأول مسندًا إلى الثاني، فلا يقوم الأول بنفسه، ولا يتم معناه إلا بالثاني. فما جاء من ذلك قول بعضهم:

ومِـــنَ البلـــوى التـــي ليـــس لهـــا فـــي النـــاس كُنْـــهُ
أنّ مـــنْ يعـــرف شـــيئًا يـــدّعي أكثـــر مِنـــهُ

ألا ترى أن البيت الأول لم يقم بنفسه ولا تم معناه إلا بالبيت الثاني؟ ويجوز أن يكون البيت الثاني لغير قائل البيت الأول كقول بعضهم:

ولمـــا أتـــاني مـــن حِمـــاك تحيّـــةٌ تَضـــوَّعُ مـــن أثنائهـــا المســـك والنَّـــدُ
وقفـــتُ فأعيَيْـــتُ الرســـولَ تســـاؤلًا وأنشـــدته بيتًـــا لـــه المثـــل الفـــردُ

(1) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (ص: 140).

وحدثتني يا سعدُ عنهم فزدتني جنونًا فزدني من حديثك يا سعدُ[1]

ثانيًا: وهو أن يضمن الشاعر شعره، أو الناثر نثره، بكلام لغيره قصدًا للاستعانة على إتمام المراد، وتأكيدًا لمعناه، ولو لم يذكر ذلك التضمين لكان المعنى صحيحًا لا يحتاج إلى تمام. وربما ضمنّ الشاعر شعره بنصف بيت أو أقل منه كما قال جحظة:

قم فاسقنيها يا غُلامُ وغنِّني (ذهب الذين يُعاش في أكنافهم)

ألا ترى أنه لو لم يقل في هذا البيت:

..... **(ذهب الذين يُعاش في أكنافهم)**

لكان المعنى صحيحًا لا يفتقر إلى شيء آخر يتممه؟ فإن قوله:

قم فاسقنيها يا غُلامُ وغنِّني .....

فيه كفاية، إذ لا حاجة إلى تعيين الغناء أي شيء هو؛ لأن في ذلك زيادة على المعنى المفهوم لا على الغرض المقصود. وقد استعمل هذا الضرب كثيرًا الخطيب عبد الرحيم بن نباتة كقوله في بعض خطبه: (فيا أيها الغفلة المطرقون، أما أنتم بهذا الحديث مصدقون؟ ما لكم منه لا تشفقون؟ فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون).وكقوله في ذكر يوم القيامة: (فيومئذٍ تَفِدُ الخلائق على اللهُ بهمًا، فيحاسبهم على ما أحاط به علمًا، وينفذ في كل عاملٍ بعلمه حُكمًا؛ وعنت الوجوه للحي القيوم، وقد خاب من حمل ظلمًا). ألا ترى إلى براعة هذا التضمين، الذي كأنه رصع في هذا الموضع رصعًا؟[2].

(1) انظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور (ص: 232 – 233) و المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي (3/ 200 –203).

(2) انظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور (ص: 232 – 233)و المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي (3/ 200 –203).

التضمين وما اشْتُقّ منه من فروع:

وهي: {الاستعانة – الإيداع – الرّفْو}

- يُطْلَق على التضمين لفظ "الاستعانة". إذا بلغَ مقدارُه تضمينَ بيت فأكثر.
- وإذا كان مقدارُهُ شَطْرَ بيتٍ أوْ دونه، فقد يُطْلَق عليه "الإيداع" إذ الشاعر قد أودع شعره شيئًا من شعر غَيْره.
- وقَدْ يُطْلَقُ عليه "الرَّفْوُ" لأنّ الشاعر "رَفَا" أي خَرْقَ شِعْرِه بشيءٍ من شعر غيره[1].

وذكر ابن جني كثرة التضمين فيقول:

"إنه وُجِد في اللغة من هذا الفن شيء كثير يخاطب به، ولعله لو جمع أكثره لا جميعه لجاء كتابًا ضخمًا، وقد عرفت طريقه، فإذا مر بك فتقبله وأنس به، فإنه فصل في اللغة لطيف حسن يدعو إلى الأنس بها"[2].

الفرق بين الاقتباس والتضمين

(الاقتباس هو أخذ كلمات أو عبارات قرآنية مع التغيير فيها دون نسبها إلى قائلها الحقيقي، أما التضمين فهو أخذ كلمات أو آيات بنصها دون التغيير فيها وأيضًا لا تنسب لقائلها) فاجتمعا في عدم الإحالة إلى القائل، وافترقا في حدوث شيء من التغيير يطرأ على الكلمات أو العبارات المقتبسة في الاقتباس خاصة.

(1) البلاغة العربية (2/ 540).
(2) الخصائص (2/ 312)

ولقد انحصرت اقتباسات الصديق في خطبه في القرآن الكريم و الأحاديث النبوية الشريفة:

1. الاقتباس من القرآن الكريم:

اقتبس الصديق في خطبه من القرآن الكريم الكثير، وذلك من أجل دعم فكرته و رؤيته التي يريد نقلها إلى السامعين، و الجدول التالي يوضح ذلك.

الجدول رقم (3)

يوضح اقتباسات الصديق من القرآن الكريم.

المسلسل	الكلمات في الخطبة	الآية القرآنية	مكية ـ مدنية
.1	وأن الله هو الحق المبين	{يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ} (النور – الآية 25)	مدنية
.2	ما منحهم الله من فضله	{فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (آل عمران – الآية 170)	مدنية
.3		{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ} [النساء: 135]،	مدنية
.4		{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ} (التوبة: 100)	مدنية
.5	إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ	{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} (آل عمران – الآية 33)	مدنية
.6	وَأَنْتُمْ تَغْدُونَ وَتَرُوحُونَ	{وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ}(سبإ – الآية 12)	مكية
.7	وَصَارُوا رَمِيمًا	{وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ} (يس – الآية 78)	مكية
.8	الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ	{الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} (النور – الآية 26)	مدنية
.9	أَلا إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْقَى عَلَيْهِمُ التَّبِعَاتِ وَقَطَعَ	{فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا} (مريم – الآية 59)	مكية

.10	عَنْهُمُ الشَّهَوَاتِ	{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} (النساء: 80).	مدنية
.11		{يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ} (آل عمران: 30).	مدنية
.12			
.13		{إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (الأحزاب: 56)	مدنية
.14		{إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} (الأنبياء: 90)	مكية
.15		{هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا} (مريم: 98)	مكية
.16	أَيْنَ الْوُضَّاءُ الْحَسَنَةُ وُجُوهُهُمْ	{تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ} (المطففين – الآية 24)	مكية
.17	حَسْرَةً عَلَيْهِمْ	{وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ} (الحاقة – الآية 50)	مكية
.18	فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ خَاوِيَةً	{فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (النمل – الآية 52)	مكية
.19	فأصبحتم بنعمته إخوانًا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون	{أَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (آل عمران – الآية 103)	مدنية
.20	وقدموا لأنفسكم خيرًا تجدوه محضرًا؛	{وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (البقرة – الآية 110)	مدنية
.21	وَوُكِّلَ بِكُمُ الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ	{كِرَامًا كَاتِبِينَ} (الانفطار – الآية 11)	مكية
.22	استحضار قصة سيدنا زكريا	{إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} (الأنبياء – الآية 90)	مكية
.23	هي التجارة التي دل الله عليها، ونجى بها من الخزي، وألحق بها الكرامة في الدنيا	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}(الصف – الآية 10)	مدنية

	والآخرة".		
.24	(وقد ألقى الله الرعب في قلوب عدوهم منهم) (ويلق بهم الرعب في قلوبهم)	{وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا} (الأحزاب – الآية 26) {سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ}(آل عمران – الآية 151)	مدنية
.25	وقد اعتصموا بحصونهم	{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} (آل عمران – الآية 103)	مدنية
.26	جهاد الروم بالشام	{غلبت الروم} (الروم: 2)	مكية
.27	وأصلح ذات بينكم	{اتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} (الأنفال – الآية 1)	مدنية
.28	اتَّقِ اللَّهَ فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا،	{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا} (الطلاق – الآية 2)	مدنية
.29	وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ،	{وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} (الطلاق – الآية 3)	مدنية
.30	وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا،	{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا}(الطلاق – الآية 5)	مدنية
.31	وَلا تَجَسَّسْ عَلَيْهِمْ فَتَفْضَحَهُمْ	{وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا}(الحجرات – الآية 12)	مدنية
.32	ثَقُلَتْ مَوَازِينُ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	{فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (المؤمنون – الآية 102)	مكية
.33	وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهُمُ الْبَاطِلَ	{مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ} (لأعراف – الآية 9)	مكية
.34	ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَذَكَرَهُمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ، وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ	{أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ}) الأحقاف – الآية 16)	مكية

2. الاقتباس من الأحاديث النبوية الشريفة:

وكما اقتبس من القرآن اقتبس كذلك من الأحاديث النبوية الشريفة لذات الغاية و الهدف و الجدول التالي يوضح ذلك.

جدول رقم (4)

يبين اقتباسات الصديق من الأحاديث النبوية الشريفة:

.1	**يَأَيُّهَا النَّاسُ، قِفُوا أُوصِيكُمْ بِعَشْرٍ فَاحْفَظُوهَا عَنِّي: لا تَخُونُوا، وَلا تَغْلُوا[1]، وَلا تَغْدِرُوا[2]، وَلا تُمَثِّلُوا، وَلا تَقْتُلُوا طِفْلا، وَلا صَغِيرًا، وَلا شَيْخًا كَبِيرًا، وَلا امْرَأَةً، وَلا تَقْعِرُوا[3] نَخْلا، وَلا تَحْرِقُوهُ، وَلا تَقْطَعُوا شَجَرَةً مُثْمِرَةً، وَلا تَذْبَحُوا شَاةً وَلا بَقَرَةً وَلا بَعِيرًا إِلا لِمَأْكَلَةٍ**	**حديث الرسول صلى الله عليه و سلم: «انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا وَلَا طِفْلًا وَلَا صَغِيرًا وَلَا امْرَأَةً، وَلَا تَغُلُّوا، وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ، وَأَصْلِحُوا وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»[4].**
.2	**أَلا وَإِنَّ لِي شَيْطَانًا يَعْتَرِينِي**	**حديث الرسول صلى الله عليه و سلم: "ما من أحد إلا وله شيطان يعتريه. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن الله عز وجل أعانني عليه فأسلم"[5].**
.3	**لِحِينِ فَقْرِكُمْ وَحَاجَتِكُمْ[6]**	**حديث الرسول صلى الله عليه و سلم: "هَلْ تَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟"، قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا، يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. قَالَ:"إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصِيَامٍ وَصَلَاةٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا، وَقَذَفَ**

(1)غل يغل كنصر: خان كأغل، وغل صدره يغل كضرب غليلًا وغلًا: حقد.

(2)غدره وغدر به كنصر وضرب وسمع.

(3)قعر النخلة: كمنع فانقعرت قطعها من أصلها فسقطت.

(4) سنن أبي داود (3/ 38)

(5)رواه مسلم في صحيحه رقم (2815) في المنافقين، باب تحريش الشيطان، والنسائي في سننه 7 / 72 في عشرة النساء، باب الغيرة.

(6) تاريخ الطبري 3: 224، 225) جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 69-70)

خطب مختارة (ص:34-35) البداية والنهاية ط إحياء التراث (6/ 334-335) خطب مختارة (ص: 34)

		هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، فَيُقْعَدُ، فَيَقُصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ"[1].
.4	، أَلا إِنَّ اللَّهَ لا شَرِيكَ لَهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ سَبَبٌ يُعْطِيهِ بِهِ خَيْرًا، وَلا يَصْرِفُ عَنْهُ بِهِ سُوءًا إِلا بِطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَبِيدٌ مَدِينُونَ، وَأَنَّ مَا عِنْدَهُ لا يُدْرَكُ إِلا بِطَاعَتِهِ، أَمَا أَنَّهُ لا خَيْرَ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ، وَلا شَرَّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ	حديث الرسول صلى الله عليه و سلم: "يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ[2].
.5	من يكذب يفجر، ومن يفجر يهلك، وإياكم والفخر، وما فَخُر من خُلِق من التراب	حديث الرسول صلى الله عليه و سلم: (قال رسول الله:"ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، فَمَنْ كَانَتْ فِيهِ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ لَمْ تَزَلْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَتْرُكَهَا"[3].
.6	ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له،	(لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ)[4]
.7	ولا أجر لمن لا حسبة له	"لَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حِسْبَةَ لَهُ"[5]
.8	لا عمل لمن لا نية له؛	"إِنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ"[6].

(1) مسند أحمد ط الرسالة (14/ 138)
(2) سنن الترمذي ت بشار (4/ 248)
(3) سنن النسائي (8/ 117)
(4) مصنف ابن أبي شيبة (6/ 159)
(5) السنن الكبرى للبيهقي (1/ 67)
(6) السابق (1/ 67)

3. التضمين من الشعر في خطب الصديق:

هذا بالإضافة إلى أنه ضمن خطبه من أشعار العرب و ذلك من باب سوق الأدلة و البراهين التي تدعم فكرته و رؤيته و الجدول التالي يوضح ذلك:

جدول رقم (5)

يوضح الأشعار التي تضمنها الصديق خطبه:

1.	**جَزَى اللَّـهُ عَنَّـا جَعْفَرًا حِينَ أَزْلَقَتْ.. بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَزَلَّتِ أَبَوْا أَنْ يَمَلُّونَا وَلَوْ أَنَّ أُمَّنَا.. تُلاقِي الَّذِي يَلْقَونَ مِنَّا لَمَلَّتِ" هم أسكنونا في ظلال بيوتهم... ظلال بيوت أدفأت وأظلت[1].**	**استحضار شعر طفيل الغنوي لتشبيه قصة الأنصار و مهاجرين بقصة قبيلة طفيل الغنوي**

التعليق على جداول الاقتباس والتضمين:

بالنظر إلى الجدول السابق تلاحظ الباحثة:

1. ارتفاع نسبة الاقتباس من القرآن الكريم حيث بلغت عدد مرات الاقتباس ثلاث وثلاثين مرة، في حين بلغت من الأحاديث النبوية الشريفة ثماني مرات، أما التضمين فقد انحسر في موضع واحد.

وتفسر الباحثة ذلك بأن الخليفة أبا بكر الصديق اعتمد القرآن الكريم كدليل و برهان يدعم به رؤيته في مجمل الخطب و الوصايا ولا يعني ذلك إهمال الأحاديث النبوية الشريفة فكما يظهر الجدول اتكأ عليها سبع مرات و لتوكيد رؤيته و فكرته التي يسعى إلى إيصالها لجمهور المخاطبين بينما انحسر التضمين كما يظهر الجدول السابق في نص شعري واحد للطُفيل الغنوي.

(1) الشعر والشعراء، لابن قتيبة "275"،

2. أن الصديق عندما كان يقتبس من القرآن الكريم كان إما أن يأخذ الآية كاملة أو جزاً منها (أي بعض الكلمات من الآية).

3. إن الخليفة أبا بكر الصديق رضي الله عنه حرص في كل اقتباساته من القرآن و الأحاديث أن تكون باللفظ لقناعته بأن تغيير اللفظ قد يحرف المعنى الذي تحمله هذه الألفاظ و من ثم تضعف الحجة و الدليل.

4. إن معظم الاقتباسات و كذلك التضمينات قد تماهت مع خطب و وصايا أبي بكر و ما يدعو إليه فلم يأتي بنص قرائي أو نص نبوي شريف أو شعري لمعارضته و الاختلاف معه بل جاء به ليعضد فكرته و رؤيته التي يسعى إلى إيصالها إلى جمهور المخاطبين.

5. و نلاحظ ان أبا بكر الصديق قد اقتبس من القرآن الكريم الآيات المكية التي بلغ عددها أربعَ عشرة آية بينما بلغ عدد الآيات المدنية تسعَ عشرة آية وكانت نسبة الآيات المدنية التي تدل على العبادات أكثر من الآيات المكية التي تدل على العقيدة.

6. استحضار قصص للعديد من الشخصيات الدينية من خلال تلك الاقتباسات ومنها قصة سيدنا زكريا.

7. استحضار حادثة حنين و توزيع الغنائم فيها بحادثة توزيع الأموال التي وصلت إلى الخليفة الصديق من البحرين و تصرف الخليفة بنفس ما تصرف به الرسول صلى الله عليه وسلم.

8. اتكاء الخليفة أبو بكر الصديق في بعض خطبه على حديث نبوي شريف كامل بشكل مباشر وكذلك اتكائه على آية قرآنية كاملة.

9. انتقاء بعض الآيات القرآنية التي تدعم فكرته و من ذلك استخدام أكثر من آية في سورة واحدة كما حدث من اقتباسات من سورة الطلاق.

10. ومن الملاحظات أيضًا أن الصيغة الأسلوبية و التركيبية للآيات و الأحاديث المقتبسة قد فرضت سلطانها على صياغة الأسلوب و التراكيب عند أبي بكر.

2. الشرط:

الشَّرْطُ لغةً: إلزامُ الشيءِ، والتِزَامُهُ في البيعِ ونحوِه، كالشَّريطَةِ و جمعها: شُرُوطٌ[1].

اصطلاحًا :هو أسلوب يدلُّ على تلازم جملتين وارتباطهما بواسطة أداة تسمى أداة الشرط.

أدوات الشرط:

إن وإذا الشرطيتان:

تشترك **(إن، وإذا)** في نقل الشرط من الماضي إلى المستقبل تقول: إن جئت فأكرمني وإذا جئت فاكرمني. فالفعل "جئت" ماضٍ في ظاهره، مستقبل في معناه، و سبب قلبه من الماضي إلى الاستقبال أداة الشرط[2]، لكنهما تفترقان في شيء، وهو أن الأصل في **(إن)** ألا يكون الشرط فيها مقطوعًا بوقوعه كما تقول لصاحبك: "إن تكرمني أكرمك"، وأنت لا تقطع بأنه يكرمك.

أما الأصل في **(إذا)** أن يكون الشرط فيها مقطوعًا بوقوعه، كما تقول إذا زالت الشمسُ آتيك، ولذلك كان الحكم النادر موقعًا؛ لأن النادر غير مقطوع به في غالب الأمر، وغلب لفظ الماضي مع إذا لكونه أقرب إلى القطع بالوقوع نظرًا إلى اللفظ[3].

ومثال ذلك، قول الله تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وإن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ**﴾[4]، أتى في جانب الحسنة بلفظ إذا؛ لأن المراد بالحسنة الحسنة المطلقة التي حصولها مقطوع به، ولذلك –عرفت تعريف الجنس، وجوز السكاكي أن يكون تعريفها للعهد، وقال: وهذا أقضى لحق البلاغة، وأتى في جانب السيئة بلفظ أن؛ لأن السيئة نادرة بالنسبة إلى الحسنة المطلقة ولذلك نكرت[5].

---

(1) القاموس المحيط (ص: 673).

(2) البلاغة العربية في ثوبها الجديد(ج1 – 160).

(3) أنظر: البلاغة العربية في ثوبها الجديد (ج1 – 160) والإيضاح في علوم البلاغة (2/ 117).

(4) الأعراف: 131.

(5) الإيضاح في علوم البلاغة (2/ 117–118).

لو الشرطية:

وأما لو فهي للشرط في الماضي مع القطع بانتفاء الشرط[1] فيلزم انتفاء الجزاء كانتفاء الإكرام في قولك: لو جئتني لأكرمتك، ولذلك قيل هي لامتناع الشيء لامتناع غيره[2]، ويلزم كون جملتيها فعليتين وكون الفعل ماضيًا، فدخولها على المضارع في نحو قوله تعالى: {لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّم}، لقصد استمرار الفعل فيما مضى وقتًا فوقتا كما في قوله تعالى: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِم} بعد قوله: {إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُون}[3].

لـو أنـي أعـرف أن الحـبَّ خطيـرٌ جـدًا مـا أحببـت
لـو أنـي أعـرفُ أن البحـرَ عميـقٌ جـدًا مـا أبحـرت
لـو أنـــي أعـرفُ خاتمتـــي مـا كنـــتُ بـــدأت[4]

استخدم الشاعر هنا أداة الشرط لو فالشاعر لا يعرف خطورة الحب، و لا عمق البحر، و لا النهاية المفجعة للمحبين. لهذا الجهل أقدم فَهَوى[5].

مَنْ الشرطية:

من: اسم شرط للعاقل، تربط بين فعل الشرط، وجوابه بذات واحدة عاقلة. نحو: من يحفظ القصيدة ينل درجة.

ومنه قوله تعالى: ﴿**مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا**﴾[6].

وقوله تعالى: ﴿**مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ**﴾[7].

---

(1) أي في الواقع.

(2) لو كما يقول المبرد: "تدل على وقوع الشيء لوقوع غيره". ومعنى كون لو للشرط أنها لتعليق حصول مضمون الجزاء بحصول مضمون الشرط فرضًا.

(3) الإيضاح في علوم البلاغة (2/ 126 – 125).

(4) الشعر لنزار قباني و القصيدة عنوانها: " رسالة من تحت الماء ".

(5) البلاغة العربية في ثوبها الجديد(ج1 – 161).

(6) النساء: 85.

(7) الزلزلة: 8-7.

وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً**﴾[1].

وقد استعان الصديق في خطبه بأسلوب الشرط ليعضد من منطقه في خطبه و بالتالي يقنع المخاطبين:

و من هذه الأساليب ما ورد في خطبته في قوله[2]:

(من كان يعبدُ محمدًا فإن محمدًا قد مات و من كان يعبد الله فإن الله حيٌ لا يموت)

(من أخذ بهما عرف ومن فرق بينها أنكر)

استخدم الصديق هنا أداة الشرط (مَنْ) التي تفيد العموم فعلى الكل أن يعرف أن المعبود هو الله سبحانه و تعالى و أن رسول صلى الله عليه وسلم جاء ليبلغ الرسالة، وبعد أن انتهى من ذلك توفاه الله.

(إن رأيتموني على حق فأعينوني و إن رأيتموني على باطل فسددوني أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم)

استخدم الصديق أداة الشرط **(إن)** ولم يختر أداة الشرط **(إذا)** و إن كان يمكن أن يؤدِّي المعنى بإذا، وهذا من دقة استخدام الخليفة الصديق لأدوات العربية و ما فيها من أسرار و لطائف، لأن الأداة **(إن)** تُستعمل في الشي القليل النادر، بعكس **(إذا)** التي تكون للشيء المقطوع به، قال الخطيب القزويني "إن و إذا، فهما للشرط في الاستقبال لكنهما يفترقان في شيء، وهو أن الأصل في **(إن)** لا يكون الشرط فيها مقطوعًا بوقعه"[3] فعندما قال **(فإن رأيتموني على حق فأعينوني)** فيقتضي ظاهر الأمر أن يعبر بـ **(إذا)**، لأنها تناسب القطع بوقوع الشرط بأن أغلب ما يقوم به هو الحق و الصواب ولكنه عبر بـ **(إن)**؛ لإفادة صفة التواضع.

---

(1) الطلاق: 2-3.

(2)انظر: زهر الآداب وثمر الألباب: إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، (ج 1:ص 68).
جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (ج1 ص: 66 – 67).

(3) الإيضاح في علوم البلاغة. (2، 117).

أما قولـه **(وإن رأيتمـوني علـى باطـل فسـددوني)** جـاءت علـى ظاهرها لأنـه لا مقتضـى للعدول عن هذا الظاهر وهذا من الدلائل على بلاغة أبي بكر رضي الله عنه.

(فمن أخذ بهما عرف، ومن فرق بينهما أنكر).

استخدم الصديق هنا أداة الشرط من و ذلك لمناسبتها لمقام التخيير في أنه من يأخذ بالقرآن الكريم والسنة النبوية ويتمسك بهما، لن يضل أبدا فهما ما تركهما الرسول للمؤمنين و هما الحبل الذي بينهم وبين الله سبحانه.

و جاء الشرط في خطبة أخرى أيضًا:

- **فإن رأيتموني على حق فأعينوني.**
- **وإن رأيتموني على باطل فسددوني.**
- **أطيعوني ما أطعت الله فيكم.**
- **فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم**[1].

استخدم الصديق أداة الشرط (إن) في المثال الأول و الثاني حيث طلب منهم أن يعينوه إن كان على حق، وإن زلت قدمه، أو ضل رأيه فعليهم نُصحه وتسديده، و استخدم أسلوب الأمر في الشرط حيث جعل شرط الطاعة له هو طاعة الله، ثم عاد فاستخدم إذا التي أفادت التنبيه و التأكيد على أنه لا طاعة له إن عصى الله.

ومن ذلك ما ورد في خطبته عندما تحدث عن الملوك، من ذلك قوله:

- **(إن من الملوك من إذا ملك زهّده الله فيما في يده، ورغّبه فيما في يد غيره، وانتقصه شطر أجله، وأشرب قلبه الإشفاق)**[2].

جاء الصديق بأداة الشرط (إذا) و فعل الشرط هو (مَلَك) و جواب الشرط متعدد هنا و هي (زهده، ورغبه، وانتقصه، وأشرب).

(1) أنظر: العقد الفريد، الطبعة الأولى، 1404 هـ (ج4/ ص150)، و تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، الطبعة الثانية – 1387 هـ (ج 3، ص 210).

(2)العقد الفريد (ج 4/ص 150 –151) جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 70–71).

- **(فإذا وجبت[1] نفسه، ونضب عمره، وَضَحَا ظله[2]، حاسبه الله فأشد حسابه، وأقل عفوه)**[3].

أما في هذه العبارة فقد جاء الصديق بثلاثة أفعال للشرط و جوابين:

الأفعال هي **(وجبت نفسه، و نضب عمره، وضحا ظله)**.

الجوابين هما **(حاسبه و أقل عفوه)**.

- **{فإن كانت للباطل نزوة[4]، ولأهل الحق جولة، يعفو لها الأثر}**[5]

أما هذه العبارة فقد جاء فيها فعلين للشرط و جواب واحد:

فالأفعال هما(الجملة في **كانت للباطل نزوة** و جملة **لأهل الحق جولة)**.

أما جواب الشرط فهو(يعفو):

{فَإِنْ نَحْنُ اعْتَبَرْنَا بِهِمْ ؛ نَجَوْنَا، وَإِنِ اغْتَرَرْنَا ؛ كُنَّا مِثْلَهُمْ}[6].

استخدم الصديق أداة الشرط (إن) حيث أن من يعتبر بمن يسبقه ينجو من عذاب الله و من لا يعتبر و يغتر بالحرام فإن مصيره سيكون كمصير من سبقوه وهو النار.

{من يكذب يفجر، ومن يفجر يهلك}[7].

---

(1)مات. ووجبت الشمس: غابت، والعين غارت.

(2)مات أيضًا.

(3)العقد الفريد (ج 4/ص 150 -151) جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 70-71).

(4)وثبة.

(5)العقد الفريد (ج 4/ص 150 -151) جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 70-71).

(6) تاريخ الطبري 3: 224، 225) جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 69-70).

خطب مختارة (ص:34-35) البداية والنهاية ط إحياء التراث (6/ 334-335) خطب مختارة (ص: 34).

(7) العقد الفريد (4/ 152) جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 71-72).

الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق ط 4 (ج 4 /ص235-236).

واستخدم الصديق هنا أداة الشرط (من) فالكذب هنا مصيره الفجور و مصير الفجور الهلاك، فكل منهما شرط للآخر.

{إن شئتم أن تقولوا إنا أويناكم في ظلالنا، وشاطرناكم في أموالنا، ونصرناكم بأنفسنا: قلتم: وإن لكم من الفضل ما لا يحصيه العدد وإن طال به الأمد}[1].

استخدم الصديق أداة الشرط (إن) عندما أراد الصديق أن يتنبأ بما هو من الممكن أن تقوله الأنصار عندما يعطي الأموال للمهاجرين.

(فمن بلغها فهي حسبه، ومن عمل لله كفاه الله)[2].

استخدم الصديق هذا الأسلوب أسلوب الشرط بأداة الشرط (من) وذلك لزيادة التأثير في نفوس المجاهدين. فقد جاء بالشرطين (بلغها) و (عمل لله) لو تحققت، تحقق الجزاء، ولا شك أن هذا من الدوافع المثيرة لأن يقوم المجاهد بتحقيق هذه الأفعال لينال جزاءه الحسن الذي هو عناية ربه، وكفايته عما يهمه من دينه ودنياه و آخرته.

و من أساليب الشرط التي وردت في خطبه أيضًا:

- {إن نُصرتم فهو الفتح والغنيمة. وإن تهلكوا فهي الشهادة و الكرامة}[3].
- {فمن هلك منهم هلك شهيدًا، وما عند الله خير للأبرار، ومن عاش منهم عاش مدافعًا عن الدين}[4].

(1)"زهر الآداب(ج 1:ص 70-71).جمهرة خطب العرب ص (73-74) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (13/ 115-116)

(2) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (3/ 390)

(3)"فتوح الشام ص27".

(4) الخلفاء الراشدون مواقف و عبر: (ص 134)، و الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (107/106/3) و الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق (ص: 339)

- {فَإِذَا أَكَلْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا، وَ تَلْقَوْنَ أَقْوَامًا قَدْ فَحَصُوا أَوْسَاطِ رُءُوسِهِمْ تَرَكُوا حَوْلَهَا مِثْلَ الْعَصَائِبِ، فَاخْفِقُوهُمْ(1) بِالسُّيُوفِ خَفْقًا}[2].
- {مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا}[3].
- {فإن دخلت أرض العدو؛ فكن بعيدًا من الحملة}[4].
- و من أساليب الشرط تلك التي وردت في وصيته ليزيد بن أبي سفيان:
- {فَإِنْ أَحْسَنْتَ رَدَدْتُكَ إِلَى عَمَلِكَ وَزِدْتُكَ، وَإِنْ أَسَأْتَ عَزَلْتُكَ}.
- {وَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى جُنْدِكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمْ}.
- {وَإِذَا وَعَظْتَهُمْ فَأَوْجِزِ فَإِنَّ كَثِيرَ الْكَلَامِ يُنْسِي بَعْضُهُ بَعْضًا}.
- {وَأَصْلِحْ نَفْسَكَ يَصْلُحْ لَكَ النَّاسُ}.
- {وَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكَ رُسُلُ عَدُوِّكَ فَأَكْرِمْهُمْ، وَأَقْلِلْ لُبْثَهُمْ حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْ عَسْكَرِكَ}.
- {وَإِذَا اسْتَشَرْتَ فَاصْدُقِ الْحَدِيثَ تُصْدَقِ الْمَشُورَةَ}.
- {فَمَنْ وَجَدْتَهُ غَفَلَ عَنْ مَحْرَسِهِ فَأَحْسِنْ أَدَبَهُ وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِفْرَاطٍ}.
- {وَاجْتَنِبِ الْغُلُولَ فَإِنَّهُ يُقَرِّبُ الْفَقْرَ}[5].
- {فَإِنْ أَنْتَ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُنْ غَائِبًا أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ، وَهُوَ آتِيَكَ}.
- {وَإِنْ أَنْتَ ضَيَّعْتَ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُنْ غَائِبًا أَبْغَضُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ، وَلَسْتَ بِمُعْجِزِهِ}[6].

وإذا كان استخدام الصديق للشرط في خطبه و وصاياه علامة على التسلسل المنطقي، فإنه عمد كذلك إلى تسلسل وتوالي العبارات تسلسلًا يوحي بترابطها و من ذلك قوله:

---

(1)خفقه: ضربه بشيء عريض.

(2)"تاريخ الطبري 3/ 226-227، والكامل لابن الأثير 2: 162". كنز العمال (10/ 579-580)

(3).تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (3/ 390)

(4)"العقد الفريد 1: 40".

(5) الكامل في التاريخ (2/ 249-250)

(6) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 36-37) صفة الصفوة (1/ 100) البيان والتبيين (2/ 31) العقد الفريد (3/ 91)

{أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وأشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الدين كما شرع، وأن الحديث كما حدث، وأن القول كما قال، وأن الله هو الحق المبين}.

قال الصديق هذه العبارات عند وفاة الرسول وحتى يستطيع الصديق إخبار الناس بهذه الفاجعة كان لابد من التقديم للموضوع بأسلوب منطقي يجلب الناس و يهدأ من روعهم و يعيد النفوس إلى إيمانها ويقلل توترهم حتى يذهب إلى مغزاه من الخطبة وصميم الحديث ألا وهو وفاته صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه أصبح لديهم استعدادا ليقبلوا بالأمر الواقع.

{وَأَنْتُمْ تَغْدُونَ وَتَرُوحُونَ فِي أَجَلٍ قَدْ غُيِّبَ عَنْكُمْ عِلْمُهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلا يَمْضِيَ هَذَا الأَجَلُ إلا وَأَنْتُمْ فِي عَمَلٍ صَالِحٍ فَافْعَلُوا، وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ إلا بِاللَّهِ، فَسَابِقُوا فِي مَهَلٍ آجَالَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُسْلِمَكُمْ آجَالُكُمْ إِلَى انْقِطَاعِ الأَعْمَالِ، فَإِنَّ قَوْمًا نَسَوْا آجَالَهُمْ، وَجَعَلُوا أَعْمَالَهُمْ لِغَيْرِهِمْ، فَإِيَّاكُمْ أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ الْجَدَّ الْجَدَّ! وَالْوَحَا[1] الْوَحَا وَالنَّجَاءَ[2] النَّجَاءَ! فَإِنَّ وَرَاءَكُمْ طَالِبًا حَثِيثًا[3]، أَجَلا مَرُّهُ سَرِيعٌ احْذَرُوا الْمَوْتَ، وَاعْتَبِرُوا بِالآبَاءِ وَالأَبْنَاءِ وَالإِخْوَانِ، وَلا تَغْبِطُوا[4] الأَحْيَاءَ إلا بِمَا تَغْبِطُونَ بِهِ الأَمْوَاتِ}[5].

في هذه الفقرة ترابط بين الجمل في هذه الفقرة و الجمل قبلها برابط قويو هو التسلسل المنطقي في الحديث عن الأجل الموت حيث بدأ بتذكيرهم باليوم الآخر لكثرة غفلة الناس عنه، و لا يعملون لهذا اليوم، كأنهم ينكرون وقوعه فالطالب الحثيث هو الموت، الذي سيأتي لا محالة، فالصديق هنا يطلب من الناس بأسلوب جميل أن يعدوا أنفسهم ليوم لقاء وجهه الكريم.

---

(1)العجلة والإسراع، وحى وتوحى: أسرع، ووحاه، عجله.

(2)الإسراع أيضًا.

(3)سريعًا.

(4)غبطه: تمنى مثل حاله من غير أن يريد زوال نعمته عنه.

(5)أنظر: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، الطبعة الثانية – 1387 هـ (ج 3:ص 224) و جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 67–68) و البداية و النهاية (6/ 307) و الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين: الطبعة الرابعة 1406هـ،1986م (ج4– ص 232،233)

هذا بالإضافة إلى أنه قد قسم خطبه إلى فقرات متسلسلة مترابطة و قد تجلى ذلك في بعض خطبه منها:

1. خطبة البيعة في السقيفة، حيث قسم الخطبة إلى ثلاث فقرات:

حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "أيها الناس: نحن المهاجرون، أول الناس إسلامًا، وأكرمهم أحسابًا، وأوسطهم دارًا، وأحسنهم وجوهًا، وأكثر الناس ولادة في العرب، وأمسهم رحمًا برسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلمنا قبلكم، وقدمنا في القرآن عليكم؛ فقال تبارك وتعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ**﴾[1] فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار. إخواننا في الدين. وشركاؤنا في الفيء[2]، وأنصارنا على العدو، آويتم وواسيتم، فجزاكم الله خيرًا، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء، لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش؛ فلا تنفسوا[3] على إخوانكم ما منحهم الله من فضله"[4].

عندما بدأ **الفقرة الأولى** تحدث فيها عن فضل المهاجرين وسابقتهم بالإسلام و ما يتصفون به من سماحة وجود وكثرة العدد وحبهم للرسول صلى الله عليه وسلم.

ثم في **الفقرة الثانية** ذكر الأنصار، وذكر أوصافهم بأنهم الأخوة في الدين و الشركاء في الغنيمة، و**الفقرة الأخيرة** ليجمع شمل المهاجرين والأنصار بعد ما حل بينهم من خلاف.

فهذه كانت من الأساليب الجميلة بأن يقسم خطبته ليكون هناك فهم و تقريب الفكرة للسامعين.

فبترتيب الأفكار و تنسيق الحجج أصاب بذلك المحز و بلوغ الهدف باستخدام الألفاظ الصحيحة و الأساليب المستقيمة البليغة الصحيحة.

---

(1) التوبة: 100.

(2)الغنيمة والخراج.

(3)نفس عليه بخير "كفرح" حسبه، ونفس عليه الشيء نفاسة لم يره أهلًا له.

(4) أنظر: عيون الأخبار . (ج2/ ص254) و البيان والتبيين (ج3/ص 199)

2. التقسيم في خطبة الصديق "أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَنْ تُثْنُوا عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَأَنْ تَخْلِطُوا الرَّغْبَةَ بِالرَّهْبَةِ، وَتَجْمَعُوا الإِلْحَافَ بِالْمَسْأَلَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَثْنَى عَلَى زَكَرِيَّا وَأَهْلِ بَيْتِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[1] ثُمَّ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِ ارْتَهَنَ بِحَقِّهِ أَنْفُسَكُمْ، وَأَخَذَ عَلَى ذَلِكَ مَوَاثِيقَكُمْ، وَعوضكم بالْقَلِيلَ الْفَانِي الْكَثِيرِ الْبَاقِي، وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ فِيكُمْ لا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلا يُطْفَأُ نُورُهُ، فَثِقُوا بِقَوْلِهِ، وَانتصِحُوا[2] كِتَابَهُ، وَاسْتَبْصِرُوا مِنْهُ لِيَوْمِ الظُّلْمَةِ، فَإِنَّه خلقكم لِلْعِبَادَةِ، وَوُكِّلَ بِكُمُ الْكِرَامُ الْكَاتِبُونَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ"[3].

قسمت هذه الخطبة إلى جزأين على النحو الآتي:

فالفقرة الأولى كانت تتحدث عن بعض الوصايا المهمة وهي أربع وصايا، تقوى الله، والثناء عليه، ومراعاة الخوف والرجاء، والدعاء و الابتهال.

أما الفقرة الثانية فهي امتداد وتسلسل للفكرة السابقة، وذلك أن ثناء الله سبحانه وتعالى وشكره واجب على عباده، لأنه أنعم عليهم بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى.

إن هذا التسلسل في أجزاء هذه الخطبة وغيرها يعد من أهم مقومات الخطبة الناجحة في خطب الصديق رضي الله عنه، حتى لا يشتت أذهان السامعين ويذهب بنشاطهم.

ومما ساعد أيضًا في شد الانتباه هنا وإقناع الحضور الانتقال من الفكرة الأولى إلى الفكر الثانية بأداة حرف عطف (ثُمَّ)، وأعقبها بأمر (اعلموا) ثم مناداتهم وهم قريبون منه (عباد الله) مع حذف أداة النداء المشعرة بعدم الفصل بينه وبينهم، كل هذه الأساليب تهز في النفوس وتؤثر فيها و تثير الانتباه وتدل على قوة الخطيب.

3. التقسيم في خطبة الصديق عندما قال: "ألا إن لكل أمر جوامع، فمن بلغها فهي حسبه، ومن عمل لله كفاه الله، عليكم بالجد والقصد، فإن القصد أبلغ؛ ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له، ولا أجر لمن لا حسبة له، ولا عمل لمن لا نية له؛ ألا وإن في كتاب الله من الثواب على

(1) الأنبياء: 90.

(2)انتصح فلان: قبل النصيحة، يقال: انتصحني فإني لك ناصح.

(3)"العقد الفريد (4/ 152-153)جمهرة خطب العرب ص (72-73) عيون الأخبار (2/ 252).

الجهاد في سبيل الله، كما ينبغي للمسلم أن يحب أن يخص به، هي التجارة التي دل الله عليها، ونجى بها من الخزي، وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة"[1].

فقسم الصديق خطبته إلى ثلاث فقرات:

فالفقرة الأولى تحدثت عن التنبيه و الإرشاد على ما يجب أن يستشعره المجاهد وهو الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله.

أما الفقرة الثانية فتحدثت ثلاث جمل متناسقة، "أولًا أنه لا دين لأحد لا إيمان له، ولا أجر لمن لا حسبه له، ولا عمل لمن لا نية له".

وهذه الجمل تتضمن معانٍ وهي الإيمان و الاحتساب و النية.

وكانت **الفقرة الأخيرة** تدل على الرغبة في نيل الشهادة و الحصول على الأجر الذي لا مثيل له وربح التجارة التي طرحها الله لعباده وهي الجنة مقابل الجهاد.

هكذا نرى أفكار الخطبة متسلسلة في فقراتها تحث على الجهاد و أن يكون الجهاد خالصًا لله لا يبتغى من ورائه حط من حطام الدنيا.

ومن الجميل في بلاغة الصديق أنه أبدع في استخدام الارتباط المنطقي في استخدام الجملة الفعلية و الاسمية وراوح في استخدامها حسب ما يقتضيه الموقف مثلا استخدم الفعل المضارع (أشهد) جملة فعلية وذلك لتجديد الاعتقاد و تجديد الإيمان و تثبيته وذلك لأن الجملة الفعلية تفيد التجديد و الحدوث وهكذا الإيمان يتجدد يزيد وينقص.

واستخدام الأسماء لتدل على الثبات في الخطبة الأولى (الدين، الحديث، القول، الحق، المبين) وهي ألفاظ رقيقة تدل على الحزن و الأسى و الألم في القلوب.

استخدم الصديق الجملة (أيها الناس) فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم التي بدأ بها بموضوع خطبته وهذه الجملة كانت لها الأثر و الوقع الكبير في النفوس فكان لها الأثر في اطمئنان الناس ومقابلة الصديق بالحنان و التقدير و التبجيل.

(1) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (3/ 390)

(الحمد لله – أحمده) استخدم الصديق هاتين اللفظتين في خطبة واحدة مرة بصيغة الجملة الاسمية ومرة بصيغة الجملة الفعلية وكان هذا الاستخدام في قمة الروعة لأنه أراد أن يجمع ما في الجملة الإسمية و الجملة الفعلية من معاني. فالجملة الإسمية (الحمد لله) تفيد الثبوت، والدوام، والاستمرار في الحمد و الشكر و الطاعة ثم صاغ نفس اللفظ بصيغة أخرى وهي الفعلية (أحمده) وهو ما يفيد التجدد والحدوث وهذ ما فيه من البلاغة في الجمع بين الأسلوبين لأن حمد الله سبحانه و تعالى و الثناء عليه في كل حال دائمة ومتجددة.

إن طبيعة الدلالة اللفظية للاسم و الفعل هي أن الاسم هو الذي دل على ذات أو معنى، والذات ثابتة ومستقرة، أما الفعل فهو الذي يدل على حدث مرتبط بزمن معين، فهو متغير غير ثابت لاقترانه بزمانٍ معين فوضع الاسم هنا يدل على الثبوت و الدوام و التأكيد، أما وضع الفعل يدل على التجدد و الحدوث.

فالفرق بين الاسم والفعل هو في الإثبات، وهو فرق لطيف تُمسّ الحاجة إليه في علم البلاغة. وبيانه أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدّده شيئا بعد شيء. وأما الفعل فموضوعه على أنّه يقتضي تجدّد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء. فإذا قلت: «زيد منطلق»، فقد أثبتّ الانطلاق فعلا له، من غير أن تجعله يتجدّد ويحدث منه شيئا فشيئا، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: «زيد طويل»، و «عمرو قصير»: فكما لا تقصد هاهنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدّد ويحدث، بل توجبهما وتثبتهما فقط، وتقضي بوجودهما على الإطلاق، كذلك لا تتعرض في قولك: «زيد منطلق "لأكثر من إثباته لزيد. وأما الفعل، فإنه يقصد فيه إلى ذلك. فإذا قلت: «زيد ها هو ذا ينطلق»، فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءا فجزءا، وجعلته يزاوله ويزجّيه[1].

(أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الإلحاف بالمسألة).

(1) دلائل الإعجاز ت هنداوي (ص: 117– 118)

استخدم الصديق هذا الأسلوب الخبري المتمثل في الجملة الفعلية التي تفيد التجدد و الاستمرار في الأعمال ومعاهدتها، فعلى الإنسان الاستمرار على هذه الأعمال (التقوى، الثناء، الرغبة و الرهبة) وعليه محاسبة نفسه وتجديد توبته، وتعاهد صلاح نيته بين الفينة و الأخرى.

فكان استخدام الصديق هنا للجملة الفعلية أنجع فلو استخدم الجملة الاسمية لأفادت الثبوت والدوام و هذا الأمر لا يمكن أن يستمر عليه الإنسان فالإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي فناسب ذلك استخدام الجملة الفعلية في هذا المقام بدلًا من الجملة الاسمية.

(وهذا كتاب الله فيكم) استخدم الصديق هنا الجملة الاسمية التي تفيد الدوام و الاستمرار وهذا مناسب في هذا المقام، لأن كتاب الله موجود فينا ليل نهار وصباح مساء، فهو موجود معنا.

(فهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه ولا يطفأ نوره) فعجائب هذا الكتاب لا تنقضي و أنواره لا تنطفئ.

(هي التجارة التي دل الله عليها) هذه الجملة جاءت جملة اسمية مصدرة بضمير منفصل وذلك ليفيد أن التجارة التي ذكرها سبحانه وتعالى في القرآن هي خاصة و مقصورة على الجهاد في سبيل الله وذلك لأن الجملة الاسمية تعني الاستمرار و الثبات في دوام التجارة ومواصلة الأرباح دون انقطاع بخلاف التجارات الأخرى.

وفي ختام هذا المبحث ترى الباحثة أن الصديق استخدم لأجل تحقيق التسلسل المنطقي في خطبه من الوسائل الشيء الكثير، منه الشرط، و تسلسل العبارات، و تقسيم الخطبة، و هذا التسلسل المنطقي استثمره في الإقناع و التأثير و مما زاد من قوة هذا التأثير كما ترى الباحثة أن الصديق قد أحدث هذا كله على إيقاعات نغمية من خلال بناء الشرط على المقابلة و عبر التسلسل الإيقاعي للعبارات و كذلك تقسيم و تنغيم الخطبة من خلال تقسيمها إلى أجزاء مترابطة و في ذات الوقت متتابعة نغميًا ودلاليًا.

3. التوكيد:

هو أسلوب يقوي الكلام في نفس سامعه، وله أحوال تقتضيه إذا خلا الكلام فيها من توكيد كان إخلالًا ببلاغته، وأحيانًا إخلالًا بصحته. وأساليبه متعددة كالتكرار والقسم وإضافة أدوات التوكيد مثل "إن وأنّ، ولكن ولام الابتداء" في الأسماء و"قد واللام ونوني التوكيد" في الأفعال[1].

وهو أسلوبٌ لغويٌّ تُستعملُ فيه ألفاظٌ مخصوصةٌ من أَجلِ تثبيتِ معنىَ معينٍ في نفس السامع أو القارئ، وإزالةِ ما يساورهُ من شكوكٍ حَوَلهُ.

فهو من أساليب اللغة العربية التي يراد به تقوية الكلام أو رفع الشك وترسيخ المعنى في ذهن المخاطب، أو إزالة احتمال عدم إرادة هذا المعنى. وعلامته صحة حذفه من الجملة دائمًا.

فالأصل في الكلام أن يخلو الأسلوب الخبري من أدوات التأكيد، حيث يعرض على المخاطَب عرضًا أوليًّا و لكن إذا بدا على المخاطب الشك و عدم التصديق لا بد من توكيد الكلام له، فتوكيد الكلام على أضراب ثلاثة.

أضرب الخبر:

تختلف صور الخبر في أساليب اللغة باختلاف أحوال المخاطب الذي يعتريه ثلاث حالات هي:

أ. أن يكون المخاطب خالي الذهن من الخبر، غير متردّد فيه، ولا منكر له.

في هذه الحالة يلقى إليه الخبر خاليا من أدوات التوكيد، لعدم الحاجة إليه. ويسمّى هذا الضرب من الخبر **ابتدائيًا**.

يلجأ إليه حين يكون المخاطب خالي الذهن من مدلول الخبر.

(1) الموجز في قواعد اللغة العربية (ص: 46)

ومثاله ما ورد في كتاب معاوية لأحد عمّاله: لا ينبغي لنا أن نسيس النّاس سياسة واحدة، لا نلين جميعا فيمرح الناس في المعصية، ولا نشتدّ جميعا فنحمل الناس على المهالك، ولكن تكون أنت للشدّة والغلظة، وأكون أنا للرأفة والرحمة[1].

والخبر في هذه الجمل خال من التوكيد لأن المخاطب خالي الذهن من مضمون الخبر ولذلك لم ير المتكلم حاجة إلى توكيد الحكم له.

ب. أن يكون المخاطب متردّدا في الخبر، طالبا الوصول إلى اليقين في معرفته.

في هذه الحالة يستحسن توكيد الكلام ليتمكّن من نفس المخاطب، ويطرح الخلاف والتردّد وراء ظهره. ويسمّى هذا الضرب من الخبر **طلبيّا** ويتضمّن وسيلة توكيد واحدة[2].

مثاله قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ**﴾[3]، أكّد الخبر بأداة واحدة هي (إنّ).

وكقول أحدهم: إنّه قد نجح المجتهدون.

فالمخاطب يشك بصحة الخبر لذلك ألقي إليه الخبر مؤكّدا ب (إنّ) وب (قد).

ج. أن يكون المخاطب منكرا للخبر، معتقدا خلافه.

في هذه الحال يجب أن يؤكّد الخبر بمؤكّد أو أكثر على حسب إنكاره قوّة وضعفا. ويسمّى هذا الضرب **إنكاريا** ويتضمّن اكثر من وسيلة توكيد واحدة.

ومثاله قول أبي العبّاس السفّاح: «لأعملنّ اللّين حتّى لا ينفع إلّا الشدّة، ولأكرمنّ الخاصّة ما أمنتهم على العامّة، ولأغمدنّ سيفي حتّى يسلّه الحق، ولأعطينّ حتّى لا أرى للعطيّة موضعا».

(1) علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني» (ص: 276)
(2) السابق: (ص: 277)
(3) النحل: 90.

فالمخاطبون منكرون للحكم، رافضون القبول به، لذلك لجأ أبو العبّاس إلى استخدام وسائل التقوية والتوكيد ليدفع الشك عن نفوس المخاطبين، ويدعوهم إلى التسليم. لقد لجأ إلى لام القسم ونون التوكيد الثقيلة والنّفي بعده حصر ب **(إلّا)**[1].

وقد يكون التوكيد **لتحقيق الوعد** كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّـهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [2]، وقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**﴾ [3]، وقوله: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّـهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾ [4]، ومثله كثير جدًّا، ومقام الوعد من مقامات التوكيد لتزداد النفوس به يقينا واطمئنانًا، ومثله مقام الوعيد كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ**﴾ [5][6].

وقد يكون التوكيد **للإشارة** إلى أن الذي كان لم يكن على وفق ظن المتكلم، فكأن نفس المتكلم تنكره فيؤكده لها، ومثاله قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ**﴾ [7]، قال عبد القاهر: قد تدخل كلمة إن للدلالة على أن الظن كان من المتكلم في الذي كان أنه لا يكون، كقولك للشيء وهو بمرأى، ومسمع من المخاطب: إنه كان من الأمر ما ترى وأحسنت إلى فلان، ثم إنه فعل جزائي ما ترى، وعليه: ﴿**رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى**﴾ [8]،﴿**رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ**﴾ [9].

وقد يكون التوكيد **لغرابة الخبر**، وحرص المتكلم على أن يؤنس به نفس المخاطب، وإن كانت لا تنكره، وإنما هي في حاجة إلى ما يهيئها لقبوله، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ**

(1) السابق: (ص: 277)
(2) الحج: 38.
(3) الأنبياء: 101.
(4) الحج: 39.
(5) الأنبياء: 98.
(6) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني (ص: 97)
(7) الشعراء: 117.
(8) آل عمران: 36.
(9) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني (ص: 97 –98)

الْعَالَمِينَ ﴾ [1]، فقد أكد أني أنا الله رب العالمين ليؤنس نفس موسى عليه السلام بالخبر، ويحبط ما عساه يعلق بالنفس في مثل هذا الموقف، فقد انطلق عليه السلام ليأتي أهله بخبر، أو جذوة من النار لعلهم يصطلون، وبينما هو ذاهب إلى هذا الغرض، فاجأه نداء الحق سبحانه من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة، وهذا موقف غريب فاحتاج إلى التوكيد، ومثله قوله تعالى يخاطب موسى عليه السلام لما رأى أفاعيل السحرة، وأوجس في نفسه خيفة قال له الحق: ﴿ **لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى** ﴾ [2]، فأكد قوله: ﴿ **إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى** ﴾ بجملة من التوكيدات كما قال البلاغيون، ليزل وحشة نفسه في هذا المقام، وإن كان موسى عليه السلام مستوثق اليقين من وعد ربه[3].

وقد يكون **التوكيد إظهارًا لمعتقد النفس**، وإبرازًا له لتزداد النفس يقينا به؛ لأن مقامها يقتضي ذلك ومثله قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾[4]، فإن المصيبة قد تقلق النفس وتهز اليقين، وعندئذ تلوذ نفس المؤمن بكينونتها لله ورجعتها إليه، فتعلن ذلك وتؤكده لتثبت في مواجهة الشدة[5].

وقد يأتي التوكيد في الجمل التي كأنها نتائج لمقدمات، فيلفت التوكيد إلى هذه الجمل، وكأنها هي المقصودة الأهم وموضع العناية.

---

(1) القصص: 30.

(2) طه: 68.

(3) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني (ص: 98)

(4) البقرة: 156.

(5) خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني (ص: 98)

مؤكدات الخبر:

لتوكيد الخبر ألفاظ عديدة أهمّها:

الأدوات التي يؤكد بها الخبر كثيرة منها: **إنّ، أنْ، ولام الابتداء، وأمّا الشرطية، والسين، وقد، وضمير الفصل، والقسم، ونونا التوكيد، والحروف الزائدة، وأحرف التنبيه.** وفيما يلي تفصيل وتوضيح لهذه الأدوات:

1. «**إنّ**» مكسورة الهمزة مشددة النون، وهذه هي التي تنصب الاسم وترفع الخبر، ووظيفتها أو فائدتها التأكيد لمضمون الجملة أو الخبر، فإن قول القائل: «إنَّ الحياة جهاد "ناب مناب تكرير الجملة مرتين، إلّا أن قولك: «إن الحياة جهاد "أوجز من قولك: «الحياة جهاد، الحياة جهاد" مع حصول الغرض من التأكيد. فإن أدخلت اللام وقلت «إن الحياة لجهاد" ازداد معنى التأكيد، وكأنه بمنزلة تكرار الجملة ثلاث مرات. وهذا الإيجاز أو الاقتصاد في ألفاظ الجملة مع حصول الغرض من التوكيد هو الذي يعطي مثل هذه الجملة قيمتها البلاغية، على أساس أن البلاغة هي الإيجاز[1].

ومن أمثلتها من القرآن الكريم قوله تعالى: إِنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ* وإِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كانُوا إِخْوانَ الشَّياطِينِ، وإِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا، ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا، ثُمَّ ازْدادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّـهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ.

2. «**لام الابتداء**»: وفائدتها توكيد مضمون الحكم، وتدخل على المبتدأ، نحو: لأنت خير من عرفت، كما تدخل على خبر «إن نحو قوله تعالى: إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعاءِ، وعلى المضارع الواقع خبرًا لأن لشبهه بالاسم نحو قوله تعالى: وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ، وعلى شبه الجملة نحو: وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ[2].

3. «**أما الشرطية**»، المفتوحة الهمزة المشددة الميم: وهي حرف شرط وتفصيل وتوكيد، نحو قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ما بَعُوضَةً فَما فَوْقَها، فَأَمَّا الَّذِينَ**

(1) علم المعاني (ص: 55).
(2) السابق (ص: 56).

آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ، وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ ماذا أَرادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلًا﴾، وفائدة «**أما**» في الكلام أنها تعطيه فضل توكيد وتقوية للحكم[1].

4. «**السين**»: وهي حرف يختص بالمضارع ويخلصه للاستقبال، والسين إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقع لا محالة، ووجه ذلك أنها تفيد الوعد أو الوعيد بحصول الفعل، فدخولها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتض لتوكيده وتثبيت معناه. فهي في مثل قوله تعالى: **(أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ)** مفيدة وجود الرحمة لا محالة، ولذلك فهي تؤكد هنا حصول فعل الوعد[2].

5. «**قد**»: التي للتحقيق، نحو قوله تعالى: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ، فهي في مثل هذه الجملة تفيد توكيد مضمونها؛ أي أن فلاح المؤمنين الخاشعين في صلاتهم حق ولا محالة حاصل[3].

6. «**ضمير الفصل**»: وهو عادة ضمير رفع منفصل، ويؤتى به للفصل بين الخبر والصفة، نحو «محمد هو النبي» فلو لم نأت بالضمير «هو وقلنا «محمد النبي» لاحتمل أن يكون «النبي» خبرا عن محمد، وأن يكون صفة له، فلما أتينا بضمير الفصل «هو تعين أن يكون «النبي» خبرا عن المبتدأ وليس صفة له. فضمير الفصل على هذا الأساس يزيل الاحتمال والإبهام من الجملة التي يدخل عليها، وبالتالي يفيد ضربا من التأكيد. ولهذا عدّ من أدوات توكيد الخبر[4].

7. «**القسم**»: وأحرفه «الباء، والواو، والتاء»، و «الباء هي الأصل في أحرف القسم لدخولها على كل مقسم به، سواء أكان اسما ظاهرا أو ضميرا، نحو: أقسم بالله، وأقسم بك.

---

(1) السابق (ص: 56).
(2) السابق (ص: 56).
(3) علم المعاني (ص: 57).
(4) السابق (ص: 58).

و«**الواو** تختص بالدخول على الاسم الظاهر دون الضمير، نحو: «أقسم والله»، أما «**التاء** فتختص بالدخول على اسم الله تعالى فقط، كقوله تعالى: (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ).

فالقسم فيه ضرب من التأكيد، لأن فيه إشعارا من جانب المقسم بأن ما يقسم عليه هو أمر مؤكد عنده لا شك فيه[1].

8. «**نونا التوكيد**»: وهما نون التوكيد الثقيلة، أي المشددة، ونون التوكيد الخفيفة، أي غير المشددة، وهما يدخلان على المضارع بشروط وعلى الأمر جوازا، وقد اجتمعا في قوله حكاية على لسان امرأة عزيز مصر في قصة يوسف: ﴿**وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ ما آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾ [2].

9. «**الحروف الزائدة**»: وهي «إن المكسورة الهمزة الساكنة النون، و «أن المفتوحة الهمزة الساكنة النون، و «ما»، و «لا»، و «من و «الباء»، الجارتان. وليس معنى زيادة هذه الحروف أنها قد تدخل لغير معنى البتة، بل زيادتها لضرب من التأكيد[3].

ومن المؤكدات التي استخدمها الصديق:

كان استخدام أسلوب التوكيد عند الصديق بشكل كبير وواضح في خطبه و كانت أكثر أدوات التوكيد عنده هي "**إنَّ، أنَّ**" ومن ذلك خطبته عند وفاة الرسول صلى الله عليه و سلم استخدم الصديق أداة التوكيد (**إنَّ**) أكثر من سبع مرات بل إن التوكيد كان تقريبًا متصدرًا في كل جملة فيها، فقال رضي الله عنه: {**أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وأشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الدين كما شرع، وأن الحديث كما حدث، وأن القول كما قال، وأن الله هو الحق المبين... وإن الله قد تقدم إليكم في أمره؛... وإن**

(1) السابق (ص: 58).
(2) السابق (ص: 58).
(3) علم المعاني (ص: 58).

الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم،... ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم، ولا يفتننكم عن دينكم؛ فعاجلوه بالذي تعجزونه، ولا تستنظروه فيلحق بكم}[1].

استخدم أداة التوكيد (إنَّ و أنَّ) في هذه الفقرة و نون النسوة الثقيلة **{لا يشغلنَّكم} {لا يفتننَّكم} {إني قد وليت عليكم ولست بخيركم} {إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له}**[2].

أضاف الصديق ياء المتكلم إلى أداة التوكيد (إنَّ) و ذلك دلالة على أن الأمر منبعث من قبله أو أنه موقن بما يقول **{إني وليت عليكم}** فإن كان الخطيب قريب من السامعين و مؤمنًا و مقتنعًا بما يقول يكون لكلامه أثر بالغ في القلوب لأن ما خرج من القلب، في القلب يقع فكان للفظ **(إنِّي)** وقع جميل هنا لإثارة العواطف، و ملامستها قلوب الخطيب و سامعيه.

(إن أقواكم عندي الضعيف حتى أخذ الحق له، و أضعفكم عندي القوي حتى أخذ الحق منه).

هنا جاء بالتوكيد ليفيد إثارة الانفعال ويوقظ الحس ويفيد التوكيد هنا القرب النفسي بين الخطيب ومستمعيه، فهو الخليفة العادل، لا يعرف القوي ولا الضعيف، فالكل عنده سواسية كأسنان المشط، وأنه يسلك سبيل الحزم في رد الحقوق لأصحابها، لا يخاف في الحق لومة لائم.

وذلك أيضًا في خطبته:

{إِنَّمَا أَنَا مِثْلُكُمْ، وَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلَّكُمْ سَتُكَلِّفُونَنِي مَا كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه و سلم يُطِيقُ... إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ وَعَصَمَهُ مِنَ الآفَاتِ... وإن رسول الله

(1)زهر الآداب وثمر الألباب، الطبعة الرابعة(ج 1:ص 68) و جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (ج1 ص: 66 – 67) و تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، الطبعة: الأولى، 1407هـ – 1987م(ص: 489).

(2)"العقد الفريد: الطبعة الأولى، 1404 هـ (ج4/ ص150)، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، الطبعة الثانية – 1387 هـ (ج 3، ص 210)، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (ج1–ص67).

صلى الله عليه و سلم قُبِضَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَطْلُبُهُ بمظلمة... فَإِنَّ وَرَاءَكُمْ طَالِبًا حَثِيثًا}[1].

فالأسلوب هنا توكيد مؤكد بأداة (**إن**) التي أفادت التقوية والتأكيد في معنى هذه الجمل. فقال الزمخشري "**إنَّ و أنَّ**" هما تؤكدان مضمون الجملة وتحققانه"[2].

فهذه الجمل أفادت التوكيد على معناها، مع إفادتها الإيجاز:

(إن الله اصطفى محمداً على العالمين) هنا أكد الصديق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مصطفى من عند الله لمقام النبوة فمن جاء بعده لا يمكن أن يحل محله ولذلك قد يحصل منه بعض الأخطاء وعليهم النصح له، فأكد الصديق ذلك لأنه في بداية خلافته والناس ستقارنه بالرسول صلى الله عليه وسلم.

(إن رسول الله قد قبض) هنا توكيد لوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه بشر قد كتب الله الوفاه لكل نفس فلا غرابة أن ينتقل الحبيب صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى.

(إن وراءكم طلبًا حثيثًا) هنا توكيد لمعنى الموت وأن كل نفس ذائقة الموت وأنهم لا ينكرونه فأراد الصديق أن يذكرهم به لكثرة غفلة الناس عنه وقلت عملهم لهذا اليوم.

{إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك... إنكم لطعانون عجلون... إن من الملوك من إذا ملك زهده الله... إن الفقراء هم المرحومون}[3].

(إن أشقى الناس في الدنيا الملوك) استهل الصديق خطبته بهذه الجملة المثيرة للانتباه والتي تدعو إلى القلق عند السامعين فأدى بهم ذلك إلى رفع رؤوسهم لمعرفة ما المقصود بذلك.

---

(1)تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، الطبعة الثانية – 1387 هـ (ج 3:ص 224) جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 67-68)، البداية و النهاية (6/ 307).
الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق: الطبعة الرابعة 1406هـ،1986م (ج4- ص 232،233).
(2) المفصل في علم اللغة للزمخشري: (ص 349).
(3)العقد الفريد (ج 4/ص 150 -151) جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 70-71).

فالتأكيد هنا جاء على غير العادة فاستخدام (أنَّ) هنا زاد الخطبة حسنًا وجمالًا وذلك لأنه ما من أحد يظن أن هناك أسعد من الملوك فالصديق في خطبته يؤكد على تعاسة الملوك وشقوتهم فمجيء (إنَّ) لتأكيد أمر مخالف للظن و إقراره في النفس و تأكيد أمر غريب على النفس لم تأنفه ولم تعتده من قبل العرب.

{إنكم لطعانون عجلون} استخدم الصديق أداة (إنَّ) ليؤكد الصديق هنا على عجلتهم في الحكم على كلام الصديق في شقاوة الملوك.

{إن من الملوك من إذا ملك زهده الله} و هنا تأكيد بـ (بأن)على وجود الملوك الفاسدين الذين يطمعون في الناس و فيما عند غيرهم.

وذلك ما ورد أيضًا في خطبته:

{إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يَقْبَلُ مِنَ الأَعْمَالِ إلا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُهُ... إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْقَى عَلَيْهِمُ التَّبِعَاتِ وَقَطَعَ عَنْهُمُ الشَّهَوَاتِ... إِنَّ اللَّهَ لا شَرِيكَ لَهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ سَبَبٌ يُعْطِيهِ بِهِ خَيْرًا... أَنَّهُ لا خَيْرَ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ}[1].

"**إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه** "استهل الصديق خطبته بهذه العبارة ليقرر المعنى الذي يريد ترسيخه في قلب المؤمنين، وهو الإخلاص في العمل.

فقد أكد على هذا المعنى بأداة التوكيد (إن) ولزيادة التأكيد استخدم أسلوبًا آخر ألا وهو أسلوب القصر و الاستثناء لزيادة التأكيد، فالتأكيد هنا بمؤكدان في جملة واحدة يدلل على جلالة أمر الإخلاص فيه النجاة في الأخرة وبه يكون الظفر بالجنة.

(1) تاريخ الطبري 3: 224، 225) جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 69-70).
خطب مختارة (ص:34-35) البداية والنهاية ط إحياء التراث (6/ 334-335) خطب مختارة (ص: 34).

وفي خطبته أيضًا:

{إنـي أوصيكم بتقوى الله العظيم في كل أمر}[1]. جاء التوكيد هنا للتوصية بتقوى الله سبحانه وتعالى.

{فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَنْ تُثْنُوا عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَأَنْ تَخْلِطُوا الرَّغْبَةَ بِالرَّهْبَةِ، وَتَجْمَعُوا الإِلْحَافَ بِالْمَسْأَلَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَثْنَى عَلَى زَكَرِيَّا وَأَهْلِ بَيْتِهِ... أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِ ارْتَهَنَ بِحَقِّهِ أَنْفُسَكُمْ... فَإِنَّه خلقكم لِلْعِبَادَةِ}[2].

يوصـي الصديق هنا بتقوى الله والثناء عليه بما هو أهل له وأكد على ضرورة الخوف والرجاء من الله فالله سبحانه أثنى على نبينا زكريا لاتصافه بهذه الصفات.

(فإنه خلقكم لعبادته، ووكل بكم الكرام الكاتبين، يعلمون ما تفعلون) أكد الصديق هنا على أهمية العبارة حيث أن الإنسان خلق للعبادة و أنه سيحاسب عليها و أن الكرام الكاتبين يكتبون ويعلمون ما يعمل الإنسان من أعمال.

فأنزل الصديق المسلمين غير المنكرين لخلقهم للعبادة منزلة المفكر لذلك مناسبة التوكيد لأن المسلم لا ينكر أن ربه سبحانه وتعالى خلقه لعبادته ولكن لغفلة الناس عن ذلك أنزلهم منزلة المنكر.

وفي خطبته أيضًا التي يقول فيها:

{إن لكل أمر جوامع، فمن بلغها فهي حسبه... فإن القصد أبلغ... إن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله}[3].

استخدم الصديق التوكيد في عبارة: **(وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد)** للدلالة على ثبوت الأجر العظيم و أنه لا ينبغي لأحد أن يتردد أو يتثاقل عن الجهاد في سبيل الله.

---

(1)"العقد الفريد (4/ 152) جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 71-72).
الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق، الطبعة الرابعة سنة 1406هـ /1986م (ج 4 /ص235-236).
(2)"العقد الفريد (4/ 152-153)جمهرة خطب العرب ص (72-73) عيون الأخبار (2/ 252).
(3) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (3/ 390).

وأيضًا في التي يقول فيها:

{إن الله تبارك وتعالى لا تحصى نعمه}[1]. هنا توكيد على كثرة نعم الله سبحانه وتعالى.

﴿فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجً... فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ مَا تَوَاصَى بِهِ عِبَادُ اللَّهِ، إِنَّكَ فِي سَبِيلٍ مِنْ سُبُلِ اللَّهِ﴾ [2].

(ثم إنكم **بعد ذلك لميتون)** تأكيد مرة أخرى على إثبات الموت وجاء التوكيد مرة أخرى مبالغة في إنكار الناس للموت وتماديهم في الغفلة و الإعراض عن العمل لما بعده.

بعض التوكيدات التي جاءت في خطبته ليزيد بن أبي سفيان:

{إِنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ لِأَبْلُوَكَ وَأُجَرِّبَكَ وَأُخَرِّجَكَ... وَإِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ تَوَلِّيًا لَهُ...، فَإِيَّاكَ وَعُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُهَا وَيُبْغِضُ أَهْلَهَا... فَإِنَّ كَثِيرَ الْكَلَامِ يُنْسِي بَعْضُهُ بَعْضًا... فَإِنَّهَا أَيْسَرُهُمَا لِقُرْبِهَا مِنَ النَّهَارِ... وَاجْتَنِبِ الْغُلُولَ فَإِنَّهُ يُقَرِّبُ الْفَقْرَ}[3].

(الْجَدَّ الْجَدَّ! وَالْوَحَا[4] **الْوَحَا وَالنَّجَاءَ**[5] **النَّجَاءَ...** [6] كلها توكيدات لفظية بمعنى الزموا.

وترى الباحثة بعد تأملها لأسلوب التوكيد الوارد في النماذج التي استشهدت بها في هذه الدراسة أن الصديق على وعي تام لقاعدة أساسية في البلاغة بل على إدراك تام لمفهوم البلاغة القائم على مراعاة مقتضى الحال، أي حال المخاطبين، و هذه المراعاة قد تجلت في تعدد

---

(1) الخلفاء الراشدون مواقف و عبر (ص 134) و الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء (107/106/3) و الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق (ص: 339)

(2).تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (3/ 390).

(3) الكامل في التاريخ (2/ 249-250).

(4)العجلة والإسراع، وحى وتوحى: أسرع، ووحاه، عجله.

(5)الإسراع أيضًا.

(6) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، الطبعة الثانية - 1387 هـ (ج 3:ص 224) جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 67-68)، البداية و النهاية (6/ 307).

الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق ، (ج4- ص 232،233).

المؤكدات، أو انفرادها في الجملة الخبرية من خطبه، فقد كان يلجأ إلى أكثر من مؤكد عندما يكون أمام أناس منكرين و يلجأ إلى مؤكد واحد عندما يكون أمام شاكين مترددين.

وكل ذلك كان يهدف من ورائه الإقناع و التأثير الأمر الذي يدلل على امتلاكه لناصية البلاغة و قبل ذلك لناصية المنطق و الحجة و الإقناع.

4. التنبيه:

ومن حروف التنبيه: **ألا، أما** (بفتح الهمزة و التخفيف):

"**ألا**": تزاد للتنبيه، و تدل عندئذ على تحقق ما بعدها، ومن هنا تأتي دلالتها على معنى التأكيد[1]، وذلك نحو قوله تعالى ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[2].

"**أما**": حرف استفتاح، وهي بمنزلة "ألا" في دلالتها على تحقق ما بعدها تأكيدًا و يكثر مجيئها بعد القسم، لتنبيه المخاطب على استماع القسم و تحقيق المقسم عليه، نحو قول أبي صخر الهذلي:

أما و الذي أبكى و أضحك و الذي أمات و أحيا و الذي أمرُهُ الأمر
لقد تركتني أحسد الوحش أن أَرَى أليفَين منها لا يروعهما النَّفرُ[3]

فقد أكثر الصديق رضي الله عنه من استخدام أداتي التنبيه **(ألا، وأما) في خطبه و ذلك لغرض التأثير في أذهان السامعين و الجدول التالي يوضح ذلك:**

(1) البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم المعاني الجزء الأول ، (ص 66).
(2) (يونس – الآية 62)
(3) البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم المعاني الجزء الأول (ص 66).

جدول رقم (6)

يبين أسلوب التنبيه في خطب الصديق و التعليق على الاستخدام و التوظيف:

الموضع	التعليق على استخدامها و توظيفها
{ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له}[1]	استخدم **(ألا)** هنا ليجذب الانتباه إلى أمر مهم و هو مبدأ العدل و المساواة و جاء بعد ألا أداة التوكيد حيث أضاف إليها توكيدًا آخر.
{ألا إن الفقـــــراء هـــــم المرحومون}[2]	دخلت ألا هنا على هذه الجملة لتثير في نفوس السامعين الرحمة و الشفقة للفقراء و المساكين، و أن الراحمين يرحمهم الله، و زاد هذا التأثير بوقوع أداة التأكيد **(إنَّ)** بعد أداة التنبيه.
{أَلا إِنَّ اللَّـهَ قَـدْ أَبْقَـى عَلَـيْهِمُ التَّبِعَـــاتِ وَقَطَـــعَ عَـــنْهُمُ الشَّهَوَاتِ}[3]	استخدم ألا للتنبيه إلى أن العمل الذي لا إخلاص فيه يكون هباءًا منثورًا
{أَلا إِنَّ اللَّـهَ لا شَـرِيكَ لَـهُ لَـيْسَ بَيْنَـهُ وَبَـيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ سَبَبٌ يُعْطِيهِ بِهِ خَيْرًا}[4]	التنبيه إلى أن الناس عند الله كلهم متساوون فلا يعطى الله فلان ويترك فلان و لكن يعطي كل منهم حسب طاعته لأن ما عند الله لا يدرك إلا بالطاعة فنبه الصديق من خلال هذه الخطبة إلى الإخلاص في العمل و أن الجنة أعدت للمخلصين
{أَمَـا أَنَّـهُ لا خَيْـرَ بِخَيْـرٍ بَعْـدَهُ النَّـارُ، وَلا شَـرَّ بِشَـرٍّ بَعْـدَهُ الْجَنَّةُ}[5]	جاءت **{أَمَا}** هنا لتفيد معنى **(ألا)** في التنبيه و التأثير في الناس و الدعوة إلى العمل لله وحده لأن الإنسان مهما بلغ من العمر و القوة فمصيره إلى الزوال و الفناء من هذه الدار و جاءت بكلام بعدها يلخص معنى مضمون الخطبة و هو الإخلاص في العمل و أن الجنة أعدت للمخلصين.

(1)أنظر: العقد الفريد، الطبعة الأولى، 1404 هـ (ج4/ ص150).
– تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، الطبعة الثانية – 1387 هـ (ج 3، ص 210)
(2)العقد الفريد (ج 4/ص 150 –151) جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 70–71)
(3) تاريخ الطبري (3: 224، 225) جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 69–70)
(4) تاريخ الطبري (3: 224، 225) جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 69–70)
(5) انظر: تاريخ الطبري 3: 224، 225) جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 69–70) و خطب مختارة (ص:34–35) البداية والنهاية ط إحياء التراث (6/ 334–335) خطب مختارة (ص: 34)

فـالأدوات **(ألا و أمـا)** تقـع فـي صـدارة الجمـل، لتفيـد أغراضًـا عـدة و معـانٍ متنوعـة كالاستفتاح و التنبيه و العرض و التخصيص و التمني و الاستفهام و غيرها[1].

واستخدمت **(ألا)** في مقام تفيد التنبيه على أهمية الإخلاص، و تفيد أيضًا التحضيض على العمل يبتغي به وجه الله سبحانه و تعالى.

فعندما تأتي ألا و أما في بداية الجملة تساهم في ربط الأفكار، و شد الانتباه، و التأثير، والتقرير، و التأكيد، فقد وضَّح الدكتور بسيوني فيود وجه إفادة تلك الحروف للتأكيد، فقال: "مما يهيأ به المخاطب و ينبهه لتلقي المعاني المهمة أدوات التنبيه مثل: ألا و أما و نحوهما، حيث يؤتى بها تنبيهًا للمخاطب عن غفلته و إيقاظًا لمشاعره و تهيئة لحواسه لكي يصغي إلى ما يأتي بعدها من معاني مهمة و يلفت إليها، فتثبت تلك المعاني لديه و تقر بداخله و يقوى حرصه على امتثالها و إجابتها[2].

فتأتي ألا هنا للتنبيه و التركيز على الكلام ذا الأهمية بعدها، و لتنبيه المخاطب بما يُحدِّث به الخطيب من كلام مفيد، و كذلك كان استخدم الصديق لـ **(ألا)** في خطبه للتنبيه و لزيادة الإثارة عندما تحدَّث عن الجهاد في سبيل الله كثير.

وترى الباحثة أن الصديق في استخدامه لأسلوب التنبيه الذي تبلور في الأداتين (ألا و أما) قد هدف كالعادة من وراء ذلك إلى إثارة أذهان السامعين و غالبًا ما كان يشد هذه الأذهان إلى قيم و عبادات و عقائد و سلوكيات تنهض بالفرد و الجماعة.

(1) مغني اللبيب: 95

(2) التشويق في الحديث النبوي (طرقه و أغراضه) 65

5. الاستفهام:

الاستفهام لغةً: هو من أصل كلمة فهم: الفهم: معرفتك الشيء بالقلب. فهمه فهما وفهما وفهامة: علمه؛ الأخيرة عن سيبويه. وفهمت الشيء: عقلته وعرفته. وفهمت فلانا وأفهمته، وتفهم الكلام: فهمه شيئا بعد شيء. ورجل فهم: سريع الفهم، ويقال: فهم وفهم. وأفهمه الأمر وفهمه إياه: جعله يفهمه. واستفهمه: سأله أن يفهمه. وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيما[1].

الاستفهام هو طلب فهم شيء لم يتقدم لك علم به، بأداة من إحدى أدواته وهي: "الهمزة وهل ومن ومتى وأيان وأين وأني وكيف وكم وأي"[2].

هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل[3].

"وهو السؤال عن حقيقة أمر أو عمل"[4].

وتنقسم بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام:

1. ما يطلب به التّصور تارة، والتّصديق تارة وهو: الهمزة.
2. ما يطلب به التصديق فقط وهو (هل).
3. ما يطلب به التصوّر فقط، ويكون ببقيّة أدوات الاستفهام[5].

---

(1) لسان العرب مادة (ف هـ م)(12/ 459)
(2)البلاغة العربية في ثوبها الجديد (ج1-80)
(3) علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني» (ص: 293)
(4) البلاغة العربية في ثوبها الجديد (ج1-80)
(5)علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني» (ص: 293-295)

الاستفهام عند الصديق:

{أَيْنَ كَانُوا أَمْسَ وَأَيْنَ هُمُ الْيَوْمَ ؟ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ وَأَيْنَ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ ذِكْرُ الْقِتَالِ وَالْغَلَبَةِ فِي مَوَاطِنِ الْحُرُوبِ ؟... هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا[1][2] **؟ أَيْنَ مَنْ تَعْرِفُونَ مِنْ أَبْنَائِكُمْ وَإِخْوَانِكُمْ؟}**[3].

يتساءل الصديق أين الأحياء الذين كانوا بيننا أين المتكبرون الذين لا يرون لأحد عليهم حقًا ؟!

وأين المنتصرون في الحروب، قد أذلهم الزمان، وقَدْ تَضَعْضَعَ بِهِمُ الدهرُ فأَصْبَحُوا فِي ظُلُماتِ القُبُور أَي أَذلّهم[4]. وصاروا رميما أي باليا[5] لا فائدة منهم و قَدْ تُرِكَتْ عَلَيْهِمِ الْقَالاتُ ونسي ذكرهم و أصبحوا كلا شيء، فاستخدم هنا "أين" للاعتبار بما حل بالسابقين من الفناء والضياع و سوء الحال، "**هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا**"

فيتساءل الصديق أيضا: أين الملوك الذين ملكوا الأرض وعمروها ؟ مجيبًا بعد ذلك إجابة وعظية يقول فيها: قد نُسوا وبعد ذكرهم وصاروا لا شيء "**أَبْقَى عَلَيْهِمُ التَّبِعَاتِ**" فالعمل الذي لا إخلاص فيه يكون هباءًا منثورًا، ثم انتقل باستفهامات متتالية عن أمور وقعت و عَرَفَها الجميع و ذلك للرجوع إلى الله الذي هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن فهو حي لا يموت و إليه المصير.

فالاستفهام من أساليب التأثير والتشويق: "فالاستفهام الذي لا يطلب منه جواب، كما في قوله: (مالكم يا معشر الناس؟ إنكم عجلون) وذلك لشدة انتباههم إلى ما سيلقى إليهم من تفصيل

---

(1) الصوت الخفي.

(2) [مريم: 98].

(3) تاريخ الطبري 3: 224، 225) جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 69-70).
خطب مختارة (ص:34-35) البداية والنهاية ط إحياء التراث (6/ 334-335) خطب مختارة (ص: 34)

(4) لسان العرب (8/ 224).

(5) المعجم الوسيط (1/ 374).

وتوضيح وتفريق بين الأمرين المتشابهين، وهما الملِكين، ملك فاسد كالدرهم القسي، وملك طيب مليء قلبه بالإيمان.

واستخدام الاستفهام للخروج إلى معانٍ بلاغية أخرى كما في:

{أَيْنَ الْوُضَّاءُ الْحَسَنَةُ وُجُوهُهُمْ، الْمُعْجَبُونَ بِشَبَابِهِمْ ؟ صَارُوا تُرَابًا وَصَارَ مَا فَرَّطُوا فِيهِ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ. أَيْنَ الَّذِينَ بَنَوْا الْمَدَائِنَ وَحَصَّنُوهَا بِالْحَوَائِطِ وَجَعَلُوا فِيهَا الأَعَاجِيبَ ؟ قَدْ تَرَكُوهَا لِمَنْ خَلْفَهُمْ، فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ خَاوِيَةً، وَهُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْقُبُورِ،"هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا[1]"؟ أَيْنَ مَنْ تَعْرِفُونَ مِنْ أَبْنَائِكُمْ وَإِخْوَانِكُمْ؟}

(تفكروا فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس ؟ وأين هم اليوم ؟ أين الجبارون ؟ وأين الذين كان لهم ذكر القتال...) (وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها ؟) (وأين الوضاء...؟) (وأين الذين بنوا المدائن...؟) (وأين من تعرفون من أبنائكم و إخوانكم؟).

هذه الاستفهامات جاءت لتستفهم عن أمورٍ وقعت ومضت، وعرفها الجميع، والصديق لا ينتظر من السامعين جوابًا؛ لأن الاستفهام خرج إلى معنى آخر وهو الاعتبار بما مضى. والغرض من ذلك الرجوع إلى الله الذي هو الأول والأخر و الظاهر والباطن، فهو حي لا يموت، وإليه المصير، وإذا كان الأمر كذلك فعلى المسلم الإخلاص في عمله وطلب رضا ربه.

استخدم الصديق أداة الاستفهام (أين) التي هي في الأصل للسؤال عن المكان إذا قيل أين زيد؟ فجوابه في الدار أو المسجد.

ولكن استخدمت في هذا المقام للتنبيه على الضلال نحو فأين تذهبون.

وذكرت (أين) للاعتبار بما حل بالسابقين من الفناء.

واستخدم أيضًا أداة هل في قوله (هل تحس منهم من أحد أو تسمع له ركزا)

(1) الصوت الخفي.

هذه العينة من استخدامات الصديق لأسلوب الاستفهام في خطبه حيث ترى الباحثة فيها قدرة الصديق على استثمار هذا الأسلوب في توصيل الحقيقة و الهدف إلى ذات المستمعين، فهو حين يسأل لا يريد جوابًا لأنه يدرك هذا الجواب، بل يفتح به خانة في عقول مستمعيه، لإدراك حقيقة الجواب و من ثم بناء السلوك على أساس هذه المعرفة.

6. القصر:

تعريف القصر:

هو أسلوب من أساليب توكيد الكلام. فإننا نؤكد الكلام بعدة مؤكدات من جملتها أسلوب القصر.

القصر في عرف اللغويين هو الحبس و الالتزام و في عرف البلاغيين: تخصيص شيء بشيء، أو تخصيص أمر بآخر بطريقٍ مخصوصة[1].

فهو تخصيص شيء بشيء، والشيء الأول هو المقصور، والشيء الثاني هو المقصور عليه.فلو قلت: (وما محمد إلا رسول) قصرت محمّدًا صلى الله عليه وسلم في الرسالة، بمعنى: أنه ليس بشاعر، ولا كاهن... فمحمد صلى الله عليه وسلم مقصور، والرسالة مقصور عليها.

إذن للقصر طرفان المقصور و المقصور عليه.

فمن فوائد أسلوب القصر أن يجعل الجملة الواحدة في مقام جملتين مع الإيجاز، ويمكن الكلام، ويقرره في الذهن، وينفي عن الفكر كل إنكار وشك.

(1) البلاغة العربية في ثوبها الجديد ج 1 علم المعاني ص162.

أنواع القصر:

القصر حقيقي، وغير حقيقي:

وكل واحد منهما ضربان: قصر الموصوف على الصفة، وقصر الصفة على الموصوف. والمراد الصفة المعنوية لا النعت.

والأول من الحقيقي كقولك: "ما زيد إلا كاتب "إذا أردت أنه لا يتصف بصفة غير الكتابة، وهذا لا يكاد يوجد في الكلام؛ لأنه ما من مقصور إلا وتكون له صفات تتعذر الإحاطة بها أو تتعسر. **والثاني منه** كثير، كقولنا:" ما في الدار إلا زيد". والفرق بينهما ظاهر؛ فإن الموصوف في الأول لا يمتنع أن يشاركه غيره في الصفة المذكورة، وفي الثاني يمتنع، وقد يقصد به المبالغة لعدم الاعتداد بغير المذكور، فينزّل منزلة المعدوم.

والأول من غير الحقيقي: تخصيص أمر بصفة دون أخرى أو مكان أخرى، والثاني منه: تخصيص صفة بأمر دون آخر أو مكان آخر، فلكل واحد منهما ضربان، والمخاطب في الأول "أعني تخصيص أمر بصفة دون أخرى, وتخصيص صفة بأمر دون آخر "من يعتقد الشركة، أي: اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة وغيرها جميعا في الأول، واتصاف ذلك الأمر وغيره جميعا بتلك الصفة في الثاني، فالمخاطب بقولنا: "ما زيد إلا كاتب "من يعتقد أن زيدا كاتب وشاعر, وبقولنا: "ما شاعر إلا زيد "من يعتقد أن زيدا شاعر، لكن يدعي أن عمرا أيضا شاعر، وهذا يسمى قصر إفراد؛ لقطعه الشركة بين الصفتين في الثبوت للموصوف، أو بين الموصوف وغيره في الاتصاف بالصفة.

والمخاطب بالثاني "أعني تخصيص أمر بصفة مكان أخرى, وتخصيص صفة بأمر مكان آخر": أما من يعتقد العكس؛ أي: اتصاف ذلك الأمر بغير تلك الصفة عوضا عنها في الأول، واتصاف غير ذلك الأمر بتلك الصفة عوضا عنه في الثاني، وهذا يسمى قصر القلب؛ لقلبه حكم السامع، وإما من تساوى الأمران عنده؛ أي: اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة واتصافه بغيرها في الأول، واتصافه بها واتصاف غيره بها في الثاني، وهذا يسمى قصر تعيين؛ فالمخاطب بقولنا: "ما زيد إلا قائم" من يعتقد أن زيدا قاعد لا قائم، أو يعلم أنه إما قاعد أو قائم

ولا يعلم أنه بماذا يتصف منهما بعينه، وبقولنا: "ما قائم إلا زيد" من يعتقد أن عمرا قائم لا زيدا، أو يعلم أن القائم أحدهما دون كل واحد منهما، لكن لا يعلم من هو منهما بعينه. وشرط قصر الموصوف على الصفة إفرادا عدم تنافي الصفتين؛ حتى تكون المنفية في قولنا: "ما زيد إلا شاعر" كونه كاتبا أو منجما أو نحو ذلك، لا كونه مفحما لا يقول الشعر؛ ليتصور اعتقاد المخاطب اجتماعهما. وشرط قصره قلبا تحقق تنافيهما؛ حتى تكون المنفية في قولنا: "ما زيد إلا قائم" كونه قاعدا أو جالسا أو نحو ذلك، لا كونه أسود أو أبيض أو نحو ذلك؛ ليكون إثباتها مشعرا بانتفاء غيرها. وقصر التعيين أعم؛ لأن اعتقاد كون الشيء موصوفا بأحد أمرين معينين على الإطلاق لا يقتضي جواز اتصافه بهما معا، ولا امتناعه، وبهذا عُلم أن كل ما يصلح أن يكون مثالا لقصر الإفراد أو قصر القلب يصلح أن يكون مثالا لقصر التعيين، من غير عكس. وقد أهمل السكاكي القصر الحقيقي، وأدخل قصر التعيين في قصر الإفراد، فلم يشترط في قصر الموصوف إفرادا عدم تنافي الصفتين، ولا في قصره قلبا تحقق تنافيهما".[1]

طرق القصر:

وللقصر طرق؛ منها:

1. **العطف بـ (لا – بل – لكن):** فإن كان العطف بلا كان المقصور عليه مقابلا لما بعدها، وإن كان العطف ببل أو لكن كان المقصور عليه ما بعدهما.(الفخر بالعلم لا المال)، ما الفخر بالنسب بل بالتقوى)

فقال الصعيدي في البغية: كقولك في قصر الموصوف على صفة إفرادا: "زيد شاعر لا كاتب"، أو" ما زيد كاتبًا بل شاعر" وقلبا: "زيد قائم لا قاعد"، أو "ما زيد قاعدا بل قائم"، وفي قصر الصفة على الموصوف إفرادًا أو قلبًا بحسب المقام: "زيد قائم لا عمرو" أو: "ما عمرو قائما بل زيد"[2].

(1) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (2/ 229)
(2) السابق (2/ 229)

2. **النفي والاستثناء:** وهو أن يأتي المقصور بعد أداة النفي، والمقصور عليه بعد أداة الاستثناء .قال تعالى: ﴿**وما محمّد إلا رسول قد خلت من قبله الرُسُل**﴾.

فقال الصعيدي في البغية: كقولك في قصر الموصوف على الصفة إفرادا: "ما زيد إلا شاعر" وقلبا: "ما زيد إلا قائم"، وتعيينا كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾.

المدعي إذا ادعى، بل أنتم عندنا كاذبون فيها. وفي قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين: "ما قائم" أو "ما من قائم" أو "لا قائم إلا زيد"[1].

3. **إنما: حيث يكون المقصور بعد إنما والمقصور عليه هو المؤخر . كقوله تعالى: (إنَّما يخشى الله من عباده العلماء).**

فقال الصعيدي في البغية ومنها: إنما؛ كقولك في قصر الموصوف على الصفة إفرادا: "إنما زيد كاتب"، وقلبا: "إنما زيد قائم"، وفي قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين: "إنما قائم زيد". والدليل على أنها تفيد القصر كونها متضمنة معنى "ما وإلا" لقول المفسرين في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ**﴾[2] بالنصب؛ معناه: ما حرم عليكم إلا الميتة، وهو المطابق لقراءة الرفع لما مر في باب: "المنطلق زيد"، ولقول النحاة: "إنما" لإثبات ما يذكر بعدها ونفي ما سواه، ولصحة انفصال الضمير معها ؛ كقولك: إنما يُضرَب أنا" كما تقول: "ما يُضرَب إلا أنا"[3].

4. **التقديم: تقديم ما حقه التأخير والمقصور هو المؤخر، والمقصور عليه هو المقدم. قال تعالى: ﴿إيّاك نعبد وإيّاك نستعين﴾. للمجتهد التفوق:**

فقال الصعيدي في البغية ومنها التقديم كقولك في قصر الموصوف على الصفة:

(1) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (2/ 229)
(2) البقرة: 173.
(3) السابق (2/ 230)

إفرادا: "شاعرٌ هو "لمن يعتقده شاعرًا وكاتبًا.

وقلبا: "قائم هو "لمن يعتقده قاعدًا[1]

تعريف المبتدأ والخبر، مثل: الدين المعاملة، أنت الكون.

سر جمال القصر: التوكيد، التخصيص، المبالغة المقبولة.

ومن أساليب القصر التي ظهرت في خطبته (إنما):

{إِنَّمَا أَنَا مِثْلُكُمْ، وَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلَّكُمْ سَتُكَلِّفُونَنِي مَا كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه و سلم يُطِيقُ... وَإِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٌ، فَإِنِ اسْتَقَمْتُ فَتَابِعُونِي، وَإِنْ زُغْتُ فَقَوِّمُونِي}[2].

{إنما أنا مثلكم و لست بخيركم}

حيث أفاد القصر هنا الإيجاز والتوكيد فالجملة الأولى مثبتة و الثانية منفية، فالقصر يقوم على دعامتين هما الإثبات و النفي أي إثبات المذكور و نفي ما عداه فأثبت الصديق أنه صحابي مثلهم و نفى أنه أفضل منهم فنصت الجملة على الشيء المثبت دون المنفي، و جاء بعدها جملة **{و إني لا أدري لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يطيق}** وبهذا تبين أن جملة القصر بإنما تفيد الإيجاز و الاختصار.

وإن أسلوب القصر أسلوب يدل على عدم تجاوز المقصور عليه فالمقصور عليه **(مثلكم)** و المقصور **(أنا)** و هذا يعني بلا شك أنه صحابي مثلهم، لا يتجاوز ذلك إلى النبوة فهو بذلك يعمل على التأكيد و التقرير في الجملة.

---

(1) السابق (2/ 233)

(2) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ) (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، ت: 369هـ)، دار المعارف – مصر، الطبعة الثانية – 1387 هـ (ج 3:ص 224)
جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 67-68)

فإثبات المقصور للمقصور عليه و عدم تجاوزه له إلى ما سواه يؤدي إلى توكيد نسبته له فالقصر بأداة (**إنما**) حقق المطابقة لمقتضى الحال و أدى الغرض المقصود من إيراده و من ذلك أيضًا **{إنما أنا مبتدع}**.

ومن هذه الأساليب أو الطرق أيضًا "النفي و الاستثناء" و ذلك في قوله:

"**ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله** "فالتوفيق للعمل الصالح لا يمكن أن يكون إلا بالله. فالقصر بالنفي والاستثناء هنا جاء بصورة واضحة جزلة قوية مع إفادة التوكيد فعندما نخبر بالنفي فهو أقوى وأوكد من أن نخبر بدونه فعندما نقول ما قام إلا زيد فهي أوكد من: قام زيد.

فاستطاعة عمل الخير هي مقصورة على الله جل جلاله فلا معين على عمل الخير إلا الله وذلك على سبيل العموم فهو قصر حقيقي تحقيقي، فالله وحده هو المتفرد بالعون على العمل الصالح ولن يستطيع غيره فعل ذلك.

فاستخدام القصر بطريق النفي و الاستثناء من أبلغ طرق القصر و أقواها، وذلك لما فيها من وضوح معنى القصر، فهو يتحقق بالنفي أولًا، ثم بالاستثناء ثانيًا.

وبعد هذا الاستعراض لأساليب القصر المستخدمة في هذه الخطب، ترى الباحثة أنَّ الصديق كان واعيًا بأهمية هذا الأسلوب في الإقناع و التأثير في السامعين، لأن أسلوب القصر يطرح جملتين أحدهما مثبته و الأخرى منفية، أي يضع المستمعين أمام مقابلة توضيحية، والأشياء بضدها تتميز كذلك تنحصر الصفات في موصوف دون غيره و ينحصر الموصوف في صفة محددة لا غيرها.

7. النداء:

تعريف النداء: هو طلَبُ الإجابة لأمْرٍ ما بحرف من حروف النداء يَنُوبُ مَنابَ "أدعو".

وأدوات النداء ثمان: "**أَ – أَيْ – يَا – آ – آي – أَيَا – هَيَا – وَا**"[1].

(1) البلاغة العربية (1/ 240)

- "**أَ – أَيْ** "لنِدَاء القريب.
- "**أَيَا – هَيَا – آ**" لنداء البعيد.
- "**يا**" الراجح أنّها موضوعةٌ لنداء البعيد حقِيقةً أو حكْمًا، وقيل مشتركة.
- وتُسْتَعمل "**وَا**" للنّدْبة، وهيَ الَّتي يُنَادَى بها المندوبُ الْمُتَفجَّعُ عليه، وتُسْتَعْمَلُ في النُّدْبة أيضًا "**يَا**" عند أَمْنِ الالتباسِ بالنداءِ الحقيقي[1].

فأداة النداء عند المنادِي تذكر أحيانًا و تحذف أحيانًا أخرى و ذلك حسب حاجة المتحدث ففي كتاب (البلاغة العربية) تبين ذلك:

تحذف أداة النداء أحيانًا إذا لَمْ يُحتج إلى ذكرها لشدّةِ قُربِه المنادَى من المنادِي، وهذا يليق بمقام دُعاءِ الرّبّ جلّ وعلا فكثيرًا ما تُحذَفُ أداة النداء في نداء الرّبّ ودُعائه، فتكون مقدَّرة ذِهنًا، مثل: "رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمنًا – رَبّ اغْفِر لي وَلأخي – رَبّ زِدْنِي عِلمًا – رَبِّ انْصُرنِي بمَا كذَّبُونِ". والأداةُ التي تُقدَّرُ عند الحذف هي: "يا"، فإذا قال الداعي "يَارب" فهو يعبرّ بذكر أداة النداء عن شِدَّةِ حاجة نفسه لما يدعو به، أو يعبّر عن ألمه أو استغاثته أو ضيقِ صدره. لذلك وجدتُ في القرآن أنّ كلّ نداءٍ فيه دعاءٌ للربّ قد حُذِفَتْ منه أداة النداء، باستثناء نِدَاءَيْنِ نَادَاهُما الرسُول محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد ذكر فيهما أداةَ النداء "يا" تعبيرًا عن حالة نفسه الحزينة من أجل قومه الذين اتّخَذوا القرْآن مهجورًا بعد أن بلّغهم ما أُنْزِل عليه منه، وأسْمَعَهُمْ آياتِهِ، وأعادَهَا عليهم مَرَاتٍ ليفهموا دلالاتها فأصرُّوا على كُفْرهم وعنَادهم حتَّى رأى أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُون مَهْمَا ذكَّرَهُمْ وأقنعهم وحذَّرَهُمْ وأَنْذَرَهُمْ.{وَقَالَ الرسول يارب إِنَّ قَوْمِي اتخذوا هذا القرآن مَهْجُورًا} [الفرقان: 30].فذكَر الرسول حرف النداء "يا" مع أنه يُنَادِي ربَّهُ الذي هو أقرب إليه من حبل الوريد، ليعبّر بمدّ صوته بأداة النداء عن حزنه منْ أجل قومه، وتلَهُّفِهِ لاستجابتهم، وحِرْصِه على نجاتِهِمْ من عذاب ربّهم في جهنم دار عذاب الكافرين يوم الدين. ﴿**وَقِيلِهِ يارب إِنَّ هاؤلاء قَوْمٌ لاَّ يُؤْمِنُونَ**﴾[2][3].

(1) السابق (1/ 240)
(2) الزخرف: 88.
(3) البلاغة العربية (1/ 242)

أسلوب النداء في خطب الصديق:

غلب على خطاب الصديق الخطاب الجماعي و هو خطاب الفرد إلى الجماعة لأن خطابه كان لجماعات من المسلمين إما لنصحهم أو توجيههم للخير ولما فيه صلاح أمورهم، و استخدم نداع العين في موضع واحدو هو عندما نادى عمر بن الخطاب "**اتق الله يا عمر**" كما سيأتي التوضيح فيما بعد، فكان باستخدامه لأسلوب النداء أثر بالغ في التقرب للسامعين و جذب الأسماع له، حيث أن للنداء صورة بارزة في اللغة لدوره الحقيقي في الحياة البشرية في التواصل بين الناس عن طريق أدوات النداء و منها: أداة النداء **(يا)**، والجدول التالي يوضح استخدام الصديق لأسلوب النداء خطبه:

جدول رقم (7)

يوضح استخدام أسلوب النداء في خطب الصديق و التعليق عليها

مواضع استخدام أسلوب النداء	التعليق على ذلك
{أيها الناس، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت}[1]	حيث ناداهم (بأيها الناس) ليشد و يثير انتباههم لينبههم وليشوقهم لما سيأتي من الكلام لأنه حتما سيكون المعنى بعد هذه الكلمات من التشويق والتنبيه للسامعين لها أثر وتمكين في النفوس، ووقر في القلوب، واستقرار في الوجدان فيبادر الناس إلى حسن استقباله وامتثاله والاستجابة له. و ذلك بإخبار أبو بكر للناس عن موضوع الخطبة ألا وهو أن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قد مات وهو الأمر الذي قال خطبته لأجله
{أيها الناس: نحن المهاجرون، أول الناس إسلامًا}[2]	الصديق هنا ينادي الناس "أيها الناس" لينبههم للخلاف الذي حدث بين المهاجرين و الأنصار في تولي الخلافة فيقف الصديق مناديًا القوم، ليردهم إلى معنى الأخوة بين المهاجرين و الأنصار و لإزالة هذا الخلاف بينهم.
{أيها الناس: إني قد وليت عليكم ولست بخيركم}[3]	وتظهر براعة الصديق في هذه العبارة جلية في استمالة النفوس وتهيئة القلوب حيث ناداهم لينبههم إلى أنه واحد من المسلمين اختاره المسلمون، ليس لأنه أفضل منهم بل هو شخص عادي مثلهم فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى

(1) انظر: زهر الآداب وثمر الألباب الطبعة الرابعة(ج 1:ص 68).
جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (ج1 ص: 66 – 67).
(2)عيون الأخبار . (ج2/ ص254)
(3) العقد الفريد (ج4/ ص150).، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبعة الثانية – 1387 هـ (ج 3، ص 210)جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (ج1–ص67)

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا مِثْلُكُمْ}[1]	استعمال الصديق أداة النداء (يا) في نداء القريب، و ذلك لإفادة معنى التوكيد في تنبيه المخاطب و إثارة استيقاظه،" و لحرص المنادى على إقبال المدعو عليه و مفاطنته لما يدعو له"((2)) و هذا ما قصده الصديق مع الصحابة حيث أراد شحذ هممهم و استعدادهم لاستقبال الأمر الجلل الخطر العظيم ألا و هو إتمام و تنفيذ ما كان قد أعده رسول الله – صلى الله عليه و سلم – من إرسال جيش أسامة للجهاد في سبيل الله.
{ما لكم يا معشر الناس؟}[3]	يستفهم و يتعجب من أمر الأنصار فيناديهم باستغراب وتعجب "يا معشر الأنصار" لأنهم عبروا عن كلامه بردة الفعل و هي رفع رؤوسهم، بعدما قال لهم "إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك"
{يا معشر الأنصار: إن شئتم أن تقولوا إنا أويناكم في ظلالنا، وشاطرناكم في أموالنا، ونصرناكم بأنفسنا: قلتم: وإن لكم من الفضل ما لا يحصيه العدد وإن طال به الأمد}[4]	بدأ الصديق خطبته بأداة النداء (يا) التي كان لها تأثير كبير، لمناسبتها لمقام يريد فيه أناسًا مخصوصين، و هم الأنصار ليلفت انتباههم و ليصحح مفهومهم الذي جانب الصواب، في توزيع الأموال فاختار لهم أجمل الألفاظ و أرقاها ليناديهم بها، فقال "يا معشر الأنصار" و لم يقل" أيها الأنصار"، لحسن أدبه معهم و لكي يثبت أنهم من

(1) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، الطبعة الثانية – 1387 هـ (ج 3:ص 224)
جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 67-68)
البداية و النهاية (6/ 307)
الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق (ج4- ص 232،233)
(2) المفصل: للزمخشري ص 368
(3)العقد الفريد (ج 4/ص 150 -151) جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 70-71)
(4) زهر الآداب(ج 1:ص 70-71). جمهرة خطب العرب ص (73-74) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (13/ 115-116)

	أهل الفضل و المكانة المرموقة في أوساط المسلمين.
{يَأَيُّهَا النَّاسُ، قِفُوا أُوصِيكُمْ بِعَشْرِ فَاحْفَظُوهَا عَنِّي}[1]	هنا النداء للتنبيه و للوصاية قبل الخروج للجهاد يجب عليهم حفظها.
{اتَّقِ اللهَ يَا عُمَرُ}[2]	استخدم الصديق هنا نداء العين، فاستخدم أداة النداء للقريب (يا) لمناداة عمر بن الخطاب رضي الله عنه و توجيهه و تحذيره لتقوى الله

بعد الاطلاع على الجدول السابق تبين لنا أن الصديق تميز في خطبه بكثرة استعمال أداة النداء الأساسية، وهي (الياء)لأنها الأداة الوحيدة التي يمكن أن تصلح لجميع مستويات الخطاب البعيد والقريب وما للنداء من قدرة على تشويق الجمهور إلى ما سيلقى عليهم.

فكان الصديق من خلال النداء يطمح دائمًا إلى إثارة انتباه المنادى ليسمع ما يلقى إليه بعد النداء من الكلام ليعمل بمقتضاه. فقد أكد بعض الباحثين "إن افتتاح الكلام بالنداء يدل على الاعتناء بما سيلقى على المخاطب، وكأنه يعُّد نفسه و يهيئها لذلك، فيقع منها موقع الإصابة، حيث تتلقاه بحس واعٍ وذهنٍ منتبه"[3].

وكان الصديق أحيانًا يحذف أداة النداء في خطبه ليكون الإيجاز في خطبته ظاهرًا من بداية الخطبة و ذلك ليجذب الانتباه ويدخل إلى موضوعه دون أية مقدمات كما حدث في خطبة الخلافة وغيرها من الخطب مثل: **{أيها الناس، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت}**[4]

{أيها الناس: نحن المهاجرون، أول الناس إسلامًا}[5]

---

(1) "تاريخ الطبري 3/ 226-227، والكامل لابن الأثير 2: 162". كنز العمال (10/ 579-580)

(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 36-37) صفة الصفوة (1/ 100)

(3) نداء الله نبيه الكريم في آية الذكر الحكيم: 225، 256

(4) زهر الآداب وثمر الألباب الطبعة الرابعة(ج 1:ص 68). جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (ج1 ص: 66 – 67).

(5) عيون الأخبار . (ج2/ ص254)

{أيها الناس: إني قد وليت عليكم ولست بخيركم}[1].

فالصديق هنا لم يرد بالنداء أقبال المدعو أي (معناه الحقيقي) فالظاهر من النداء هو طلب إقبال المنادى ليلبي النداء، بل جاء بالنداء هنا لإيقاظ مشاعر الناس ولينبههم ويشحذ استعدادهم لما سيلقى عليهم فهو لا ينتظر منهم أن يلبوا نداء وهذا خلاف عن الظاهر في النداء.

فترى الباحثة أن حذف أداة النداء عند الصديق ما هو إلا دليل تميز نفس الصديق بالبلاغة و ما يزيد ذلك خطبه إلا جمالًا و ألقًا ورونقًا، فعندما تحذف أداة النداء فهذا يدل على أنّ المنَادَى هو في أقرب منازل القرب من المنادِي، حتّى أنه لَمْ يحتاج إلى ذكر أداة نداءٍ لَهُ لشدّةِ قُربِهِ، و هذا ما حدث مع الصديق رضي الله عنه حيث كان يلجأ لحذف هذه الأداة ليكون أقرب إلى قومه الذين هم أهله.

و أحيانًا يذكر الصديق أداة النداء في مثل:

- {يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا مِثْلُكُمْ}[2].
- {ما لكم يا معشر الناس؟}[3].
- {يا معشر الأنصار: إن شئتم أن تقولوا إنا أويناكم في ظلالنا، وشاطرناكم في أموالنا، ونصرناكم بأنفسنا: قلتم: وإن لكم من الفضل ما لا يحصيه العدد وإن طال به الأمد}[4].

---

(1) العقد الفريد الطبعة الأولى، 1404 هـ (ج4/ ص150).
- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبعة الثانية - 1387 هـ (ج 3، ص 210)
- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (ج1-ص67)

(2) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبعة الثانية - 1387 هـ (ج 3:ص 224)
- جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 67-68)
- البداية و النهاية (6/ 307)
- الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق (ج4- ص 232،233).

(3)العقد الفريد (ج 4/ص 150 -151) جمهرة خطب العرب(ج1، ص: 70-71)

(4) زهر الآداب(ج 1:ص 70-71).جمهرة خطب العرب ص (73-74) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (13/ 115-116)

- {يَأَيُّهَا النَّاسِ، قِفُوا أُوصِيكُمْ بِعَشْرِ فَاحْفَظُوهَا عَنِّي}[1].
- {اتَّقِ اللهَ يَا عُمَرُ}[2].

حيث يريد الصديق من استخدامه هذه الأداة شحذ هممهم و استعداده لأمور عظيمة حدثت في عصره ليسمعوا و ليطيعوا أمره. فكان لاستخدم الصديق أداة النداء (يا) في خطبه تأثير كبير، إذ ناسب كل مقال في مقامه لأنه عندما يذكر أداة النداء كان يريد بها أناسًا مخصوصين، ليلفت انتباههم ويشدهم إلى موضوع خطبته.

فمن خلال تلك الشواهد، ترى الباحثة أن الصديق قد استثمر النداء وسيلة للمخاطبة والإقناع، و نوَّع في استخدام أدوات النداء حضورًا و غيابًا، ولكنه حصر مناديه فكان جماعيًا لا فرديًا في غالب الأمر، وهو يهدف من وراء ذلك إلى أن المضامين التي تمركزت في خطبه ليست لحالة خاصة بقدر ما هي لحالة جماعية ممتدة من تلك الفترة التي قال فيها هذه الخطبة إلى يومنا هذا؛ لأنها تحتوي على دعوات إلى عقائد و عبادات وسلوكيات كلها منبثقة من الدين الإسلامي الحنيف و من سلوكيات النبي و أصحابه عليه الصلاة والسلام و عليهم أتم الرحمة و الرضوان، و كان استخدامه للنداء الفردي في موضع واحد وهو (اتق الله يا عمر).

8. الفصل و الوصل:

الوصل هو عطف جملة على أخرى بالواو، والفصل ترك هذا العطف.

مواضع الفصل:

يجب الفصل في ثلاثة مواضع:

1. أن يكون بين الجملتين اتحاد تام، وذلك بأن تكون الجملة الثانية توكيدا للأولى، أو بيانا لها، أو بدلا منها. ويقال حينئذ إن بين الجملتين «كمال الاتصال».

فمن أمثلة الفصل الذي تكون فيه الجملة الثانية توكيدا للجملة الأولى قول الشاعر:

(1) "تاريخ الطبري 3/ 226-227، والكامل لابن الأثير 2: 162". كنز العمال (10/ 579-580)
(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 36-37) صفة الصفوة (1/ 100)

يهوى الثناء مبرّز ومقصر حب الثناء طبيعة الإنسان[1]

2. أن يكون بين الجملتين « تباين تام»، وذلك بأن تختلفا خبرا وإنشاء، أو بألا تكون بينهما مناسبة ما، ويقال حينئذ إن بين الجملتين «كمال الانقطاع».

فمن أمثلة ذلك قول الشاعر:

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا[2]

فبين الجملة الأولى والثانية في هذا البيت تمام التباين وغاية الابتعاد، لاختلافهما خبرا وإنشاء، وذلك لأن الجملة الأولى إنشائية والثانية خبرية، ومن أجل ذلك تعين الفصل بينهما.

3. هو أن تكون الجملة الثانية جوابا عن سؤال يفهم من الأولى، ويقال حينئذ إن بين الجملتين «**شبه كمال الاتصال**».

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: (وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالُوا لا تَخَفْ)، ففي هذه الآية الكريمة فصلت جملة قالُوا لا تَخَفْ عن جملة وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً لأن بينهما شبه كمال الاتصال، إذ الثانية جواب لسؤال يفهم من الأولى، كأن سائلا سأل: فماذا قالوا له حين رأوه قد أحس منهم خوفا؟ فأجيب «قالوا لا تخف»[3].

يجب الوصل بين الجملتين في ثلاثة مواضع:

الأول: إذا قصد إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي. مثل:

أنت أيقظتني وأطلعت عيني على عالم من السر أخفى

(1) علم المعاني (ص: 163)

(2) السابق (ص: 163)

(3) علم المعاني (ص: 164)

الثاني: إذا اتفقت الجملتان خبرا أو إنشاء، وكانت بينهما جهة جامعة، أي مناسبة (1) تامة، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما مثل قوله تعالى:(**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**)

الثالث: إذا اختلفت الجملتان خبرا وإنشاء، وأوهم الفصل خلاف المقصود. فالوصل هنا في الإجابة بالنفي على سؤالٍ أداته «هل أو «همزة التصديق» مع التعقيب على جملة الجواب المنفي بجملة دعائية، ومن أمثلة ذلك:

1. لا ولطف الله به، تقول ذلك في جواب من سألك: هل تحسنت صحة صديقك؟.
2. لا وحفظك الله، تقول ذلك في جواب من سألك: ألك حاجة أقضيها لك؟[1].

ومن شواهد الفصل و الوصل في خطب الصديق ما ورد في قوله:

{وليت عليكم} {ولست بخيركم} هنا عَطْف جملة على أخرى بواو العطف و هو ما يعرف بالوصل في المصطلح البلاغي، و ذلك لاشتراك الجملتين في الحكم، أي حكم خبر إنَّ فكما أنه أكد أن الولاية من الله، فيؤكد أيضًا أنها ليست مقياسًا على أنه الأفضل منهم و أشرف، و هذا دليل التواضع عند الصديق رضي الله عنه فمن تواضع لله رفعه الله و أن الناس ترتاح لمن يتصف بهذه الصفة (التواضع).

{فإن رأيتموني على حق فأعينوني و إن رأيتموني على باطل فسددوني} جاء هذا الفصل لاشتراك الجملتين في الأسلوب الخبري.

ورد الفصل في الجملتين **{كما ينبغي للمسلم أن يحب أن يخصَّ به}** و **{هي التجارة التي دل الله عليها}** حيث لم يعطف الصديق بين هاتين الجملتين لكمال الاتصال بينهما و السر في عدم العطف هو إقرار الجهاد في نفوس المسلمين.

(1) انظر: علم المعاني (ص: 167-169)

ثم عطف على هاتين الجملتين جملتين أخريين هما: **{ونجى بها من الخزي}** و **{ألحق بها الكرامة في الدنيا و الآخرة}** وكلتا الجملتين فعلية جاءت في جانب الوصل و بأداة العطف (و) مع أن كل جملة من الجملتين لها مغزى غير الأخرى و إثارة غير الإثارة فالجملة الأولى كانت تتحدث عن التجارة التي نجى بها الله المجاهدين من الخزي و العار، و الجملة الثانية تتحدث عن التجارة التي ألحق الله بها الكرامة في الدارين.

الخاتمة:

بحمد الباري و نعمةٍ منه و فضل و رحمة نضع قطراتنا الأخيرة بعد رحلةٍ عبر ثلاثة موانئ بين تفكر وعقل في خطب الصديق.

فقد كانت رحلة جاهدة للارتقاء بدرجات العقل و معراج الأفكار فما هذا إلا جهد مقل ولا يدعي الباحثة فيه الكمال ولكن عذرها أنه بذل فيه قصارى جهده.

ولا نزيد على ما قال عبدالرحيم البيساني[1]:

"رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابًا في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكن أجمل وهذا أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"[2].

وقد خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

1. إنَّ الصديق تمتع ببلاغة عظيمة و قد بلغ من الفصاحة والبلاغة والبيان الذروة فلا يمكن لأحد أن ينكرها فقد قال خطبه كلها و هو موقن بأنها سيكون لها الأثر و الوقع الأكبر في نفوس السامعين، فقد تميز أسلوب الصديق بالإيجاز والتركيز مع الوضوح وسهولة اللفظِ. و دقة اختيار ألفاظه البعيدة عن الغموض و التعقيد، والتي تلامس القلب مباشرة.
2. كان في أسلوب الصديق من الحسن والإبداع الذي يُغني عن التفسير و البيان، وأروع ما في هذا الأسلوب أنك تمتلئ إعجابًا بقوته وجماله عند سماعه، لا تعرف لتلك القوة ولا

---

(1)القاضي الفاضل، هو عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي، وزير، من أئمة الكتاب، كان وزيرًا للسلطان صلاح الدين الأيوبي، توفي سنة 596هـ = 1200م.
والعماد هو محمد بن محمد الأصبهاني، مؤرخ، عالم بالأدب، من أكابر الكتاب في عهد صلاح الدين، توفي سنة 597هـ = 1201م.

(2)أبجد العلوم (ص: 52) كتب هذا أستاذ العلماء البلغاء القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني إلى العماد الأصفهاني معتذرا عن كلام استدركه عليه.

لذلك الجمال مصدرًا خاصًا، فإذا ما تأملته بدا لك ما فيه من الحسن ورأيت فيه حسن التقسيم، وجمال الفواصل، والسجع و الازدواج و المقابلة و الطباق، واللفظ العذب، والإيقاع الجميل، والرنة الموسيقية، فالجمال الحقيقي نابع من تلك القوة البيانية الدفاقة، التي طوت في مدها تلك المحسنات و المحاسن.

3. استخدم الصديق أسلوب الإثارة في بعض الأدوات في موضعها المناسب، لتحقيق أهداف الخطبة، وهي انتباه السامع و التشويق لما يلقى إليه و تأثيره بذلك و العمل على مقتضى المراد.

4. بدا من خلال خطب الصديق نفحة من نفحاتهِ، وآية من آياتهِ، في فضله وعلمه، ووقاره ومروءته، ونائه في الحق، وأمانته على الإسلامِ، وتتبعه آثار النبي الكريم. والجلال في التقدير و التعبيرِ، وهذا السمو في التدبير والتفكيرِ، وتلك البلاغة الباهرة في القول، والجزالة و الرصانة في الأسلوبِ، الحرص منه على المسلمين وهو مقبل على الآخرة، هذا كله من نفحة من نفحاته رضي الله عنه.

5. كان الخليفة الراشد أبو بكر الصديق يقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبه وفي وصاياه، وكان لخطب الصديق الأثر و الوقع الأكبر في التأثير على الفتوحات الإسلامية و زيادة عددها، وتأثر الصديق بمعاني وأساليب القرآن الكريم و أساليب الحديث الشريف والشعر.

6. ملاءمة أسلوب الصديق لمستوى السامعين، والتنويع بين الخبر والإنشاء.

7. الجمال الموسيقي المتمثل في اختيار اللفظة الدقيقة في موضعها، و السجع غير المتكلف، والجناس.

8. تأكيد المعنى بأساليب التوكيد المختلفة.

9. إن سيرة الصديق ملية بالدروس و العبر فهو أعظم الشخصيات بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و سلم.

التوصيات:

بعد إتمام البحث توصي الباحثة بعدة أمور لعلها أن تكون استكمالًا لهذا البحث ؛ لأنها لم تستطع الإلمام بكامل الموضوعات التي تخص الخليفة الثاني ألا وهو أبو بكر الصديق نظرًا لتشتتها و توسعها و وهي بعض الأمور التي تتلخص في:

1. العمل على جمع خطب الصديق في كتاب واحد بمصادر و مراجع موثوقة فالباحثة جمعتها من أمهات الكتب بعناء كبير و كان لابد من وجود كتاب يذكر الخطب بشكل واضح.
2. توصي الباحثة و تشجع الراغبين بدراسة الأدب بأن يتجهوا لإحياء و بعث روح الأدب الإسلامي و المخضرم و الذي عزف عنه الباحثون الآخرون.
3. ضرورة عقد مؤتمرات تبين الخطابة و فنونها.

وبعد... فإني لأرجو الله جلَّ و علا أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأعتذر عن أي تقصير يشفع له قصور جهدي وطاقتي.

وأسأل الله الهداية والتوفيق و السداد فهو وحده خير هادٍ و خير معين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. أبجد العلوم، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: 1307هـ)،دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1423 هـ- 2002 م
2. أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين، محمد رضا (ت: 1369هـ)، المحقق: الشيخ خليل شيحا، دار الكتاب العربي، الطبعة 1424هـ-2004م
3. أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين، محمد رضا (ت: 1369هـ)، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثانية، 1369 هـ - 1950 م
4. أبو بكر الصديق و بنوه في سجل الفخر و العزة، سجل العزة و العزم الشرف الرفيع: د. محمود عبد الرحمن شرف الدين، مكتبة الآداب – القاهرة 1991.
5. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة 1394هـ/ 1974 م
6. آثَارُ ابْنُ بَادِيسَ، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت: 1359هـ)، تحقيق: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، الطبعة الأولى (عام 1388 هـ - 1968 ميلادية)
7. أخطاء يجب أن تصحح من التاريخ – استخلاف أبو بكر الصديق رضي الله عنه –، لجمال عبد الهادي محمد مسعود، وفاء محمد رفعت جمعة، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع، الطبعة الأولى، 1406هـ/1986م
8. أدب صدر الإسلام، تجلياته وبناؤه التشكيلي، للدكتور عبد المجيد الإسداوي ص 372 مكتبة المتنبي الدمام – السعودية.

9. أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: 471هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة

10. إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: 338هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421 هـ

11. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م

12. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب، القاهرة، 1927.

13. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء: أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، دار النشر / عالم الكتب - بيروت - 1417هـ الطبعة الأولى، تحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين علي

14. الآمالي، أبو علي القالي، دار الكتب، 1926.

15. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (ت: 558هـ)، المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1419هـ/1999م

16. الانشراحُ وَرَفعُ الضِّيق في سِيرة أبي بَكْر الصِّديق شخصيته وَعَصره، عَلي محمد الصَّلاَّبي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة - مصر، 1423 هـ - 2002 م

17. الإيضاح في علوم البلاغة و المعاني و البيان و البديع تأليف الخطيب القزويني. جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد دار الكتب العلمية بيروت -لبنان. الطبعة الأولى 2003م - 1424 هـ.

18. الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت: 739هـ)، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة الثالثة

19. البداية والنهاية، ابن كثير، السعادة، 1932.

20. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، المحقق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1408، هـ - 1988 م

21. البديع في البديع، أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم بن الرشيد العباسي (ت: 296هـ)، دار الجيل، الطبعة الأولى 1410هـ - 1990م

22. البديع في نقد الشعر، أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (ت: 584هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد أحمد بدوي، حامد عبد المجيد و مراجعة: إبراهيم مصطفى، الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإقليم الجنوبي - الإدارة العامة للثقافة

23. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي (ت: 1391هـ)، مكتبة الآداب، الطبعة السابعة عشر: 1426هـ-2005م

24. البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم المعاني الجزء الأول، د بكري شيخ أمين الطبعة الخامسة 1998، دار العلوم للملايين بيروت لبنان.

25. البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت: 1425هـ)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1416 هـ - 1996 م

26. البيان والتبيين: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: 255هـ)دار ومكتبة الهلال، بيروت،1423 هـ

27. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، 1948.

28. تاريخ الأمم والملوك، لمحمد بن جرير الطبري، القاهرة، 1939.

29. تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، د محمد سهيل طقوش، دار النفائس، لطبعة الطبعة الأولى 1424هـ-2003م

30. تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ) (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، ت: 369هـ)، دار المعارف – مصر، الطبعة الثانية – 1387 هـ.

31. التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكين. طاهر بن محمد الاسفراييني أبو المظفر ت 471 هـ تحقيق كمال يوسف الحوت، عالم الكتب لبنان الطبعة الأولى 1403 هـ - 1983 م

32. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي

33. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911هـ)، دار الحديث – القاهرة، الطبعة الأولى

34. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت: 403هـ) تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان الطبعة: الأولى، 1407هـ - 1987م

35. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت: 403هـ) تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان الطبعة: الأولى، 1407هـ - 1987م.

36. التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، 1326هـ

37. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م

38. الجامع الكبير - سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: 279هـ)،المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، 1998 م.

39. الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (ت: 637هـ)، تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، عام النشر: 1375هـ

40. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، 1422هـ

41. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهية، أحمد زكي صفوت، مطبعة مصطفى الباني الحلبي - مصر، الطبعة الأولى 1352هـ - 1923مآثر طبعه محمد أمين عمران

42. جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: 1362هـ) تحقيق لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيرو

43. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: 430هـ)، السعادة – بجوار محافظة مصر، 1394هـ – 1974م

44. خصاص الخطابة والخطيب، تذير محمد مكتبي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 2001.

45. خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد أبو موسى، مكتبة وهبه، الطبعة السابعة

46. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: 392هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة

47. الخطابة أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، محمد أبو زهرة (ت 1393هـ)، الطبعة الأولى، مطبعة دار الفكر والنشر، (1353–1934).

48. الخطابة الإسلامية: عبد العاطي محمد شلبي، عبد المعطي عبد المقصود، المكتب الجامعي الحديث، 2006

49. الخطابة العربية في عصرها الذهبي، إحسان النص، دار المعارف – مصر، ط2، 1963.

50. الخطابة في صدر الإسلام: محمد طاهر درويش كلية دار العلوم – جامعة القاهرة / دار المعارف بمصر 1965.

51. الخطابة في صدر الإسلام، الجزء الأول: العصر الذهبي، عصر البعثة الإسلامية، محمد طاهر درويش، دار المعارف بمصر، 1965.

52. الخطابة وإعداد الخطيب، عبد الجليل عبده شلبي، مطابع دار الشروق، ط1، 1981.

53. الخطابة والخطيب، محمد سمير الشاوي، محمد الحبش، دار العصماء، الطبعة الأولى، 1998.

54. الخطابة والخطيب، محمد سمير الشاوي، محمد حبش.

55. خطب مختارة، اختيار وكالة شئون المطبوعات والنشر بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، 1423هـ

56. الخطب والمواعظ لمحمد عبدالغني حسن، طبعة دار المعارف بمصر 1955م.

57. الخلفاء الراشدون مواقف و عبر: عبد العزيز بن عبد الله الحُميدي / طبعة 1426هـ – 2005 م دار الدعوة للطباعة و النشر – الإسكندرية

58. الدراسة النظرية للخطابة، عبد الرب بن نواب الدين، دار العاصمة.

59. دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: 471هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى،1422هـ – 2001 م

60. الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق، لمحمد محمد خطاب السُبكي تحقيق أمين محمود خطاب الطبعة الرابعة 1406هـ،1986م

61. رجال حول الرسول، خالد محمد خالد ثابت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان الطبعة الأولى 1421هـ–2000م

62. زهر الآداب وثمر الألباب إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (ت: 453هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الرابعة

63. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى بن حسني السباعي (ت: 1384هـ)، المكتب الإسلامي: دمشق – سوريا، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، 1402 هـ – 1982 م

64. سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي

65. سنن أبي داود، أبوداود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمر والأزدي السِّجِسْتاني (ت: 275هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت

66. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات، الطبعة الثالثة، 1424 هـ - 2003 م

67. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت: 418هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة – السعودية، الطبعة الثامنة، 1423هـ / 2003م

68. الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، دار الحديث، القاهرة، نشر سنة: 1423 هـ

69. صبح الأعشى، القلقشندي، دار الكتب، مصر 1930 وما بعدها.

70. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة 1407 هـ - 1987 م

71. صفة الصفوة، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، المحقق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة 1421هـ/2000م

72. الصناعتين: الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تحقيق البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، 1952.

73. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (ت: 745هـ)، المكتبة العنصرية – بيروت، الطبعة الأولى، 1423 هـ

74. العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت: 328هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، 1404 هـ

75. العقد الفريد، أحمد بن عبد ربه، (طبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة) مصر، 1940، وما بعدها.

76. علم البيان في الدراسات البلاغية، د. علي البدري ط 1404/2 هـ، دار الكتاب الجامعي بمصر ص 286.

77. علم المعاني، عبد العزيز عتيق (ت: 1396 هـ)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1430 هـ - 2009 م

78. علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان، الطبعة الأولى، 2003 م

79. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: 463 هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، 1401 هـ - 1981 م

80. عيون الأخبار: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)،دار الكتب العلمية –بيروت، 1418 هـ

81. عيون الأخبار، ابن قتيبة، دار الكتب، مصر، 1925 وما بعدها.

82. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد

الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات عبد العزيز بن عبد الله بن باز

83. فتوح الشام، أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري و صححه وليم ناسولين الايرلاندي طبع في مدينة كلكتة سنة 1854

84. فن الخطابة وإعداد الخطيب، لعلي محفوظ، دار الاعتصام، 1784، دار النصر للطباعة الإسلامية، مصر.

85. فن الخطابة وتصوره عند العرب، إيليا حاوي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

86. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: 1031هـ)، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة الأولى، 1356

87. القاضي الفاضل، هو عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي، وزير، من أئمة الكتاب، كان وزيرًا للسلطان صلاح الدين الأيوبي، توفي سنة 596هـ = 1200م.

88. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت: 817هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة، 1426 هـ – 2005 م

89. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: 630هـ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1417هـ / 1997م

90. الكامل في التاريخ، عز الدين بن الأثير (نشر دوزي) ليدن، 1866.

91. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: 235هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، 1409

92. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (ت: 975هـ)، المحقق: بكري حياني – صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، 1401هـ/1981م

93. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة – 1414 هـ

94. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت: 637هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة

95. المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: 303هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، 1406 – 1986.

96. مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية – 1406 هـ – 1986 م

97. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: 666هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة الخامسة، 1420هـ / 1999م

98. مدخل إلى علم البيان: د. سلامة جمعة، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود العدد، الـ 17 – 1421 هـ

99. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421 هـ – 2001

100. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت

101. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو 770هـ)، المكتبة العلمية – بيروت

102. معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج3.

103. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، دار الدعوة.

104. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1408 هـ – 1988 م

105. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ – 1979م.

106. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت: 761هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة، 1985

107. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين)، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت: 806هـ)، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1426 هـ – 2005 م

108.المفصل في علم اللغة: للزمخشري، قدم له و راجعه و علق عليه: د/ محمد السعدي،ط1، 1410هـ، دار إحياء العلوم بيرو ت

109.منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، 1406 هـ - 1986 م

110.الموجز في قواعد اللغة العربية، سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (ت: 1417هـ)، دار الفكر - بيروت - لبنان، الطبعة 1424هـ - 2003م

111.الموسوعة الفقهية الكويتية: صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، الطبعة (من 1404 - 1427 هـ)، الأجزاء 1 - 23: الطبعة الثانية، دار السلاسل - الكويت، الأجزاء 24 - 38: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة - مصر، الأجزاء 39 - 45: الطبعة الثانية، طبع الوزارة.

112.نداء الله نبيه الكريم في آية الذكر الحكيم: 225، 256 / د. بدر ناصر البدر، بحث ضمن مجلة البحوث الإسلامية، الصادرة عن إدارة البحوث العلمية و الافتاء، الرياض، العدد: 61، 1421 هـ

113.الوَحشيَّات، أبو تمام: الشاعر، الأديب (ت: 231هـ)، علق عليه وحققه: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، وزاد في حواشيه: محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.

مواقع الإنترنت:

114. Genung: working principlesol Rhrcoric

115. http://www.alukah.net/literature_language/0/54292/#ixzz41pYZs2y5

116. خطبة الخلافة وما تتضمن من دلائل وعبر، لمحمد راتب النابلسي بتاريخ: 1994-12-04
http://www.nabulsi.com/blue/ar/art.php?art=795&id=0&sid=124&ssid=125&sssid=126